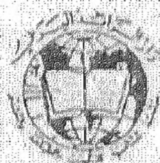
الفتوحات الربانية

بالخطب والمواعظ القرآنية

تأليف

محمد بن سالم البيحاني



دار الرائد العربي

بيروت - لبنان

الفُتُوحَاتُ الرَّبَّانِيَّة

الفتوحات الربانية

بالخطب والمواعظ القرآنية

تأليف

محمد بن سالم البيحاني



دار الرائد العربي

بيروت - لبنان

دار الرائد العربي

الطبعة الثانية

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

دار الرائد العربي - بيروت - لبنان
ص.ب : ٦٥٨٥ - تلكس : LE ٤٣٤٩٩ رائد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدّمة

لشاعر اليمن وأديبها محمد محمود الزبيري

عَرَفْتُ صَاحِبَ الْفَضِيلَةِ الأُسْتَاذَ مُحَمَّدَ سَالِمٍ الْبَيْحَانِي فِي مِصْرَ، وَسَمِعْتُ بِهِ فِي الْيَمَنِ، وَصَحِبْتُهُ فِي عَدَنٍ، عَهِدْتُهُ فِي مِصْرَ رَائِدًا مِنْ رُوَّادِ الْعِلْمِ الْبَارِزِينَ، وَسَمِعْتُهُ هُنَالِكَ فِي الأَنْدِيَةِ وَالْمَحَافِلِ مُتَكَلِّماً لَبِقاً، وَخَطِيباً لَسِناً، وَمُحَاضِرًا بَارِعاً. لَا أَقُولُ إِنَّهُ كَانَ فِي صَفِّ الْمُثَقَّفِينَ مِنْ شَبَابِ الْعَرَبِ، بَلْ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَرْفَعِهِمْ رَأْساً وَأَبْعَدِهِمْ صَوْتاً، ثُمَّ دَارَتِ الأَيَّامُ دَوْرَتَهَا وَإِذَا أَنَا بِالْيَمَنِ وَهُوَ فِي عَدَنٍ، وَإِذَا بِهِ يَكْتُبُ إِلَى زَمِيلِهِ الأُسْتَاذِ الْخَطِيبِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ مُحَمَّدٍ نُعْمَانٍ وَيَشْكُو إِلَيْهِ حَيَاتَهُ فِي عَدَنٍ، وَيَتَبَرَّمُ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، فَعَجِبْتُ لِهٰذِهِ الظَّاهِرَةِ أَشَدَّ الْعَجَبِ: شَابٌّ عَالِمٌ مُسْتَنِيرٌ، عَبَّ مِنْ مَعِينِ الثَّقَافَةِ، وَعَرَفَ الْقَدِيمَ وَالْحَدِيثَ، وَاسْتَفَادَ مِنْ أَلْوَانِ التَّيَّارَاتِ الْفِكْرِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ، ثُمَّ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ سَعِيدًا فِي الْبِيئَةِ الْعَدَنِيَّةِ، بَلْ وَلَا يَجِدُ لِثَقَافَتِهِ وَمَوَاهِبِهِ مُتَّسَعاً لِلنَّشَاطِ وَالإِنْتَاجِ، فِي حِينِ أَنَّ الْجُمْهُورَ الْعَدَنِيَّ فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلى أَمْثَالِهِ، لِأَنَّهُمْ هُنَاكَ أَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ

الْأَحْمَرِ . ثُمَّ عَصَفَتْ بِيَ الْأَقْدَارُ وَسَاقَتْنِي إلى عَدَنٍ حَيْث ٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَفْهَمَ السَّبَبَ لِشَكْوَاهُ ، فَقَدْ تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الثَّقَافَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الصَّحِيحَةَ في عَدَنٍ تَكَادُ تَكُونُ مَفْقُودَةً لِقِلَّةِ الْعُلَمَاءِ ، وَالثَّقَافةُ الْحَدِيثَةُ لَم تَأْخُذْ بَعْدُ زِمَامَ السَّيْطَرَةِ عَلَى الْحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ ، فَكَانَ مِنَ الطَّبِيعِي أَنْ يُصْبِحَ النُّفُوذُ الْأَدَبِيُّ وَالرُّوحِيُّ فِي يَدِ الْجَمَاهِيرِ ، وَأَنْ تَكُونَ النَظَرِيَّاتُ الدِّينِيَّةُ مُتَأَثِّرَةً إلَى حَدٍّ كَبِيرٍ بِعَقْلِيَّةِ الطَّبَقَةِ الْعَامِيَّةِ ، فَمَا مِنْ مُثَقَّفٍ يُحَاوِلُ الْإِصْلاحَ في هٰذِهِ الْبِيئَةِ إلَّا وَتَعْتَرِضُ سَبِيلَهُ صُعُوبَةٌ مُعْضِلَةٌ مِنَ الْأَوْهَامِ الَّتي مَا زَالَتْ هِيَ مُعْتَقَدَ الْأَغْلَبِيَّةِ السَّاحِقَةِ .

وَأَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذَا هُوَ السَّبَبُ لِشَكْوَى الْأُسْتَاذِ البَيْحاني إلَى صَدِيقِهِ ، لِأَنَّهُ وَلا رَيْبَ قَدِمَ مِنْ مِصْرَ وَعِنْدَهُ أَمَلٌ وَاسِعٌ عَرِيضٌ يَطْمَحُ بِهِ إِلَى أَنْ يُوجِدَ فِي الْبِيئَةِ الْعَدَنِيَّةِ ثَقَافَةً إسْلَامِيَّةً جَدِيدَةً ، وَلٰكِنَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ في الْبِلادِ وَحِيدًا مُحْرَجاً بَيْنَ جِيلَيْنِ : الْجِيلِ الْقَدِيمِ الْمُحَافِظِ الْمُتَصَلِّبِ ، وَالْجِيلِ الْجَدِيدِ الْمُنْطَلِقِ الْمُتَسَرِّعِ ، وَلَنْ يَرْضَى عَنْهُ هٰؤُلاءِ وَلَا أُولٰئِكَ حَتَّى يَتَّبِعَ خِطَّتَهُمْ ، لِهٰذَا فَقَدِ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ فِي الْخِطَابَةِ مَنْهَجاً مُعْتَدِلًا مُتَرَفِّقاً يَرْعَى عَوَاطِفَ الْجُمْهُورِ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى الظَّاهِرَةِ الشَّكْلِيةِ لِمَا ٱعْتَادَهُ الْخُطَبَاءُ ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَحَمَّلَ فِي أُسْلُوبِهِ مِنْ عَنَاءِ الاتْقَانِ وَالنِّظَامِ وَالتَّدْبِيرِ مَا لا يَفْطَنُ لَهُ الْقُرَّاءُ وَلا يَشْعُرُونَ بِهِ ، لِأَنَّهُمْ لا يَجِدُونَ فِي فَهْمِهِ مَشَقَّةً وَلا عُسْرًا ، وَلا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَقِفُوا عَلَى مَا أَوْدَعَ فِيهِ مِنْ لَطَائِفِ الْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ ، وطَرَائِفِ التَّجْنِيسِ وَالتَّسْجِيعِ ، وَمَا رَصَعَ فِيهِ مِنَ الآيَاتِ الرَّوَائِعِ ، وَالْمُخَبَّآتِ الْبَدَائِعِ ، وَكَيْفَ

نَثْرَ دُرَرَ الْقُرْآنِ فِي ثَنَايَا كَلامِهِ نَثْرًا ، وَحَشَرَ حِكَمَهُ فِي تَضَاعِيفِهِ حَشْرًا ، وَهٰذَا كُلُّهُ يَقْتَضِي مَجْهُودًا عَسِيرًا لا شَكَّ أَنَّهُ قَدْ رَصَدَ لَهُ الأَيَّامَ الطِّوَالَ .

وَفِي نَفْسِي كَلِمَةٌ لا بُدَّ أَنْ أَكْتُبَهَا لأَنَّهَا مُتَّصِلَةٌ بِفَنِّ الْخطَابَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ . ذٰلِكَ أَنَّ الأَسَالِيبَ الْخطَابِيَّةَ لَهَا طَبِيعَةٌ خَاصَّةٌ تُخَالِفُ سَائِرَ فُنُونِ الْكَلامِ ، وَتَنْفَرِدُ بِاعْتِبَارَاتٍ وَمُمَيِّزَاتٍ آتِيَةٍ مِنْ شَتَّى الْمُلابَسَاتِ الَّتِي تَكْتَنِفُ الْخَطِيبَ وَالْجُمْهُورَ ، وَلا شَكَّ أَنَّ الْمَقَالَةَ لا تَكُونُ خُطْبَةً ، وَأَنَّ الْخُطْبَةَ لا تَكُونُ مَقَالَةً ، وَأَنَّ الَّذِي يَقْرأُ الْخُطْبَةَ فِي كِتَابٍ يَفْقِدُ ثَلاثَةَ عَنَاصِرَ مِنْ عَوَامِلِ التَّأْثِيرِ فِيهَا وَهِيَ : الإِلْقَاءُ وَشَخْصِيَّةُ الْخَطِيبِ ، وَلا يَبْقَى لَهُ مِنْهَا إِلاَّ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَهُوَ الأُسْلُوبُ ، عَلَى أَنَّ الأُسْلُوبَ نَفْسَهُ قَدْ يَفْقِدُ رَوْعَتَهُ بِخُفُوتِ النُّغَمِ الصَّوْتِيَّةِ ، وَلِذٰلِكَ فَلا يَكُونُ الْقَارِئُ نَاقِدًا دَقِيقاً إِذَا أَهْمَلَ هٰذِهِ الاعْتِبَارَاتِ الْوَاقِعِيَّةَ عِنْدَ تَقْدِيرِ قِيمَةِ الْخُطَبِ الْمِنْبَرِيَّةِ .

وَيَجِبُ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ الْبِيئَةَ الَّتِي يُخْلَقُ فِيهَا الأَدَبُ إِنَّمَا يُبْتَكَرُ الأَدَبُ لأَجْلِهَا وَعَلَى غِرَارِهَا ، لا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الأَدَبُ مِنَ النَّوْعِ الَّذِي يُقْصَدُ بِهِ التَّأْثِيرُ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ السَّامِعِينَ ، وَذٰلِكَ كَالْخَطَابَةِ الدِّينِيَّةِ ، فَإِنَّهَا إِنَّمَا تُقَالُ لِجُمْهُورٍ مُتَأَلِّهٍ يَهْتَاجُ وَيَقْشَعِرُّ عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ ، وَلا يَكَادُ يُطِيقُ عِبَارَةً وَاحِدَةً لا تَقْدَحُ عَاطِفَةً مِنْ عَوَاطِفِهِ الْمُتَعَطِّشَةِ الْمُلْتَاعَةِ ، فَالْخَطِيبُ الدِّينِيُّ مُرْغَمٌ أَنْ يُفَكِّرَ مَعَ الْجُمْهُورِ

وَيَتَكَلَّمُ مَعَ الْجُمْهُورِ وَيُعَالِجُ خَوَاطِرَهُمْ بِرِفْقٍ وَحَنَانٍ ، وَهٰذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ الْكُبْرَى لِلْبَلاغَةِ ، وَأَعْنِي بِهَا مُطَابَقَةُ مُقْتَضَى الْحَالِ ، فَمِنَ الْخَطَإِ إِذًا أَنْ يُقَرِّرَ الإِنْسَانُ رَأْيَهُ فِي خُطْبَةٍ مِنْبَرِيَّةٍ لِمُجَرَّدِ قِرَاءَتِهَا ، فَإِنَّ حَالَةَ الْقَارِئِ تُخَالِفُ حَالَةَ السَّامِعِ فِي وَسَطِ الْجُمْهُورِ ، لا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْقَارِئُ مِنْ طَبَقَةٍ أُخْرَى لَمْ تَأْلَفْ بِتِلْكَ الْمَوْضُوعَاتِ فَإِنَّ حُكْمَهُ عَلَيْهَا ظُلْمٌ بَيِّنٌ .

وَمَعَ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ فَهَلْ مَعْنَى هٰذَا أَنَّ الْخَطِيبَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ فِي مَحْبِسٍ مِنْ عَقْلِيَّةِ الْجَمَاهِيرِ ، وَأَنْ يَظَلَّ دَائِرًا حَوْلَ نَفْسِهِ فِي هٰذَا الْمُحِيطِ الضَّيِّقِ ؟ كَلَّا ، فَإِنَّ فِي الْمَوْضُوعَاتِ الدِّينِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ نَفْسِهَا مَا يَفْتَحُ لِلْخَطِيبِ آفَاقاً وَاسِعَةً لِتَوْجِيهِ الْمُجْتَمَعِ الاسْلامِي إِلَى كُلِّ سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ ، وَذٰلِكَ كَأَنْ يُثِيرَ فِي الْمُسْلِمِينَ غَرِيزَةَ اللَّهْفَةِ عَلَى الْمَجْدِ الذَّاهِبِ ، أَوْ يُرِيقَ مِنْهُمْ دَمْعَةَ الْحَسْرَةِ عَلَى التَّارِيخِ الضَّائِعِ ، أَوْ يَقُصَّ عَلَيْهِمْ عِبْرَةَ الدَّهْرِ فِي آبَائِهِمْ وَعِظَةَ الأَيَّامِ فِي أَنْفُسِهِمْ ، وَأَنْ يَرْبِطَ الأَسْبَابَ بِالْمُسَبَّبَاتِ وَيَأْسُوَ الضَّعْفَ بِالقُوَّةِ وَيُعَالِجَ الْخَوَرَ بِالشَّجَاعَةِ وَالذِّلَّةَ بِالصَّرَامَةِ ، وَأَنْ لا يَبْعَثَ لَهُمْ شَجًى إِلَّا وَأَرْدَفَهُ بِالسَّلْوَى ، وَلا خَطَأً إِلَّا وَكَشَفَ مَعَهُ وَجْهَ الصَّوَابِ ، وَلَا أَلَماً مَاضِياً إِلَّا وَذَكَرَ لَهُ عِلاجاً حَاضِرًا ، وَإِذَا أَثَارَ عَوَاطِفَهُمْ أَوْ أَهْرَقَ دُمُوعَهُمْ أَوْ أَشْعَلَ حَمَاسَهُمْ ، فَلْيَضَعْ بَيْنَ أَيْدِيهِمُ الْمَشَارِيعَ الْعِلْمِيَّةَ الَّتِي يَسْتَطِيعُونَ بِهَا أَنْ يُطْفِئُوا مَا تَأَجَّجَ مِنْ حَمَاسِهِمْ وَاهْتَاجَ مِنْ عَوَاطِفِهِمْ ، حَتَّى لَا يَخْرُجُوا عَنْ مَوْضُوعِ الْخَطَابَةِ وَفِيهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْحِيرَةِ وَالارْتِبَاكِ ،

أَوِ الْأَلَمِ الْعَابِثِ الْخَاوِي الَّذي يَقْذِفُ بِالرُّوحِ الْإِسْلامِيَّةِ إِلَى وَهْدَةِ الْيَأْسِ وَالرُّكُودِ .

وَهُنَاكَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ الْإِسْلامِ أَغْفَلَهُ الْمُسْلِمُونَ في عُصُورِ الانْحِطَاطِ ، ذٰلِكَ هُوَ الدَّعْوَةُ إِلَى الْقُوَّةِ وَالاسْتِعْدَادِ ، وَلَنْ تَجِدَ عَمَلاً مِنْ أَعْمَالِ النُّبُوَّةِ وَلَا نَزْعَةً مِنْ نَزَعَاتِهَا ، وَلا أَثَرًا مِنْ آثَارِهَا الْمَادِّيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ إِلاَّ وَفِيهَا مَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْقُوَّةِ أَوْ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِهَا ، وَلٰكِنَّ جُهَّالَ الْعُلَمَاءِ في عُصُورِ الْغَفْلَةِ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَضَعُوا لِبَعْضِ أَغْرَاضِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلامِيَّةِ صُوَرًا مَقْلُوبَةً مَعْكُوسَةً تُنَاقِضُ الْأَصْلَ السَّمَاوِيَّ تَمَامَ الْمُنَاقَضَةِ . وَسَأَذْكُرُ عَلَى جِهَةِ الْمِثَالِ نَاحِيَةً مِنْ نَوَاحِي الدَّعْوَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ كَانَتْ سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ ، فَأَصْبَحَتْ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ الضَّعْفِ وَالْخَوَرِ ، وَهِيَ التَّزْهِيدُ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا وَالدَّعْوَةُ إِلَى الاسْتِهَانَةِ بِشَأْنِهَا . فَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يُرَبِّي أَتْبَاعَهُ عَلَى كُرْهِهَا ، وَلٰكِنْ لا لِيُبَرِّدَ مَضَاجِعَهُمْ بِالنَّوْمِ الْعَاطِلِ الْبَلِيدِ ، بَلْ لِيُسْقِطَ قِيمَةَ الْحَيَاةِ فِي نَظَرِهِمْ وَاعْتِقَادِهِمْ ، وَيَمْنَحَهُمْ مِنَ الْمُثُلِ الْأَخْلاقِيَّةِ الْعُلْيَا مَا هُوَ أَسْمَى مِنَ الْحَيَاةِ وَأَفْخَمُ شَأْناً مِنْ مَظَاهِرِهَا وَقُشُورِهَا ، حَتَّى يَسْهُلَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُفَضِّلُوا الْكِفَاحَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ فِي شَظَفِ الْعَيْشِ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالنَّعِيمِ وَالرَّخَاءِ ، وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . وَهٰذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتي كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَعِدَّ بِهَا الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ضِدَّ أَعْدَائِهِ الْأَشِدَّاءِ الَّذينَ يَعِيشُونَ عَلَى رِمَالِ الصَّحْرَاءِ ، وَيَثِبُونَ عَلَى صُخُورِهَا وَكُثْبَانِهَا صُفْرَ الْأَيْدِي خِفَافَ الظُّهُورِ كِبَارَ الْقُلُوبِ

وَالْعُقُولِ . وَبِمِثْلِ تِلْكَ التَّرْبِيَةِ النَّبَوِيَّةِ الْعَالِيَةِ تَنْبُعُ الْقُوَّةُ الْهَائِلَةُ مِنْ أَعْمَاقِ النَّفْسِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي لا تَغْلِبُهَا أَيَّةُ قُوَّةٍ فِي الدُّنْيَا .

أَمَّا جَهَلَةُ الْعُلَمَاءِ فَقَدْ جَعَلُوا مِنْهَا أَفْتَكَ سِلاحٍ يَقْتُلُ الرُّوحَ الْإِسْلامِيَّةَ الْأُولَى ، فَبَثُّوا فِي جُمُوعِ الْمُسْلِمِينَ التَّهَاوُنَ بِشُئُونِ الدُّنْيَا وَالِانْصِرافَ عَنْهَا ، لَا إِلَى الْكِفَاحِ وَالنِّضَالِ وَالتَّضْحِيَةِ ، بَلْ إِلَى الذِّلَّةِ وَالضَّرَاعَةِ وَالْمَسْكَنَةِ ، حَتَّى كَأَنَّ الدِّينَ الْإِسْلامِيَّ كَمَا يَزْعُمُونَ مَا جَاءَ إِلَّا لِيُهَيِّءَ شَطْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ لِلْإِذْلالِ وَالاسْتِعْبَادِ ، وَكَأَنَّمَا هُوَ دِينُ الْأَحْزَانِ وَالْآلامِ وَالضَّيَاعِ وَالْحِرْمَانِ ، تَعَالَى اللهُ وَتَقَدَّسَ دِينُهُ عَمَّا يَصِفُونَ وَيَتَوَهَّمُونَ .

هَلْ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُزَهِّدَ الرَّسُولُ ﷺ أَصْحَابَهُ فِي حَمْلِ السُّيُوفِ وَاقْتِنَاءِ الْقِسِيِّ وَالنِّبَالِ ، وَتَرْبِيَةِ الْجِيَادِ الصَّوَافِنِ وَهِيَ عُدَّتُهُمْ فِي الْحَرْبِ وَسِلاحُهُمْ ضِدَّ الْمُغِيرِينَ ؟ أَمْ كَانَ يَرْضَى أَنْ يَرَى فُرْسَانَهُ وَأَبْطَالَهُ ضِعَافَ الْأَجْسَامِ صُفْرَ الْوُجُوهِ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ ، وَقَدْ أَمَرَهُمْ بِالْهَرْوَلَةِ فِي السَّعْيِ لِيُعْلِنُوا قُوَّتَهُمْ لِأَعْدَائِهِمْ ؟

فَإِذَا كَانَ مِنَ الْبَدِيهِي أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَا يُحِبُّ ذٰلِكَ وَلا يَرْضَاهُ فَإِنَّمَا ذٰلِكَ لِأَنَّهُ يُضْعِفُ قُوَّةَ الْمُسْلِمِين . وَلَوْ كَانَ لِلْقُوَّةِ أَسْبَابٌ غَيْرَ تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ مَعْرُوفَةً إِذْ ذَاكَ لَدَعَا إِلَيْهَا وَاسْتَخْدَمَهَا كَمَا فَعَلَ فِي وَاقِعَتَيْ ثَقِيفٍ وَالْأَحْزَابِ . وَنَحْنُ فِي هٰذَا الْعَصْرِ يَتَحَتَّمُ عَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ بِجَمِيعِ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ وَنَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهَا عَلَى أَنَّهَا أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ

الدِّينِ الْأَسَاسِيَّةِ الدَّاخِلَةِ تَحْتَ قَاعِدَةِ (مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلاَّ بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ) . وَإِذَا أَخَذْنَا بِهٰذَا الْأَصْلِ أَوْ هٰذِهِ الْقَاعِدَةِ فَلَنْ تَفُوتَنَا شَارِدَةٌ وَلا وَارِدَةٌ مِنْ خَيْرَاتِ الْحَيَاةِ الْحِسِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ، لِأَنَّ الْحَيَاةَ الْإِنْسَانِيَّةَ أَصْبَحَتْ وَحْدَةً وَاحِدَةً لا تَتَلَوَّنُ وَلا تَقْبَلُ التَّجْزِئَةَ وَهِيَ فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ وَعِنْدَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ عَلَى شَكْلٍ وَاحِدٍ لَا يَخْتَلِفُ ، فَمَنْ أَخَذَهَا أَخَذَهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً وَمَنْ تَرَكَهَا تَرَكَهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً . وَأَنَا أَعْنِي بِكَلِمَةِ (الْحَيَاةِ) صَمِيمَهَا وَلُبَابَهَا ، لا قُشُورَهَا الزَّائِفَةَ الْمُفْتَعَلَةَ الَّتِي تَخْتَلِفُ عَلَيْهَا طَبَائِعُ الشُّعُوبِ وَالْأَقْطَارِ .

فَإِذَا أَخَذَ خُطَبَاءُ الْمَنَابِرِ بِهٰذَا الرَّأْيِ وَاقْتَنَعُوا بِهِ فَلا بُدَّ أَنْ يَتَطَوَّرَ الْمُجْتَمَعُ الْإِسْلامِي وَيَرْتَفِعَ مُسْتَوَى الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَكَانَةِ الَّتِي تَقَرُّ بِهَا عَيْنُ كُلِّ مُسْلِمٍ غَيُورٍ .

وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ خَطِيبَنَا الْأُسْتَاذُ الْبَيْحَانِي يُشِيرُ فِي كَثِيرٍ مِنْ خُطَبِهِ إِلَى مَا لا تَتِمُّ الْقُوَّةُ الْإِسْلامِيَّةُ إِلاَّ بِهِ ، وَهُوَ تَمَاسُكُ الْأَخْلاقِ ، وَمُحَارَبَةُ الرَّذَائِلِ النَّفْسِيَّةِ وَالْحِسِّيَّةِ ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى الْعِلْمِ وَالصِّنَاعَةِ ، وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ خَيْرِ الْمَدَنِيَّةِ وَشَرِّهَا ، وَذَمُّ الْبَطَالَةِ ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ الْمُفِيدَةِ النَّافِعَةِ .

وَخَيْرٌ لِي وَلِلْقُرَّاءِ وَلِلْخَطِيبِ أَنْ لا أُطِيلَ فِي هٰذِهِ الْمُقَدِّمَةِ الْعَاجِلَةِ .

وَأَنْ أُحِيلَهُمْ إِلَى نَفْسِ الْخُطَبِ الْبَيْحَانِيَّةِ فَإِنَّهَا أَحْرَى أَنْ تُوَفِّي صَاحِبَهَا مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الثَّنَاءِ وَالتَّقْدِيرِ .

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ .

بسم الله الرحمن الرحيم

هٰذَا كِتَابُ الْفُتُوحَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ ، بِالْخُطَبِ وَالْمَوَاعِظِ الْقُرْآنِيَّةِ ، الَّتي كَانَ يُلْقِيهَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمِ بْنِ حُسَيْنٍ الْكَدَادِي البَيْحَانِي في جَامِعِ العَسْقَلانِي بِعَدَنٍ ، وَهُوَ الْمَوْجَةُ الْأُولَى مِن هٰذا الْبَحْرِ ، وَبِعَوْنِ اللهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ سَتَتَتَابَعُ أَجْزَاءُ هٰذَا الْكِتَابِ تَتَابُعَ الْمَوْجِ في الْعُبَابِ ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْهَادِي إِلَى سَبِيلِ الصَّوَابِ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْأَنَامِ ، وَمِسْكِ الْخِتَامِ ، وَعَلَى آلِهِ الْكِرَامِ ، وَصَحَابَتِهِ الْأَعْلامِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَعَلَيْنَا وَمَعَهُمْ وَفِيهِمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

الخطبة الأولى

فِي تَوْحِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

الْحَمْدُ للهِ الْخَالِقِ الْبَارِىءِ الْمُصَوِّرِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ، الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلامِ الْمُؤْمِنِ الْمُهَيْمِنِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ الْمُتَكَبِّرِ الْحَلِيمِ ،

رَبِّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ . لا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى آلاَئِهِ ، وَنَشْكُرُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى نَعْمَائِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْحُكْمُ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْعَظِيمُ وَخَاتَمُ أَنْبِيَائِهِ ، أَرْسَلَهُ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ فَأَظْهَرَ بِهِ الْحَقَّ ، وَأَرْشَدَ بِهِ الْخَلْقَ ، وَكَذٰلِكَ فَضْلَ اللهُ . لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْعَارِفِ بِجَلاَلِ رَبِّهِ ، وَالْمَغْفُورِ لَهُ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ مِنْ ذَنْبِهِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَعِتْرَتِهِ وَحِزْبِهِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي تَوْحِيدِ رَبِّنَا وَطَاعَتِهِ بِفَرْضِهِ وَنَدْبِهِ ، وَالاعْتِمَادِ عَلَيْهِ تَعَالَى وَالثِّقَةِ بِهِ ، وَمَنْ وَثِقَ بِاللهِ فَبِحَسْبِهِ «قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ، أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ، قُلْ حَسْبِيَ اللهُ . لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ .

أَيُّهَا النَّاسُ : مَنِ الَّذِي تَنَزَّهَ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ وَالنُّظَرَاءِ وَالْأَشْبَاهِ ، وَمَنِ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَتَطَأْطَأَتْ لَهُ الرُّؤُوسُ وَسَجَدَتْ لِهَيْبَتِهِ الْجِبَاهُ ، وَاطْمَأَنَّتْ بِذِكْرِهِ الْقُلُوبُ وَسَبَّحَتْ بِحَمْدِهِ الْأَفْوَاهُ ، أَلَا إِنَّمَا هُوَ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ وَبَسَطَ الْأَرْضَ وَنَصَبَ الْجِبَالَ وَأَجْرَى الْمِيَاهَ ،

فَالِقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُخرِجِ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ وَمُحْيِي الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا فَتَبَارَكَ اللهُ «أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شجَرَهَا أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ » لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ .

إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذي لا تَنْفَعُهُ عِبادَةُ الطَّائِعِينَ ، وَلا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ الكُفَّارِ وَالْفَاسِقِينَ فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، وَيَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ لِلسَّائِلِينَ وَالتَّائِبِينَ لَيْلًا وَنَهارًا ، وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَظِيمُ الَّذي لا يُبَارَى ، وَالْمُتَفَضِّلُ الْكَرِيمُ الَّذي لا يُجارى ، رَازِقُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ مُسْلِمِينَ وَكُفَّارًا ، وَطَائِعِينَ وَفُجَّارًا ، فَمَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ، أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهارًا ، وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ ؟ لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ .

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ ، وَكُنْتَ لا شَيْءَ في الْعَدَمِ فَأَوْجَدَكَ وَأَحْيَاكَ ، وَبِفَضْلِهِ غَذَّاكَ ، وَبِإِحْسَانِهِ رَبَّاكَ . يُحِيطُكَ بِلُطْفِهِ وَبِعَيْنِ عِنَايَتِهِ يَرْعَاكَ . فَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَيُمْهِلُكَ . وَتَتُوبُ إِلَيْهِ فَيَقْبَلُكَ . وَإِذَا دَعَوْتَهُ اسْتَجَابَ لَكَ وَلَبَّاكَ . وَإِذَا اسْتَعَنْتَ بِهِ فِي الشِّدَّةِ أَعَانَكَ وَنَجَّاكَ . وَإِنْ سَأَلْتَهُ أَعْطَاكَ . وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ شِبْرًا تَقَرَّبَ مِنْهُ ذِرَاعاً . وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنْهُ ذِرَاعاً تَقَرَّبَ مِنْهُ بَاعاً . وَإِذَا وَقَفْتَ بِبَابِهِ وَاسْتَغْنَيْتَ عَنْ غَيْرِهِ كَفَاكَ . تَقُولُ يَارَبِّ يَارَبِّ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ . وَإِذَا مَا ذَكَرْتَهُ فَهُوَ لَا يَنْسَاكَ . أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ . لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ .

فَكَيْفَ تَعْصِيهِ يَا عَبْدَ اللهِ وَهُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ ، وَكَيْفَ تُعْرِضُ عَنْ بَابِهِ وَتَسْأَلُ غَيْرَهُ وَهُوَ الَّذِي أَمَرَكَ بِالسُّؤَالِ ، وَوَعَدَكَ بِالْإِجَابَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، مَا لَمْ تُبْطِلِ الدُّعَاءَ بِالاعْتِدَاءِ فِيهِ أَوِ الاسْتِعْجَالِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ ، وَهُوَ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ الْغَنِيُّ بِمَا لَدَيْهِ . فَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، فَإِنَّهُ وَاسِعُ الجُودِ شَدِيدُ المحَالِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ . رُفِعَتِ الْأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ بِمَا كَانَ أَوْ سَيَكُونُ فِي الْمَاضِي وَالْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ . أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ؟ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ ؟ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ .

لا تَرْكَعْ وَلا تَسْجُدْ وَلَا تَحْلِقْ وَلَا تَذْبَحْ وَلَا تَنْذُرْ إِلاَّ للهِ ، وَلَا تَرْجُ وَلَا تَطْمَعْ وَلَا تَرْغَبْ إِلاَّ فِيمَا عِنْدَ اللهِ ، وَلا تَرْهَبْ وَلَا تَخَفْ وَلَا تَفْزَعْ مِنْ أَيِّ مَخْلُوقٍ مَا دَامَ حَسْبُكَ اللهُ ، وَلَا تَخْشَعْ وَلَا تَخْضَعْ وَلَا تَذِلَّ إِلاَّ لِلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ فَلَا تَتَوَكَّلْ إِلاَّ عَلَيْهِ وَلَا تَسْتَعِنْ بِسِوَاهُ ، إِلْزَمْ بَابَهُ وَاتْرُكْ غَيْرَهُ ، وَاسْأَلْ فَضْلَهُ وَاطْلُبْ خَيْرَهُ ، وَفَوِّضْ أَمْرَكَ كُلَّهُ إِلى اللهِ . قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ

شَيءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلهِ . لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ .

يَقُولُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عِنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَأَتَيْتُكَ بِقرَابِهَا مَغْفِرَةً . وَقَالَ تَعَالَى «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ . يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ . يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ . وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «إِنِّي أَنَا وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ فِي نَبَإٍ عَظِيمٍ ، أَخْلُقُ فَيُعْبَدُ غَيْرِي ، وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِي .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الْإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى . لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ .

جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَتَمْجِيدِهِ وَوَفَّقَنَا جَمِيعاً إِلَى مَا يَجِبُ لَهُ تَعَالَى عَلَى عَبِيدِهِ . آمِينَ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ وَأَنْفَعَهُ . وَأَبْلَغَهُ وَأَرْفَعَهُ . كَلامُ الَّذِي

بِيَدِهِ الْمَضَرَّةُ وَالْمَنْفَعَةُ . وَإِنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ وَقَوْلُهُ عَظِيمٌ «وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ . وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ . يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

الخطبة الثانية

فِي التَّوْحِيدِ وَالإِخْلاصِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَرَادَ فَقَدَّرَ . وَمَلَكَ فَقَهَرَ . وَخَلَقَ فَأَمَرَ . وَعُبِدَ فَأَثَابَ وَشَكَرَ . وَعُصِيَ فَعَذَّبَ وَغَفَرَ . وَجَعَلَ مَصِيرَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى سَقَرَ وَالَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً » .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَحَمْدُهُ فَرْضٌ لَازِمٌ . وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى فَضْلِهِ الْمُسْتَمِرِّ وَإِحْسَانِهِ الدَّائِمِ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ القَادِرُ الْمُرِيدُ السَّمِيعُ البَصِيرُ الْمُتَكَلِّمُ الْعَالِمُ . وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْمَكَارِمِ . وَالْمُنْقِذُ الأَعْظَمُ مِنَ الكُفْرِ وَالْمَآثِمِ ، وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَانْتِهَاكِ الْمَحَارِمِ .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ بَنِي هَاشِمٍ . وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَكَارِمِ . وَالْمَوْصُوفِينَ بِصِدْقِ الْعَزَائِمِ . وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنَ الْأَعَارِبِ وَالْأَعَاجِمِ .

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً» .

عِبَادَ اللهِ . إِنَّ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ وَبَنَاهَا ، فَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . وَبَسَطَ الْأَرْضَ وَدَحَاهَا . وَأَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ، قَدْ أَلْهَمَ كُلَّ نَفْسٍ فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، وَضَلالَهَا وَهُدَاهَا ، وَحَذَّرَهَا أَنْ تَتْبَعَ هَوَاهَا . فَأَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَخَابَ مَنْ دَسَّاهَا ، وَالْجَنَّةُ بَعْدَ ذٰلِكَ مَثْوَاهَا ، أَوِ الْجَحِيمُ مَأْوَاهَا «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيماً» .

مَنْ عَرَفَ اللهَ تَصَوَّرَ ابْتِعَادَهُ مِنَ اللهِ وَقُرْبَهُ ، فَجَعَلَ الطَّاعَةَ شُغْلَهُ وَرَاقَبَ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ إِلٰهَهُ وَرَبَّهُ . وَمَنْ اسْتَشْعَرَ الْجَبَرُوتَ وَالرَّحَمُوتَ خَافَ وَطَمِعَ وَاجْتَمَعَتْ فِي قَلْبِهِ الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ ، وَمَا اجْتَمَعَ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ إِلَّا وَأَمَّنَهُ اللهُ مِمَّا يَخَافُ وَأَعْطَاهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَحَبَّهُ . وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ . فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ ظَنُّهُ فِي اللهِ حَسَناً ، وَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا مَنِ اسْتَصْغَرَ ذَنْبَهُ وَغَشِيَ الرَّانُ قَلْبَهُ . وَاللهُ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ . قَالَ تَعَالَى «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيماً» .

وَاللهِ لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَسْبَغَ رَبُّهُ عَلَيْهِ النِّعْمَةَ أَنْ يَعْصِيَهُ طَرْفَةَ عَيْن وَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَهُ مِنَ الْعَدَمِ . وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَعْلَمْ . وَزَيَّنَهُ بِالْعَقْلِ وَالتَّدْبِيرِ وَالْمَنْطِقِ وَالتَّفْكِيرِ . وَكَمْ للهِ عَلَى عَبْدِهِ مِنْ دِينٍ ، فَطَعْمٌ وَشَمٌّ وَلَمْسٌ وَسَمْعٌ وَبَصَرٌ . وَدِينٌ وَصِحَّةٌ وَمَالٌ وَزَوْجَةٌ وَأَوْلَادٌ وَبِلَادٌ وَمَعْشَرٌ . وَأَكْرَمَهُ بِالْعَيْنَيْنِ وَاللِّسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ ثُمَّ هَدَاهُ النَّجْدَيْنِ . وَبَعَثَ الرَّسُولَ وَأَنْزَلَ الكِتَابَ وَأَحَلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْخَبَائِثَ وَأَمَرَكُمْ بِكُلِّ زَيْنٍ . وَنَهَاكُمْ عَنْ كُلِّ شَيْنٍ . وَإِنْ تَعْبُدُوهُ فَلَنْ تَنْفَعُوهُ ، وَإِنْ تَعْصُوهُ فَلَنْ تَضُرُّوهُ ، وَإِنْ تَتَوَلَّوا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ . فَمِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ وَإِلَى أَيْنَ أَنْتُمْ سَائِرُونَ إِلَى أَيْنَ ؟ «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً» . .

يَا ابْنَ آدَمَ ، فَضَّلَكَ اللهُ عَلَى سَائِرِ مَخْلُوقَاتِهِ وَأَوْجَدَكَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، وَعَرَفْتَ مِنْ آلَائِهِ وَعَجَائِبِ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ مَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّهُ الصَّانِعُ الْحَكِيمُ ، وَالسَّيِّدُ الْمَالِكُ الْعَظِيمُ وَأَخْبَرَكَ أَنَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ . فَمَا لَكَ لَا تُؤَدِّي فَرَائِضَهُ وَلَا تَكُفُّ عَنْ مَحَارِمِهِ ، وَلَا تَرْغَبُ فِي مَا عِنْدَهُ وَلَا تَرْهَبُ مِمَّا لَدَيْهِ . فَعَرْشُهُ مَجِيدٌ وَفَضْلُهُ عَظِيمٌ ، وَبَطْشُهُ شَدِيدٌ وَعَذَابُهُ أَلِيمٌ . وَاللهُ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ . وَلَا يَسْلُبُ نِعْمَتَهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُجَاهِرُوهُ بِالْمَعَاصِي وَيَكْثُرَ فِيهِمُ الْخُبْثُ وَيُضِلَّهُمُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ . وَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ

اللهُ مِنْهُ وَهُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . قَالَ اللهُ تَعَالَى «مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيماً» .

يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ . إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ . فَكُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مِنْكَ مَا تُبْدِيهِ وَمَا تُخْفِيهِ . وَسَوْفَ يُجَازِيكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ جَزَاءً مَوْفُورًا يَوْمَ تَأْتِيهِ ، فَسَيِّئَةٌ بِمِثْلِهَا وَحَسَنَةٌ بِعَشَرَةِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ فَيَا سَعَادَةَ مَنْ يُطِيعُهُ وَيَا شَقَاوَةَ مَنْ يَعْصِيهِ . وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ وَمَنْ يَهْدِ اللهَ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَغَيْرُهُ لَا يَهْدِيهِ . وَمَنِ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الْأَمَانِي فَهُوَ الْعَاجِزُ الْبَعِيدُ عَنْهُ مَا يَسُرُّهُ وَيُرْضِيهِ ، وَالْقَرِيبُ مِنْهُ مَا يَسُوؤُهُ وَيُخْزِيهِ «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيباً ، يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً» .

عَجَباً لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، تَعْبُدُ رَبّاً لَا يَمْلِكُ لَكَ ضُرًّا وَلَا رَشَدًا وَتُعْرِضُ عَنِ اللهِ وَتَدْعُو سِوَاهُ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ تَعَالَى «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا» فَتُخَالِفُ الْقُرْآنَ ، وَتُبَارِزُ الرَّحْمٰنَ بِالْعِصْيَانِ ، وَتَنْقَادُ لِلشَّيْطَانِ فِي السِّرِّ وَالإِعْلَانِ . وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا . مَا أَصْعَبَ قِيَادَكَ . وَمَا أَشَدَّ عِنَادَكَ ، يَا مُعْرِضاً عَنِ اللهِ وَمُقْبِلًا عَلَى غَيْرِهِ «وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَدًا» . كَيْفَ تَخْضَعُ لِلْأَوْهَامِ ، وَتَنْقَادُ

لِضعَفَاءِ الأَحْلامِ . وَتَسْتَقْسِمُ بِالأَزْلامِ . وَتَسْأَلُ حَاجَاتِكَ مِنَ الأَنَامِ .
وَقَدْ جَاءَ فِي أَصْدَقِ الْكَلامِ . خِطَاباً لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ
« قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا » ـ
« إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً » .

الإِخْلاصُ فِي التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ يُدْخِلُ صَاحِبَهُ الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُهُ عَنِ
النَّارِ . وَالاعْتِمَادُ عَلَى اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يُجِيرُ صَاحِبَهُ مِنَ الْمَهَانَةِ
وَالاحْتِقَارِ . وَمُرَاقَبَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ تَمْنَعُ الْعَبْدَ الصَّالِحَ مِنَ التَّدَنُّسِ
بِالأَقْذَارِ . وَمَنِ اعْتَزَّ بِغَيْرِهِ تَعَالَى أَذَاقَهُ اللهُ لِبَاسَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَالْفَضِيحَةِ وَالْعَارِ . وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً دُونَ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَيْهِ فِي الآخِرَةِ
وَفِي هٰذِهِ الدَّارِ . وَمَنْ عَبَدَ سِوَاهُ أَوِ اسْتَعَانَ بِغَيْرِهِ أَوْ طَلَبَ حَاجَتَهُ مِنْ
دُونِ اللهِ فَقَدْ بَاءَ بِالْخَيْبَةِ وَالْخَسَارِ . فَاحْفَظِ اللهَ يَا عَبْدَ اللهِ تَجِدْهُ
أَمَامَكَ . تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ
لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَأَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ
مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَالاعْسَارُ يَعْقُبُهُ الْيَسَارُ « وَمَا تَشَاؤُونَ
إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً . يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي
رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً » .

لَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِالدُّعَاءِ وَوَعَدَ السَّائِلِينَ بِالإِجَابَةِ وَهُوَ أَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ
« وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » .

وَقَالَ تَعَالَى «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخِفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» .

فَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَمُجِيبَ السَّائِلِينَ ، وَفِّقْ عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِلتَّوْحِيدِ وَصِدْقِ الْيَقِينِ ، وَإِقَامَةِ شَعَائِرِ الدِّينِ . وَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ تَقُولُ فِيهِم وَقَوْلُكَ الْحَقُّ الْمُبِينُ «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً» .

الخطبة الثالثة

فِي تَوْحِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالرَّدِّ عَلَى الطَّبِيعِيِّينَ

الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَبَارِىءِ النَّسَمِ . يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَيُوجِدُ الْأَشْيَاءَ مِنَ الْعَدَمِ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ فَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَعْلَمْ . وَتَبَارَكَ اللهُ فِيمَا أَخَّرَ وَقَدَّمَ ، وَنَقَضَ وَأَبْرَمَ ، وَأَبْدَعَ وَنَظَّمَ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَهُوَ صَاحِبُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى سَوَابِغِ النِّعَمِ ، وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ الدَّائِمَةَ وَحُسْنَ الْخِتَامِ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ

الرَّحِيمُ . وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ وَالْقَائِلِ ﷺ «اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَسْتَ بِإِلَهٍ اسْتَحْدَثْنَاهُ . وَلا بِرَبٍّ ابْتَدَعْنَاهُ ، وَلا كَانَ لَنَا قَبْلَكَ مِنْ إِلَهٍ نَلْجَأُ إِلَيْهِ وَنَذَرُكَ . وَلَا أَعَانَكَ عَلَى خَلْقِنَا أَحَدٌ فَنُشْرِكُهُ فِيكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ» وَالْمُوحَى إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي عَرَفَ اللهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ . وَعَبَدَهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ وَدَعَا إِلَيْهِ بِحُسْنِ مَوْعِظَتِهِ . وَبَلِيغِ حِكْمَتِهِ ، وَبَالِغِ حُجَّتِهِ ، وَنَصَبَ الْأَدِلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُتَفَرِّدُ بِأُلُوهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي قَبْضَتِهِ ، وَبَيْنَ إِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ وَأَعْرَفِهِمْ بِاللهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالاهُ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ أَفْضَلَ صَلاةٍ وَسَلامٍ .

عِبَادَ اللهِ ، مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَجَعَلَ فِيهَا بُرُوجاً وَزَيَّنَهَا لِلنَّاظِرِينَ ، وَأَرْسَلَ الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْشَأَ مِنْهَا السُّحُبَ وَأَنْزَلَ مِنْهَا الْمَاءَ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ، وَمَنِ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا . وَفَجَّرَهَا عُيُوناً وَأَنْهَارًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ . أَلَيْسَ خَالِقُ هٰذَا وَمُدَبِّرُهُ هُوَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ «وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا

فِي كِتَابٍ مُبِينٍ » «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ » فَسُبْحَانَهُ مِن إِلَهٍ يَخْلُقُ فَيُعْبَدُ غَيْرُهُ ، وَيَرْزُقُ خَلْقَهُ فَيَشْكُرُونَ غَيْرَهُ ، وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ وَالْأَحْلَامِ .

أَوْجَدَكَ اللهُ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ عَدَمٍ مَحْضٍ وَخَلَقَكَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا أَنْتَ فِيه تُخَاصِمُ ، وَزَيَّنَكَ بِالْعَقْلِ وَالتَّفْكِيرِ ، وَمَيَّزَكَ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ بِحُسْنِ التَّدْبِيرِ . وَخَلَقَكَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ فَجِئْتَ تُجَادِلُ وَتُقَاوِمُ . وَأَعْطَاكَ حَظًّا وَافِرًا مِنْ هِبَاتِهِ ، وَمَنَحَكَ شَيْئاً كَثِيرًا مِن صِفَاتِهِ ، فَأَنْتَ قَادِرٌ وَمُرِيدٌ ، وَسَمِيعٌ وَبَصِيرٌ ، وَمُتَكَلِّمٌ وَعَالِمٌ ، فَأَنْكَرْتَ الْجَمِيلَ . وَحَاوَلْتَ إِبْطَالَ الدَّلِيلِ ، وَأَظْهَرْتَ مِنْ نَفْسِكَ ما مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّكَ حَقِيرٌ وَذَلِيلٌ ، وَأَمْرُكَ هَيِّنٌ وَكَيْدُكَ ضَعِيفٌ وَنَظَرُكَ كَلِيلٌ ، وَأَنْتَ جَهُولٌ وَظَالِمٌ ، تُؤَلِّهُ الطَّبِيعَةَ ، وَتَنْسُبُ إِلَيْهَا النُّظُمَ الْبَدِيعَةَ ،وَتَزْعَمُ أَنَّ الْوُجُودَ خَالِقُ نَفْسِهِ وَمُكَوِّنُ أَجْزَائِهِ الْوَضِيعَةِ وَالرَّفِيعَةِ ، فَيَالَكَ مِنْ جَحُودٍ عَنُودٍ آثِمٍ ، فَلَنْ تَأْتِيَ الصُّدَفُ بِهٰذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتِ ، وَلَا يَجُوزُ شَرْعاً وَلَا عَقْلاً وَلَا عَادَةً وَلَا عُرْفاً أَنْ تَكُونَ نَفْسَهَا هٰذِهِ الْعَوَالِمُ ، وَلٰكِنَّ الْأَثَرَ يَدُلُّ عَلَى الْمُثِيرِ ، وَالْبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ . وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ ، تَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ الْحَكِيمِ الْحَاكِمِ (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ) .

كَانَ الْفَلاسِفَةُ الْقُدَمَاءُ يَبْحَثُونَ عَنْ صَانِعِ هٰذَا الْكَوْنِ فَيَرَوْنَ أَنَّهُ إِلَهَ الآلِهَةِ أَوْ قُوَّةُ الْقُوَى ، فَآمَنُوا بِوُجُودِهِ وَجَهِلُوا حَقِيقَتَهُ وَقَالُوا مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ فِي هٰذَا الْوُجُودِ سَوَاءٌ . وَجَاءَتِ الأَدْيَانُ مُوَجَّهَةٌ لِبَنِي الإِنْسَانِ إِلى اللهِ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هدَى . وَكَانَ بَيْنَ دِيَانَةِ الرُّومَانِ وَفَلْسَفَةِ الْيُونَانِ وِفَاقٌ مِنْ جِهَةٍ وَشِقَاقٌ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ، فَطَائِفَةٌ تَشُكُّ فِي الْهَيُولَى وَالْفِيزِيقَا وَطَائِفَةٌ تُؤَلِّهُ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ، وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ، وَاسْتَمَرَّ الخِلافُ يَشْتَدُّ تَارَةً وَيَخِفُّ تَارَةً حَتَّى جَاءَ الإِسْلامُ الَّذِي حَرَّرَ العَقْلَ مِنْ أَسْرِهِ ،وَأَطْلَقَهُ مِنْ غِلِّهِ وَإِصْرِهِ وَظَهَرَتْ أَدِلَّتُهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي مَا ضَلَّ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . فَعَرَّفَ الْخَلْقَ بِاللهِ ، وَصَرَفَهُمْ إِلَيْهِ عَمَّا سِوَاهُ ، وَأَبْطَلَ الأَضْدَادَ وَالأَنْدَادَ . وَنَزَّهَ الرَّبَّ عَنِ الأَبْنَاءِ وَالأَحْفَادِ ، وَالآبَاءِ وَالأَجْدَادِ . وَأَخْبَرَ أَنَّهُ خَالِقُ الأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتِ الْعُلا . وَأَنَّهُ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، وَقَالَ ﷺ «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ فَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ قَدْرَهُ » وَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ قُلْ لِي فِي الإِسْلامِ قَوْلاً لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ ، فَقَالَ لَهُ «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ» فَطُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاسْتَقَامَ

يَتَوَهَّمُ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ مِنَ الأَشْيَاءِ إِلاَّ ظَوَاهِرَهَا ، وَلا يُدْرِكُونَ مِنَ الْوُجُودِ إِلاَّ الْمَحْسُوسَ ، أَنَّهُ لا رَبَّ ولا مُوجِدَ وَلا مُبْدِعَ لِمَا فِي الْكَوْنِ مِنَ الْمَعْنَوِيَّاتِ وَالطُّقُوسِ ، وَيَظُنُّ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا الدِّينَ أَوْ

خَرَجُوا عَنْ تَعَالِيمِهِ أَنَّهُ لَا خَالِقَ لِرَاءٍ وَلَا مَرْئِيٌّ . وَلَا سَامِعٍ وَلَا مَسْمُوعَ وَلَا لامِسٍ وَلا مَلْمُوسٍ . وَقَدْ أَنْكَرُوا قِدَمَ اللهِ وَبَقَاءَهُ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ . وَقَالَ قَائِلُهُمْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ، وَآمَنَ بَعْضُهُمْ بِتَنَاسُخِ الْأَرْوَاحِ وَمَا يَقَعُ مِنَ الائْتِلافِ وَالاخْتِلافِ بَيْنَ الْأَجْسَامِ وَالنُّفُوسِ . وَصَارُوا إِبَاحِيَّةً شَهْوَانِيِّينَ وَفَلاسِفَةً سُفْسَطَائِيِّينَ . يَعِيشُونَ كَمَا يَشَاؤُونَ . وَأَعْجَبَهُمْ مَا يَقْرَءُونَ أَوْ يَسْمَعُونَ مِنَ الْكُفْرِيَّاتِ فِي الْكُتُبِ وَالدُّرُوسِ . تُذَكِّرُهُمْ بِاللهِ فَلَا يَذَّكَّرُونَ . وَتُخَوِّفُهُمْ بِالْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ فَيَهْزَءُونَ بِكَ وَيَسْخَرُونَ وَيَحْتَقِرُونَ قَوْلَ اللهِ فِي جَانِبِ قَوْلِ أَرِسْطَالِيسَ وَفِيثَاغُورَ وَأَفْلاطُونَ . وَصَاحِبُ الْقُرْآنِ فِي نَظَرِ الْقَوْمِ بَلِيدٌ وَجَامِدٌ وَمَنْحُوسٌ . وَكَذَلِكَ تَذْهَبُ الْأَدْيَانُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ وَالإِيمَانُ وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالخُرَافَاتُ وَالْأَوْهَامُ

تَمَسَّكَ آبَاؤُنَا بِالدِّينِ وَأَدْرَكُوا مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ وَعَرَفُوا سِرَّهُ الْمَكْنُونَ . فَأَخَذُوهُ غَضاً طَرِياً وَصَافِياً نَقِيّاً عَنْ صَاحِبِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ الْمَأْمُونِ ، وَسَمِعُوهُ يَقُولُ (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ . وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) فَآمَنُوا بِاللهِ وَاسْتَبَانَ لَهُمْ سَبِيلُ النَّجَاةِ . وَجَعَلُوا كُلَّ يَوْمٍ يَتَقَدَّمُونَ وَمِنَ الْعُلُومِ يَزْدَادُونَ ،

فَصَحِيحَهَا يَقْبَلُونَ، وَبَاطِلَهَا يَرُدُّونَ وَيَنْقِدُونَ، وَفِي كُلِّ شيءٍ رَأَوْا آيَةً تَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الَّذي إذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. وَحَاوَلَ أَعْدَاؤُهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكُونَ وَالْفَلَاسِفَةُ الأَغْرِيقِيُّونَ وَالفُرْسُ وَالْهُنُودُ الْبَاحِثُونَ. أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. وَدَرَسَ الْمُسْلِمُونَ أَقْوَالَ غَيْرِهِمْ وَصَارُوا أَسَاتِذَةً يُبَاحِثُونَ وَيُنَاقِشُونَ بَلْ وَيُعَلِّمُونَ وَيُدَرِّسُونَ. حَتَّى ظَهَرَ فَضْلُهُمْ وَاعْتَرَفَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا بِأَنَّهُمْ فِي كُلِّ شَيءٍ مُبَرِّزُونَ. وَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ كُسَالَى مُقَصِّرُونَ وَمُنْكِرُونَ لَا يَعْرِفُونَ لَهُمْ سَلَفاً. وَلَا يَرَوْنَ لأَنْفُسِهِمْ شَرَفاً، وَلَا يَفْقَهُونَ قَوْلَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ).

أَيْنَ ابْنُ رُشْد وَابْنُ سِينَا وَابْنُ الهَيثَمِ وَالغَزَالِي وَالرَّازِي وَالفَارَابِي وَأَمْثَالُهُمْ، أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يُدَافِعُونَ عَنِ الإِسْلَامِ بِأَقْلَامِهِمْ الْفَيَّاضَةِ وَأَذْهَانِهِمْ السَّيَّالَةِ وَتَهُزُّ أَعْطَافَ البَاحِثِينَ أَقْوَالُهُمْ. أَيْنَ مُؤَلَّفَاتُهُمْ الَّتِي فَاقَتِ الْعَدَّ كَثْرَةً، وَتَجَاوَزَتِ الْحَدَّ ذُيُوعاً وَشُهْرَةً وَدَلَّتْ عَلَى طُولِ بَاعٍ وَسَعَةِ اطِّلَاعٍ. وَعِنْدَهَا وَقَفَ الْمُعَارِضُونَ وَانْقَطَعَ جِدَالُهُمْ. لَقَدْ أَخَذَ النَّاسُ تُرَاثَنَا وَنَهَبُوا مِيرَاثَنَا، وَحَارَبُونَا بِسِلَاحِنَا، وَأَقْوَالِ مُؤَلِّفِينَا وَشُرَّاحِنَا. وَجَهَّلُونَا بِكُلِّ شَيءٍ وَهَزَأَ بِنَا عُلَمَاؤُهُمْ وَجُهَّالُهُمْ. وَظَنَّ شَبَابُنَا الْمُتَعَلِّمُ أَنَّ الدِّينَ يَحُولُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ، وَيَمْنَعُ أَهْلَهُ مِنْ تَحْقِيقِ مَا جَاءَ بِهِ النَّقْلُ. فَزَلَّتْ أَقْدَامُهُمْ وَطَاشَتْ أَحْلَامُهُمْ وَضَلَّلَهُمْ خَيَالُهُمْ. أَفَنَصْبِرُ عَلَى جَهْلِنَا أَمْ يَتَعَلَّمُ أَوْلَادُنَا ثُمَّ تَسُوءُ بِالْعِلْمِ أَحْوَالُهُمْ، فَيَكْفُرُونَ وَيُلْحِدُونَ، وَفِي الأَرْضِ يُفْسِدُونَ. وَلِلهِ يُنْكِرُونَ، وَلِلطَّبِيعَةِ يُؤَلِّهُونَ، وَيَقُولُونَ كَمَا قَالَ

الأَوَّلُونَ. هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ. لَقَدْ خَبُثَتْ عَقَائِدُهُمْ. وَقَبُحَتْ أَفْعَالُهُمْ. وَغَيْرُ حَانِثٍ فِي الْيَمِينِ إِذَا حَلَفْتُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ أَنَّهُمْ دَاخِلُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ. وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ. وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ) فَيَا أَيُّهَا الْمَادِيُّونَ وَعُبَّادَ الطَّبِيعَةِ خَبِّرُونِي كَيْفَ كَانَ الْوُجُودُ قَبْلَ الْكَمِّ وَالْكَيْفِ وَالْمَكَانِ وَالزَّمَانِ وَالأَعْرَاضِ وَالأَجْرَامِ .

أَلَا إِنَّ فِي اخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ بِلُغَاتِكُمْ وَأَصْوَاتِكُمْ. وَمُخْتَلِفِ التَّرَاكِيبِ فِي ذَوَاتِكُمْ وَصِفَاتِكُمْ. مَا يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ اللهِ وَإِنَّهُ الْمُتَصَرِّفُ بِطَبَائِعِكُمْ وَعَادَاتِكُمْ، وَغَرْسٌ وَاحِدٌ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ. وَيُؤْتِي ثَمَرَهُ مُخْتَلِفَ الطُّعُومِ وَالأَلْوَانِ دَلِيلٌ أَيُّهَا الطَّبِيعِيُّونَ يُبْطِلُ نَظَرِيَّاتِكُمْ وَهَذِهِ الأَشْيَاءُ تَزُولُ وَتَتَغَيَّرُ وَكُلُّ مُتَغَيِّرٍ حَادِثٌ وَكُلُّ حَادِثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ صَانِعٍ. وَنَتَائِجُكُمْ بَاطِلَةٌ لِفَسَادِ مُقَدِّمَاتِكُمْ. فَدَعُوا الْعَقْلَ لِيَسْتَرِيحَ مِنَ التَّفْكِيرِ فِيمَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِكُمْ وَلَا هُوَ مِنْ مَعْلُومَاتِكُمْ، وَقُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ وَلَا تَسِيرُوا وَرَاءَ شَهَوَاتِكُمْ، وَاشْكُرُوا اللهَ عَلَى مَا آتَاكُمْ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يَقُولُ فِيهِمْ (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ) .

الخطبة الرابعة

في الدِّينِ الصَّحِيحِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي شَرَعَ لِعِبَادِهِ مِنَ الدِّينِ، وَسَنَّ لَهُمْ مِنَ الأَنْظِمَةِ وَالْقَوانِينِ مَا يَعِيشُونَ بِهِ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ، وَيَحْيَوْنَ بِهِ سُعَدَاءَ مَشْمُولِينَ بِعَدْلِ الْحَاكِمِينَ وَاسْتِقَامَةِ الْمَحْكُومِينَ لَا ظَالِمِينَ وَلَا مَظْلُومِينَ، فَلِلآبَاءِ بِرُّ الْبَنِينَ وَعَلَيْهِمُ الرِّفْقُ وَاللِّينُ، وَحُسْنُ الرِّعَايَةِ فِي كُلِّ حِينٍ، وَكَذَلِكَ الأَمْرِ بَيْنَ جَمِيعِ الرُّؤَسَاءِ وَالْمَرْؤُوسِينَ (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا).

نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى نِعْمَةِ الإِسْلَامِ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ جَعَلَنَا مِنْ أُمَّةِ خَيْرِ الأَنَامِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَرَضَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالْحَجَّ وَالصِّيَامَ وَنُصْرَةَ الْمَظْلُومِ وَالأَخْذَ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَالنُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَاجْتِنَابَ الآثَامِ، وَحَذَّرَ مِنْ نَقْضِ الْعُقُودِ وَمُجَاوَزَةِ الْحُدُودِ ثُمَّ وَعَدَ وَتَوَعَّدَ بِالْخُلُودِ إِمَّا فِي الْجَنَّةِ دَارِ السَّلَامِ أَوْ فِي النَّارِ دَارِ الانْتِقَامِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْقَائِلُ ﷺ (إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَالْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُتَشَابِهَاتٌ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ) اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ بِالاعْتِصَامِ، بِخَيْرِ شَرِيعَةٍ وَأَقْوَمِ نِظَامٍ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْكِرَامِ وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَتِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا) .

عِبَادَ اللهِ : لَيْسَ الدِّينُ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَأَنْتُمْ عَنْ سِرِّ العِبَادَةِ غَافِلُونَ ، وَلَيْسَ مِنَ الطَّاعَةِ أَنْ تُوَحِّدُوهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ بِدِينِهِ مُتَسَاهِلُونَ ، وَلِأَحْكَامِهِ مُهْمِلُونَ وَعَنِ الْوَعْدِ وَالوَعِيدِ ذَاهِلُونَ ، تُحَرِّمُونَ وَتُحِلُّونَ مَا شَاءَتْ لَكُمُ الْمَصَالِحُ وَالْأَهْوَاءُ لَا مَا جَاءَتْ بِهِ الْكُتُبُ أَوْ بَيَّنَهُ الْمُرْسَلُونَ ، وَلَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ تَظْهَرُوا بِالْخَيْرِ فِيمَا تَقُولُونَ وَتَسْتَتِرُوا بِالشَّرِّ فِيمَا تَفْعَلُونَ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) وَفِي الصَّلَاةِ خَاشِعُونَ ، وَعَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَلِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَلِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، وَلِعَهْدِهِمْ وَأَمَانَاتِهِمْ رَاعُونَ ، وَبِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا) .

رُبَّ مُصَلٍّ لَا تَنْهَاهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَصَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ، وَرُبَّ قَارِيءٍ لِلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ وَمُتَصَدِّقٍ لَا يُرِيدُ بِصَدَقَتِهِ إِلَّا الْخَدْعَ وَالْمَكْرَ وَالْغِشَّ ، وَرُبَّ شَخْصٍ تَرَاهُ وَعَلَيْهِ سِيمَا الصَّلَاحِ وَآثَارُ العِبَادَةِ وَتَظُنُّهُ مَلَكاً كَرِيماً وَحَقِيقَتُهُ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ أَوْ حَنَشٌ ، وَأَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ أَوْ بَطَشَ أَوْ نَهَشَ ، وَإِنَّمَا الدِّينُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ

لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، وَدَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يُرِيبُكَ لَا بَطَأً وَلَا دَهَشَ . وَالْإِيمَانُ أَنْ تُحِبَّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَلَا تَكْرَهُ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ وَلَوْ لَبِسَ الرِّيشَ وَافْتَرَشَ . وَصِدْقُ الْيَقِينِ وَعَلَامَةُ التَّقْوَى أَنْ يَتْرُكَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ وَإِنْ اشْتَاقَ إِلَيْهِ وَانْتَعَشَ ، وَأَفْلَحَ مَنْ رَاقَبَ اللهَ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ ، وَأَصْلَحَ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ وَعَلِمَ قَوْلَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ (وَاتَّقُوا اللهَ الذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) وَقَوْلَهُ تَعَالَى « إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) .

الْمُسْلِمُ الصَّادِقُ فِي إِسْلَامِهِ وَقَّافاً عِنْدَ حُدُودِ اللهِ لَا يُتْبِعُ نَفْسَهُ هَوَاهَا . وَقَائِمٌ بِفَرَائِضِ اللهِ يُحِبُّ فِي اللهِ وَيُبغِضُ فِي اللهِ وَإِذَا ارْتَكَبَ الذَّنْبَ طَهَّرَ نَفْسَهُ بِمَاءِ التَّوْبَةِ وَزَكَّاهَا ، وَإِذَا ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَإِنْ سَمِعَ دَاعِيَ اللهِ أَجَابَ الدَّعْوَةَ وَلَبَّاهَا . لَا يَسْأَلُ إِلَّا رَبَّهُ وَلَا يَعْتَمِدُ بَعْدَ اللهِ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ وَحَيَّا اللهُ رُوحَ الْقُوَّةِ وَبَيَّاهَا ، وَالكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ لَا يَنْسَى نَصِيبَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا يُقَصِّرُ فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ يَتَحَلَّى بِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَيَنْفُرُ عَنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ وَيَأْبَاهَا ، لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ ، وَآدَابٌ سَامِيَةٌ ، وَآمَالٌ وَأَعْمَالٌ صَالِحَةٌ مُتَوَالِيَةٌ ، يُحِبُّهَا اللهُ مِنْهُ وَيَرْضَاهَا ، تَمْنَعُهُ دِيَانَتُهُ عَنِ الذُّنُوبِ وَتَحْجُزُهُ مُرُوءَتُهُ عَنِ الْعُيُوبِ ، وَتُثَبِّتُهُ رُجُولَتُهُ فِي الْخُطُوبِ : لَا يَطْلُبُ دُنْيَاهُ بِآخِرَتِهِ ، وَلَا يَغْرُبُ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ عَنْ ذَاكِرَتِهِ ، وَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ هَوَاهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ مَأْوَاهَا (انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً » .

الْقُرْآنُ يُخْبِرُنَا (أَنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) وَالقُرْآنُ يَقُولُ لَنَا (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) وَيَقُولُ أَيْضاً (وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُون كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ) فَخَبِّرُونِي بِرَبِّكُمْ أَينَ مَا وَعَدَكُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الْعِزَّةِ يَا مُؤْمِنُونَ، أَتَشُكُّونَ فِي وَعْدِ اللهِ وَاللهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، أَمْ فِي أَنْفُسِكُمْ تَشُكُّونَ ؟ لَوَ صَدَقَ إِيمَانُكُمْ لَعَظُمَ شَأْنُكُمْ وَارْتَفَعَ بُنْيَانُكُمْ وَخَافَكُمْ الْبُعَدَاءُ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَجِيرَانُكُمْ، وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمُ اللهَ فَأَنْسَاكُمْ أَنْفُسَكُمْ، وَكَذَبْتُمْ عَلَى اللهِ فِي دَعَاوِيكُمْ البَاطِلَةِ، وَالذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ، كَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ وَحُبُّ الْحَيَاةِ مَذَلَّةٌ وَهُونٌ، وَطَلَبُ الْمَجْدِ بِلَا ثَمَنٍ يُعَدُّ ضَرْباً مِنَ الْجُنُونِ، وَمَنْ آمَنَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ فِيمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، لَمْ يُعْطَ الدَّنِيَّةَ فِي دِينِهِ وَلَمْ يَرْضَ بِالْعَيْشِ إِلَّا كَرِيماً مُسْتَخِفًّا بِرَيْبِ الْمَنُونِ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَّلُونَ، مُهَابِينَ فِي صُدُورِ الَّذِين لَا يُؤْمِنُونَ، أَحْيَاؤُهُمْ يَسُودُونَ ، وَفِي الْمَعَالِي يَجِدُّونَ، وَأَمْوَاتُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ، عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً) .

لَوْ اعْتَصَمَ الْمُسْلِمُونَ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً كَمَا أُمِرُوا وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِهِمْ، لَعَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَظَمَةِ أَيَّامَ تَمَسُّكِهِمْ بِتَعَالِيمِ

دِينِهِمْ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ حَفِظُوا الْأَمْوَالَ وَلَمْ يَصْرِفُوهَا فِي الْمَلَذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَطَاعَاتِ أَنْفُسِهِمْ وَشَيَاطِينِهِمْ ، لَاسْتَعَانُوا بِهَا عَلَى مُكَافَحَةِ الْأَعْدَاءِ وَحِفْظِ الْبِلَادِ وَسَدِّ الثُّغُورِ وَشِرَاءِ السِّلَاحِ وَتَقْوِيَةِ الْجُنْدِ وَتَوْسِيعِ مَيَادِينِهِمْ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ احْتَكَمُوا فِي خُصُومَاتِهِمْ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَمَا اسْتَنْبَطَ الْعُلَمَاءُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي مُهِمَّاتِ الْحَوَادِثِ مِنْ قَوَانِينِهِمْ ، لَمَا اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَمَا قَتَلَ السَّلَاطِينُ أَتْبَاعَهُمْ وَخَرَجَ الْأَتْبَاعُ عَنْ طَاعَةِ سَلَاطِينِهِمْ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ نَشَرُوا الْعِلْمَ وَالإِصْلَاحَ فِي أَوْطَانِهِمْ لَشَادُوا بِهَا الْمَمَالِكَ وَظَهَرُوا عَلَى أَقْرَانِهِمْ وَبَانَ لَهُمْ مَا وَعَدَهُمُ اللهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ مِنْ تَمْكِينِهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ حَسِبُوا الدِّينَ مَحْضَ عِبَادَاتٍ مُجَرَّدَةٍ عَنْ أَسْرَارِهَا وَمَا تَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ إِسْعَادِهِمْ وَتَأْمِينِهِمْ مِنْ غِيَرِ الدُّهُورِ وَأَحْدَاثِ الْعُصُورِ ، فَتَرَكُوا اللُّبَّ وَأَخَذُوا بِالْقُشُورِ فِي كُلِّ أَحَايِينِهِمْ ، وَمَعَاذَ اللهِ أَنْ يَكُونَ الدِّينُ بِحَمْلِ السُّبَحِ وَطَرْحِ السِّلَاحِ وَلُبْسِ الثِّيَابِ وَنَبْذِ الْكِتَابِ وَذُلِّ النُّفُوسِ وَخَفْضِ الرُّءُوسِ وَتَرْكِ الْعَمَلِ وَكَذِبِ الْأَمَلِ وَرُكُونِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَنْ يَرَى لَهُ الْفَضْلَ عَلَيْهِمْ فِي إِيجَادِهِمْ وَتَكْوِينِهِمْ أَفِيقُوا عِبَادَ اللهِ مِنْ هٰذَا الرُّقَادِ وَاتَّقُوا اللهَ فِي دِينِهِ أَيُّهَا الْعِبَادُ (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) .

الْمُسْلِمُ يَعْبُدُ رَبَّهُ بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ وَقَلْبِهِ وَقَالَبِهِ وَنَفْسِهِ وَنَفِيسِهِ ، يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِسَيْفِهِ وَقَلَمِهِ وَلِسَانِهِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الدِّينِ وَتَقْدِيسِهِ ، وَيُنْفِقُ فِي الْخَيْرِ مَالَهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى غَيْرَ بَخِيلٍ بِتَسْبِيلِهِ وَتَحْبِيسِهِ ، إِنْ

يَعْمَلُ يَعْمَلُ لِلهِ أَوْ يَتَكَلَّمُ يتكَلَّمُ بِالْحَقِّ وَإِنْ أَضرَّ بِنَفْسِهِ وَقَرِيبِهِ وَجلِيسِهِ ، فَعَّالٌ مِنْفَاقٌ ، قَوَّالٌ مِصْدَاقٌ ، سَبَّاقٌ لَحَّاقٌ ، يَسُرُّكَ مَخْبَرُهُ عِنْدَ ابتِسَامِهِ أَوْ تَعْبِيسِهِ ، طَلْعَتُهُ قَمَرِيَّةٌ ،وهِمَّتُهُ عَبْقَرِيَّةٌ ،وَسَمَاحَتُهُ مَلَكُوتِيَّةٌ ، وَغِيرَتُهُ جَبَرُوتِيَّةٌ لَا يَسْتَكِينُ وَلَا يَلِينُ ، إِلَّا لِأَوَامِرِ الدِّينِ ، حَازِمٌ لَا يَخْدَعُهُ الشَّيْطَانُ بِتَلْبِيسِهِ أَوْ تَدْلِيسِهِ ، حُرُّ الضَّمِيرِ وَاسِعُ التَّفْكِيرِ ، إِنْ مَلَكَ عَدَلَ ، وَإِنْ أَدَانَ أَمْهَل أَوْ اسْتَدَانَ عَجَّلَ ، إِذَا سُئِلَ مَدَّ ، وَإِذَا أَخَذَ رَدَّ ، وَإِذَا عَزَمَ جَدَّ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ أَدَّى ، وَإِذَا عَلَّمَ رَاقَبَ اللهُ في كِتَابَتِهِ وَخَطَابَتِهِ وَتَدْرِيسِهِ (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) .

كَانَ الْمُسْلِمُونَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مِثْلَ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ . كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ وَمُهِمَّتُهُمْ وَاحِدَةٌ وَجِهَادُهُمْ لِلهِ وَقِتَالُهُمْ في سَبِيلِ اللهِ لَا كِبَرَ وَلَا فَخْرَ وَلَا أَشَرَ وَلَا بَطَرَ ، مَن غِنَى هَنَّؤُوهُ ، وَمَنْ افْتَقَرَ سَاعَدُوهُ ، وَمَنْ حَضَرَ عَدُّوهُ ، وَمَنْ غَابَ افْتَقَدُوهُ ، وَمَنْ مَاتَ شَيَّعُوهُ ، وَمَنْ مَرِضَ عَادُوهُ ، وَمَنْ تَوَفَّقَ حَمَدُوهُ ، وَمَنْ زَلَّ أَرْشَدُوهُ وَرَدُّوهُ . وَكَذَلِكَ بِالدِّينِ الصَّحِيحِ تَكُونُ سَعَادَةُ الْبَشَرِ ، وَحِينَ تَفَرَّقُوا شِيعاً وَمِلَلًا ، وَاخْتَلَفُوا مَذَاهِبَ وَنِحَلًا ، وَتَبَايَنُوا غَايَةً وَسُبُلًا ، وَمَلَأُوا الْمَجَالِسَ وَالْمَدَارِسَ جَدَلًا ، وَضَاقَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ جَرْحَى وَقَتْلَى ، ذَهَبَ سُلْطَانُهُمْ ، وَضَعُفَ كِيَانُهُمْ ، وَصَغُرَ شَأْنُهُمْ ، وَتَدَاعَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمَمُ وَكَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ . فَيَا عُلَمَاءَ الدِّينِ وَيَا زُعَمَاءَ الْمُسْلِمِينَ أَلَيْسَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ بِرَسُولِ اللهِ وَصَاحِبَيْهِ أَبِي بَكْرٍ

وَعُمَرَ ، وَيَا مَعْشَرَ الْعَوَامِ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ تَعَلَّمُوا الدِّينَ الصَّحِيحَ وَلَا تَكُونُوا كَالأَنْعَامِ ، يَقُودُكُمُ الشَّيْطَانُ إِلَى الآثَامِ وَيَسْلُبُكُمُ الأَعْدَاءُ مَا آتَاكُمُ اللهُ مِنَ الْعِزِّ وَالتَّمْكِينِ وَالظَّفَرِ (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا التي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِيناً ، رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) .

الخطبة الخامسة

مِنْ وَصَايَا الْقُرْآنِ

الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَدَّبَنَا بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَهَذَّبَ أَخْلَاقَنَا بِسُنَّةِ صَاحِبِ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَدَعَانَا إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ فَقَالَ تَعَالَى) نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ))إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) .

نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ فَضَّلْتَنَا عَلَى سَائِرِ الأُمَمِ وَجَعَلْتَنَا عَلَيْهِمْ شُهُودًا ، وَنَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَأَنْ تُلْهِمَنَا رُشْدَنَا وَالِدًا وَمَوْلُودًا . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ افْتَرَضَ أَشْيَاءَ وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ وَحَدَّ لَنَا حُدُودًا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُخَاطَبُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى)وَمِنَ

اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُودًا) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي تَمَّمْتَ خَلْقَهُ وَخُلُقَهُ ، وَقَوَّيْتَ إِلَى الْخَيْرِ طُرُقَهُ ، وَفَتَحْتَ بِهِ آذَاناً صَمَّاءَ وَأَعْيُناً عَمْيَاءَ وَقُلُوباً مُغْلَقَةً)تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ .مَا فُضِّلْتُمْ عَلَى سَائِرَ الْأُمَمِ وَلَا فُضِّلَ دِينُكُمْ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ ، إِلَّا بِمُعْجِزَةِ الدُّهُورِ وَآيَةِ الْعُصُورِ كِتَابِ اللهِ الْقُرْآنِ ، فَإِنْ جَعَلْتُمُوهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ كَانَ لَكُمْ قَائِدًا فِي الدُّنْيَا إِلَى السَّعَادَةِ وَالْحُرِّيَّةِ ، وَفِي الآخِرَةِ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ ، وَإِنْ جَعَلْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ كَانَ لَكُمْ سَائِقاً فِي الدُّنْيَا إِلَى الذُّلِّ وَالشَّقَاءِ ، وَفِي الآخِرَةِ إِلَى مَهَاوِي الرَّدَى وَالنِيرَانِ ، كَيْفَ لَا وَإِنَّهُ لَكِتَابُ الْهُدَى وَسِفْرُ السَّعَادَةِ وَقَانُونُ الْفَضِيلَةِ وَدُسْتُورُ الْعَدَالَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ مَنَّانٍ (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيرًا) .

يَا مُسْلِماً لَوْ تَدَبَّرْتَ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ وَعَمِلْتَ بِمَا فِيهَا لَصَيَّرَتْكَ سَعِيدًا فِي نِفْسِكَ وَأَهْلِكَ وَمِالِكَ ، وَلَوْ وَقَفْتَ تَحْتَ رَايَةِ الْقُرْآنِ لَسَمَوْتَ سَمَاءَ الْمَجْدِ وَتَبَوَّأْتَ مَكَانَةَ الشَّرَفِ بِذَلِكَ ، وَلَوْ أَنَّكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ حَافَظْتُمْ عَلَى تُرَاثِكُمْ الْغَالِي وَعَمِلْتُمْ بِقَانُونِكُمُ السَّمَاوِي لَضَاءَتْ

لَكُمْ الْمَسَالِكَ، وَلَمَا رَأَتْكُمْ الْأَيَّامُ وَقَدْ اخْتَلَفْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَأَنْتُمْ هَالِكٌ إِثْرَ هَالِكٍ، يَسْتَعْبِدُكُمْ مَالِكٌ بَعْدَ مَالِكٍ، وَيُذِيقُكُمْ الْعَذَابَ فَاتِكٌ بَعْدَ فَاتِكٍ وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ كِتَابَ اللهِ وَشَغَلَكُمْ التَّرَفُ عَنِ الْوَاجِبَاتِ، وَزَيَّنَ لَكُمُ الشَّهَوَاتِ، وَلَا نَكِيرَ عَلَى فَاعِلٍ وَلَا تَارِكٍ (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)

هٰذِهِ الشُّعُوبُ الْمُتَمَدِّنَةُ وَالْأُمَمُ الْمُتَحَضِّرَةُ كَمَا يَزْعُمُونَ قَد فَسَقُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأُلْبِسُوا شِيَعاً وَأُذِيقَ بَعْضُهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ عَلَيْهَا قَادِرُونَ، أَتَاهَا أَمْرُ رَبِّهَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ، أَوْ ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ، أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا).

فَيَا مُعْجَباً بِالْعَادَاتِ وَالتَقَالِيدِ الْبَشَرِيَّةِ، وَيَا مُتَّبِعاً لِلْأَوْضَاعِ وَالْقَوانِينِ الْبَشَرِيَّةِ، تَفَكَّرْ قَلِيلًا فِي الْحَوَادِثِ وَالْخُطُوبِ الَّتِي أَدْهَشَت الْعُقُولَ، وَاسْتَهْلَكَتِ الْأَمْوَالَ، وَزَعْزَعَتِ الْعُرُوشَ الِاسْتِعْمَارِيَّةَ، فَتَنَافَسٌ وَتَشَاحُنٌ وَتَطَاحُنٌ وَحُروبٌ جَوِّيَةٌ وَبَرِّيَةٌ وَبَحْرِيَّةٌ، وَدَمٌ مَسْكُوبٌ، وَقُلُوبٌ تَذُوبُ، وَأَشْلَاءُ تُمَزَّقُ، وَمُدُنٌ تُهْدَمُ وَتُحْرَقُ، فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى هٰذِهِ الْمَدَنِيَّةِ وَهٰذِهِ الْحُرِّيَةِ. لِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ هٰذَا سِوَى الْإِعْرَاضِ عَنِ الْأَدْيَانِ وَالرَّحْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ

وَالتَّعَالِيمِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَلِزَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ يَقْدِرُونَ عَلَى سَعَادَةِ الْبَشَرِ بِأَدِلَّتِهِمْ وَعُلُومِهِمُ الْعَصْرِيَّةِ (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) .

الْقُرْآنُ يَنْهَى عَنِ الزِّنَا وَاللِّوَاطِ وَالْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَكَشْفِ الْعَوْرَاتِ . وَيَنْهَى كَذَلِكَ عَنِ الْكَذِبِ وَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَشَهَادَةِ الزُّورِ وَتَتَبُّعِ الْعَثَرَاتِ . وَيُحَذِّرُ مِنْ تَطْفِيفِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ وَالْغَصْبِ وَالسَّرِقَةِ وأَكْلِ الرِّبَا وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ بِغَيرِ حَقٍّ وَتَعَاطِي الْمُسْكِرَاتِ . وَيَتَوَعَّدُ بِالعِقَابِ الشَّدِيدِ عَلَى نَقْضِ الْعُهُودِ . وَفَكِّ الْعُقُودِ ، وَخُلْفِ الْوُعُودِ ، وَعُقُوقِ الْوَالِدِ وَإِسَاءَتِهِ إِلَى الْمَوْلُودِ ، فَطُوبَى لِمَنْ أَدْرَكَ مَا فِيهِ مِنْ لَطَائِفِ الاشَارَاتِ (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) .

وَالْقُرْآنُ يَأْمُرُ بِالْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَيَنْهَى عَنِ السُّؤَالِ . وَإِضَاعَةِ الْمَالِ . وَكَثْرَةِ الْقِيلِ وَالْقَالِ ، وَيَدْعُو إِلَى الصِّدْقِ وَالصَّوَابِ وَالْحِلْمِ وَالأَنَاةِ وَالصَّبْرِ الْجَمِيلِ ، وَيَمْدَحُ الْجُودَ وَالْجَوَادَ وَيَذُمُّ الْبُخْلَ وَالْبَخِيلَ ، وَيَنْهَى عَنِ الإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيرِ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَإِلَيْكُمُ الدَّلِيلُ (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُورًا)

كِتَابٌ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالاِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَحُسْنِ الجِوَارِ ،

وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ وَمُصَاحَبَةِ الْأَشْرَارِ ، يُرَغِّبُ فِي الْفَضِيلَةِ وَيَنْهَى عَنِ الرَّذِيلَةِ ، وَيَأْمُرُ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَلَوْ كَانَا مِنَ الْكُفَّارِ ، وَيَجْمَع بَيْنَ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ، وَيُخَاطِبُكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ بِهَذِهِ التَّعَالِيمِ الَّتِي لَا تَجِدُهَا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَلَا صَحِيحِ الآثَارِ (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيماً ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) .

خَبِّرُونِي بِرَبِّكُمْ فِي أَيِّ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ فَلَاسِفَةِ الْيُونَانِ وَالرُّومَانِ وَالْفُرْسِ وَالْهُنُودِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكُفَّارِ ، تَجِدُونَ أَمْثَالَ هٰذِهِ الْوَصَايَا الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَقَعُ بِهَا سَعَادَةُ الشُّعُوبِ وَالْأَقْطَارِ (وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) لَا وَاللهِ لَا تَكُونُ هٰذِهِ التَّعَالِيمُ إِلَّا مِنَ اللهِ الْعَالِمِ بِمَصَالِحِ عِبَادِهِ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ)قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) .

الْحَدِيثُ :عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ لِلهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ ، قَالُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ » رَوَاهُ النَّسَائِي وَابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُمَا

جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ ، وَوَفَّقَنَا جَمِيعاً لِمُتَابَعَةِ الْحَقِّ

حَيْثُ كَانَ. وَأَجَارَنَا بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ مِنْ مُتَابَعَةِ الْهَوَى وَالشَّيْطَانِ. الْآيَةُ مِنْ سُورَةِ الْحَشْرِ (لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ).

ملاحظة

قال الأديب الفاضل القاضي الزبيري: إن الذي يسمع الخطبتين الماضية والآتية يتوهم أن خطيبنا البيحاني رجعي قديم، لا يحب مدنية اليوم مطلقاً ولا يرى فيما أتت به أي خير. والواقع أن الخطيب أمة وسط بين قوم جرفتهم حضارة العصر إلى البحر أو الهاوية، وآخرين تمسكوا من الدين بقشوره، وجهلوا شريف مقاصده وسمو غاياته، ومن عرف البيحاني معرفتي به علم أنه طبيب آس وخبير بطبائع الناس.

الخطبة السادسة

فِي الإِنْقِيَادِ لِلدِّينِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ عَلَى أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَنَسْأَلُهُ الْعَمَلَ بِالْكِتَابِ الْمُبِينِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَنَزَعَاتِ الْمُلْحِدِينَ وَالْمُتَقَوِّلِينَ عَلَى اللهِ مَا لَيْسَ بِهِ عِلْمٌ مِنَ الْمُتَشَدِّقِينَ وَالْمُتَفَيْهِقِينَ، وَبِهِ نَحُولُ وَنَصُولُ وَنَقَرّاً عَلَى الْمُخَالِفِينَ، قَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ

إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا . وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ وَكَفَى بِهَا مِنْ نِعْمَةٍ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى آلَائِهِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ جَمَّةٌ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ مَنْ عَارَضَهُ فِي أَمْرِهِ سَلَبَ عَنْهُ النِّعْمَةَ ، وَأَحَلَّ بِهِ السُّخْطَ وَالنِّقْمَةَ . وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِخَيْرِ مَوْعِظَةٍ وَأَبْلَغِ حِكْمَةٍ ، لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِنُورِ هِدَايَتِهِ مِنْ دَيَاجِيرِ الظُّلْمَةِ .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْعَظِيمِ قَدْرُهُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَئِمَّةِ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي كُلِّ مُهِمَّةٍ (ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ ، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا) .

عِبَادَ اللهِ : شَرَعَ لَكُمُ اللهُ مِنَ الدِّينِ مَا فِيهِ صَلَاحُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ ، وَبَيَّنَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ سَبِيلَ الْحَقِّ وَالرَّشَادِ ، وَهَدَاكُمْ إِلَى مَا فِيهِ سَعَادَةُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ ، فَأَوْضَحَ لَكُمُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، وَالصَّلَاحَ وَالْفَسَادَ ، وَضَرَبَ لَكُمُ الْأَمْثَالَ بِأَهْلِ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ ، وَمُخَالَفَةِ الشَّرَائِعِ وَالْإِلْحَادِ ، مِنَ الَّذِينَ يَرَوْنَ الْقَوَانِينَ السَّمَاوِيَّةَ غَيْرَ وَافِيَةٍ بِالْمُرَادِ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا) .

الدِّينُ وَضْعٌ إِلَهِيٌّ جَاءَتْ بِهِ الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ وَأَوْضَحَتْهُ الْأَنْبِيَاءُ، وَهُوَ سَائِقٌ لِذَوِي الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ إِلَى مَا فِيهِ سَعَادَةُ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا، فَحِكْمَتُهُ بَالِغَةٌ، وَحُجَّتُهُ دَامِغَةٌ، وَقَوْلُهُ فَصْلٌ، وَقَضَاؤُهُ عَدْلٌ، وَأَهْلُهُ عِنْدَ اللهِ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، السَّيِّدُ كَالْمَسُودِ وَالضُّعَفَاءُ كَالْأَقْوِيَاءِ، قَوَانِينُهُ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ، وَنُصُوصُهُ لَا تُحَرَّفُ وَلَا تُحَوَّلُ، وَأَحْكَامُهُ لَا تُقْلَبُ وَلَا تُعَدَّلُ، لِأَنَّهُ صَالِحٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَجَامِعٌ لِمُتَفَرِّقَاتِ الْأَشْيَاءِ، فَلَوْ عَمِلَ النَّاسُ بِتَعَالِيمِهِ، وَلَوْ وَقَفُوا عِنْدَ مَرَاسِيمِهِ، لَصَارُوا جَمِيعاً أَتْقِيَاءَ، وَلَمَا حَصَلَ ظُلْمٌ وَلَا عُدْوَانٌ وَلَا اعْتِدَاءٌ مِنَ الْمُجْرِمِينَ عَلَى الْأَبْرِيَاءِ (وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا). يَقُولُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ).

وَقَالَ الَّذِينَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ وَجَهَلَةِ الْمُقَلِّدِينَ لِأَسْيَادِهِمْ الْغَرْبِيِّينَ: سَنَعْبُدُ اللهَ بِآرَائِنَا وَسَنَأْخُذُ مِنْ تَعَالِيمِ غَيْرِنَا بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ، وَمَا عَلِمُوا هَدَاهُمُ اللهُ وَوَفَّقَنَا وَإِيَّاهُمْ لِكُلِّ خَيْرٍ أَنَّ الْعِلْمَ مَهْمَا كَثُرَ وَالْعَقْلَ مَهْمَا كَبُرَ فَصَاحِبُهُ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، وَلَوْ كَانَ هٰذَا الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَجَازَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَقُولَ فِيهِ مَا يَشَاءُ وَيَفْعَلَ فِيهِ مَا يَشَاءُ، وَلَمَا احْتَاجَ نَاقِصٌ لِكَامِلٍ، وَلَمَا كَانَ فَضْلٌ لِعَالِمٍ عَلَى جَاهِلٍ، فَيَا لِلهِ مِنْ هٰذِهِ الْأَعَاجِيبِ.

وَفي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

وَإِذَا ضَعُفَ سُلْطَانُ الْحَقِّ تَطَاوَلَ السَّفِيهُ، وَتَقَاصَرَ الْفَقِيهُ، وَاتَّبَعَ النَّاسُ أَهْوَاءَهُمْ وَجَهَرُوا بِالْإِلْحَادِ وَالتَّكْذِيبِ.

وَاللهُ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا فَأَفْتَوْهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا وَلَا نَاقِدَ وَلَا رَقِيبَ، «إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا».

سَادَ الْجَهْلُ وَذَهَبَ الْعِلْمُ وَعَمِرَتْ بُيُوتُ الْفِسْقِ وَالدَّعَارَةِ، وَقَلَّ الْمُصَلُّونَ وَرُوَّادُ الْمَسَاجِدِ، وَكَثُرَ الْمُضِلُّونَ وَمَنْ لَا يَؤُمُّ إِلَّا بُؤْرَةَ الْفَسَادِ وَالْخَمَّارَةِ، وَأَصْبَحَتْ حَلَقَاتُ الْعِلْمِ خَاوِيَةً مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ لَا يَؤُمُّونَهَا وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ الزِّيَارَةِ. وَإِذَا قُلْتَ لِأَحَدِهِمْ قَالَ اللهُ أَوْ قَالَ رَسُولُهُ كَذَا وَكَذَا انْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ أَوْ حَمْلَقَ فِيكَ بِعَيْنَيْهِ وَوَضَعَ طَرْبُوشَهُ وَأَشْعَلَ السِّجَارَةَ، وَقَالَ قَاتَلَهُ اللهُ مُتَأَفِّفاً مُتَعَجْرِفاً: هٰذِهِ النُّصُوصُ قَدْ ذَهَبَتْ وَذَهَبَ زَمَانُهَا، وَأَنْتُمْ لَا تَعْرِفُونَ مِنَ الدِّينِ إِلَّا قُشُورَهُ، وَنَحْنُ نَعْرِفُ مُرَادَ اللهِ فِي كِتَابِهِ وَنُدْرِكُ أَسْرَارَهُ. فَعِلْمٌ قَلِيلٌ، وَلِسَانٌ طَوِيلٌ وَفَخْفَخَةٌ وَتَضْلِيلٌ وَأَنَانِيَّةٌ وَأَبَاطِيلُ، وَحَسَدٌ وَكِبْرٌ وَعَجَبٌ وَرِيَاءٌ وَمُفَاخَرَةٌ «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ

صُدُودًا » . « وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » .

أَيُّهَا الحَاضِرُونَ : كَمْ رَجُلٌ فِيكُمْ الْآنَ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ ؟ وَكَمْ شَخْصٌ فِيكُمْ يَحْفَظُ مِائَةَ حَدِيثٍ مِنْ كَلَامِ سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنَانَ ، الَّذِي أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَأَيَّدَهُ اللهُ بِقُوَّةِ الْحُجَّةِ وَحُسْنِ الْبَيَانِ ، وَأَيْنَ عَالِمُكُمُ الَّذِي تَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ شَأْنٍ وَتَسْأَلُونَهُ عَنْ مُشْكِلَاتِ الْأَدْيَانِ ؟ وَأَيْنَ وُعَّاظُكُمُ الْمُرْشِدُونَ وَخُطَبَاؤُكُمُ الْمُجِيدُونَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ وَتَطْرُقُ حِكْمَتُهُمُ الْآذَانَ بِلَا اسْتِئْذَانٍ ، أَلَا رَحِمَ اللهُ أَسْلَافَكُمُ الَّذِينَ كَانُوا إِذَا صَمَتُوا فَكَالْجِبَالِ ، وَإِذَا نَطَقُوا فَمِثْلَ الْبِحَارِ ، عِلْماً وَأَدَباً وَصَرَاحَةً فِي الْحَقِّ وَإِعْرَاضاً عَنِ الْبَاطِلِ لَا لِشَيْءٍ سِوَى صِحَّةِ الْيَقِينِ وَصَادِقِ الْإِيمَانِ ، فَإِذَا عَلِمُوا عَلَّمُوا ، وَإِذَا جَهِلُوا تَعَلَّمُوا ، وَالْحِكْمَةُ ضَالَّتُهُمْ يَأْخُذُونَهَا مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ ، وَيَقُولُ فِيهِمُ الطَّالِبُ لِلْمَطْلُوبِ كَمَا حَكَى اللهُ عَنْ عَبْدِهِ الْخَضِرِ « قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا » .
اللهَ اللهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فِي دِينِكُمْ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ عَنْهُ بِأَقْوَالِ الْمُسْرِفِينَ وَلَا تَصْرِفَنَّكُمْ هَذِهِ الْمَدَنِيَّةُ الغَرْبِيَّةُ عَنْ تَعَالِيمِهِ وَالِامْتِثَالِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْقَوَانِينِ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وَلَقَدْ عَرَفَ النَّاسُ فَضْلَهُ وَاعْتَرَفَ بِصَلَاحِيَّتِهِ لِبَنِي الْإِنْسَانِ كُلِّهِمْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ ، وَفَلَاسِفَةِ الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَالْمُنْصِفُونَ مِنَ الْأُورُبِّيِّينَ وَالْأَمْرِيكِيِّينَ « وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » فَالطَّبْعُ

السَّلِيمُ يَقْبَلُهُ ، وَالْعَقْلُ الصَّحِيحُ يَتَحَمَّلُهُ ، وَالرَّأْيُ السَّدِيدُ وَالْفِكْرُ الثَّاقِبُ يُدْرِكُ أَنَّهُ خَيْرُ دِينٍ ، لِصِحَّةِ عَقَائِدِهِ وَسُمُوِّ مَقَاصِدِهِ وَقُوَّةِ أُصُولِهِ وَمَسَانِدِهِ ، فَهُوَ تَشْرِيعٌ عَظِيمٌ وَدُسْتُورٌ مَتِينٌ «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا » .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ لَا أَدْرِي ، فَمَا أَنْتُمْ بِخَيْرٍ مِنَ الَّذِي يَقُولُ اللهُ لَهُ «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ » .

وَسُئِلَ الإِمَامُ مَالِكٌ عَنْ أَرْبَعِينَ مَسْأَلَةٍ أَجَابَ عَنْ أَرْبَعٍ وَقَالَ لَا أَدْرِي فِي سِتٍ وَثَلَاثِينَ .

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : إِذَا وَجَدْتُمْ قَوْلِي يُخَالِفُ الْحَدِيثَ فَاضْرِبُوا بِقَوْلِي عُرْضَ الْحَائِطِ وَخُذُوا بِحَدِيثِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَكَذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ يَقُولُ : إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي وَلَا يَتَعَصَّبُ لِرَأْيِهِ وَإِنْ كَانَ هُوَ الْفَقِيهُ الْعَظِيمُ وَشَيْخُ الْمُجْتَهِدِينَ .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ لِوَلَدِهِ عَبْدِ اللهِ : يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ فَإِنَّهُمْ يُصِيبُونَ وَيُخْطِئُونَ ، وَعَلَيْكَ بِالْحَدِيثِ . وَهَكَذَا أَقْوَالُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَجْمَعِينَ .

وَأَخْطَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي مَسْأَلَةٍ فَرَدَّتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ

وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَصَابَتِ إمْرَأَةٌ وَأَخْطَأَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى».

فَيَا مُتَقَوِّلًا عَلَى اللهِ وَمُتَعَمِّدًا الْكَذِبَ عَلَيْهِ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا» وأيُّ شَيءٍ عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ حَتَّى تَأْتِيَ بِمَا غَفِلَ عَنْهُ الْقُرْآنُ، أَوْ أَهْمَلَتْهُ الْأَدْيَانُ، وَإِنَّمَا أَنْت مِنَ الَّذِينَ يَقُولُ اللهُ فِيهِمْ «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» أَوَمَا تَأَدَّبْتَ بِأَدَبِ الْإِسْلَامِ وَلَا اكْتَفَيْتَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ، حَتَّى خَالَفْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا».

فَتُبْ إِلَى رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَاقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً» «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذَا رَشَدًا».

الخطبة السابعة

في السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ

الْحَمْدُ للهِ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ كِتَابُ اللهِ، وَالْفَوْزُ وَالْفَلَاحُ فِي مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ وَمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ، وَالْبِدْعَةُ كُلُّهَا شَرٌّ، وَمَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ

فَقَدْ أَضَلَّهُ اللهُ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى أَوْضَحَ الْحَقَّ بِمَا شَرَعَ، وَتَعَبَّدَ الْخَلْقَ بِاجْتِنَابِ الْبِدَعِ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَجاً وَلَا عُمْرَةً وَلَا صَدَقَةً وَلَا زَكَاةً، وَلَا صَوْماً وَلَا صَلَاةً، وَلَا صِرْفاً وَلَا عَدْلًا حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ وَيَتْرُكَ هَوَاهُ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ. وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً، وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا».

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِيمَا وَعَدَ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَتَوَعَّدَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، وَمَنْ اتَّبَعَ فَقَدْ سَعِدَ وَاهْتَدَى، وَمَنِ ابْتَدَعَ فَقَدْ شَقِيَ وَاعْتَدَى، وَدِينُ اللهِ لَا يُعْرَفُ بِالتَّقْلِيدِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ القَائِلُ «مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ» اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ بِالْأَمْرِ الرَّشِيدِ، وَالْخَيْرِ الَّذِي مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ، وَالقَائِلِ ﷺ «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ

الْمَحَامِيدِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ «وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا» .

عِبَادَ اللهِ ، لَقَدْ أَكْمَلَ اللهُ لَكُمْ دِينَهُ وَأَتَمَّ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ وَهَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الأَحْكَامَ ، فَحَدَّ الْحُدُودَ وَشَرَعَ الْفَرَائِضَ وَالنَّوَافِلَ وَبَيَّنَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، وَعَلَّمَنَا كَيْفِيَّةَ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصِّيَامِ ، أَلَا وَهُوَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ . وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الْكِرَامُ : اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ ، وَلَا يُصْلِحُ آخِرَ هٰذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا مِنَ الاعْتِصَامِ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الْأَنَامِ ، رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَقَوْمِيَ أَنْ نَتَّبِعَ الْهَوَى أَوْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ، وَنَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ فِتْنَةِ الشَّيْطَانِ وَتَلَاعُبِهِ بِكَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْحُكَّامِ «قَالَ أَرَأَيْتَكَ هٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ، قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا» .

لَمَّا ظَهَرَ الْحَقُّ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً ، وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَامْتَلَأَتْ بِهَذَا الدِّينِ سُرُورًا وَابْتِهَاجاً ، وَأَسْلَمَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسُ وَالْوَثَنِيُّونَ أَفْرَادًا وَأَزْوَاجاً ، شَقَّ هٰذَا عَلَى الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ

وَالرُّهْبَانِ وَغَضِبَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرائِيلَ وَعُظَمَاءُ الْفُرْسِ وَالرُّومِ ، فَأَضْمَرُوا شَرًّا وَأَبْطَنُوا كُفْرًا وَأَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ عِنَادًا وَلِجَاجاً ، وَاسْتَبْدَلُوا بِالاسْتِقَامَةِ اعْوِجَاجاً ، وَرَسَمَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ طَرِيقَ الْبِدْعَةِ وَالتَّحْرِيشِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَطَعْنِ بَعْضِهِم عَلَى بَعْضٍ ، وَتَفْسِيرِ كِتَابِ اللهِ بِأَهْوَائِهِمُ الضَّالَّةِ ، وَاتَّخَذُوا تِلْكُمُ الطَّرِيقَةَ سُنَّةً وَمِنْهَاجاً ، فَكَذَبُوا عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَنَقَلُوا مِنْ أَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ مَا وَجَدُوا لَهُ فِي الْجُهَّالِ وَأَدْعِيَاءِ الْعِلْمِ نَفَاقاً وَرَوَاجا . تَصَوُّفُ الْهِنْدِ ، وَفَلْسَفَةُ الْيُونَانِ ، وَتَعَاظُمُ الْفُرْسِ ، وَطَاعَةُ الرُّومِ . وَكَذِبُ الْيَهُودِ ، فَضَلُّوا سَبِيلَ اللهِ وَاتَّخَذُوا مِنَ الضَّلَالَاتِ سُبُلًا فِجَاجاً (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيرًا) .

وبِأُولَئِكَ ظَهَرَتِ الْبِدْعَةُ وَكَثُرَ أَنْصَارُهَا ، وَضَاعَتِ السُّنَّةُ وَسَكَتَ أَخْبَارُهَا ، وَاسْتَيْقَظَتِ الْفِتْنَةُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَأُضْرِمَتْ نَارُهَا ، وَتُعُدِّيَ عَلَى شَرِيعَةِ اللهِ وَاقْتُحِمَتْ أَسْوَارُهَا ، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ وَكَادَ يَخْبُو مِنَ الْمِلَّةِ أَنْوَارُهَا ، وَعُظِّمَ لِلْمُشْرِكِينَ أَوْثَانُهَا وَأَحْجَارُهَا ، وَدُعِيَ الْأَمْوَاتُ مِنْ دُونِ اللهِ وَنُصِبَتْ عَلَيْهِمُ التَّوَابِيتُ وَأُرْخِيتْ عَلَيْهَا أَسْتَارُهَا ، واسْتُعِينَ بِغَيْرِ اللهِ ، وَطَافَ بِالقُبُورِ وَالْأَشْجَارِ وَمَنَابِعِ الْمَاءِ وَمَسَاكِنِ الْجِنِّ حُجَّاجُهَا وَزُوّارِهَا ، وَاسْتُعْمِلَ فِي بُيُوتِ اللهِ لِزَنَادِقَة الْمُتَصَوِّفِينَ وَإِبَاحِيَّةِ الْمُبْتَدِعِينَ طَبْلُهَا وَمِزْمَارُهَا (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا) .

فِي مَسَاجِدِنَا بِدَعٌ وَمُخَالَفَاتٌ لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ ، فَتَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ،

وَزِيَادَةٌ وَنُقْصَانٌ وَتَغْيِيرٌ لِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الطَّهَارَةِ وَالْاعْتِكَافِ وَالصَّلاَةِ وَالْأَذَانِ وَلَا إِنْكَارَ مِنْ أَحَدٍ، يَكْذِبُونَ عَلَى اللهِ وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِغَيْرِ مُرَادِهِ فِي الْوَسِيلَةِ وَالْمَقْصِدِ. وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» وَفِي رِوَايَةٍ «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» فَهَذَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ غَلَطاً، وَذَاكَ يُكَلِّفُ نَفْسَهُ مِنَ الْعِبَادَةِ شَطَطاً، وَرُبَّمَا سَبَّحَ إِذَا قَامَ وَقَرَأَ إِذَا سَجَدَ، وَطَائِفَةٌ يَتَوَاجَدُونَ وَيَرْقُصُونَ وَيَقُولُونَ يا سَيِّدِي فُلَانَ ابْنَ فُلَانٍ الْمَدَدَ الْمَدَدَ، وَرُبَّمَا ضَرَبَتْ لَهُمْ الآلاَتُ وَتَغَنَّوا بِوَصْفِ الْمُرْدِ وَالْغَانِيَاتِ، وَرَفَعُوا الْأَصْوَاتَ بِالْمُنْكَرَاتِ، وَاسْتَبْدَلُوا الضَّلاَلاَتِ بِالرُّشْدِ، وَأَئِمَّتُنَا لَا يَعْرِفُونَ أَحْكَامَ الصَّلَاةِ، وَلَا يُحْسِنُونَ كِتَابَ اللهِ، يُحَارِبُونَ السُّنَّةَ وَيُنَاصِرُونَ الْبِدْعَةِ، وَيُحِبُّونَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا تَجَدَّدَ، وَالْوُعَّاظُ وَالْخُطَبَاءُ يرْوُونَ الْأَحَادِيثَ الضَّعِيفَةَ، وَيُرَغِّبُونَ فِي أَشْيَاءَ ما أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَلَا جَاءَ بِهَا سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ، وَيَمْدَحُونَ وَيَذُمُّونَ مَنَ وَافَقَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ مِنْ فُقَهَاءِ الْبَلَدِ «وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا، وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا، إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً»

يَتَوَضَّأُ الْمُبْتَدِعُ فَيُسْرِفُ فِي الصَّبِ وَيَزِيدُ عَلَى الثَّلَاثِ، وَيَقُولُ بِكُلِّ تَعَبٍ وَعَنَاءٍ: نَوَيْتُ الْوُضُوءَ، نَوَيْتُ الطَّهَارَةَ، نَوَيْتُ الطَّهُورَ، وَيَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ فَيُجْهِدُ نَفْسَهُ وَلَا يُكَبِّرُ حَتَّى يَتَأَوَّهَ تَأَوُّهَ الْمَصْدُورِ، وَيَهْزَأُ بِهِ الْعُقَلَاءُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ الشَّيْطَانُ الْغَرُورُ، ثُمَّ يَفْعَلُ وَيَقُولُ أَشْيَاءَ وَكُلُّهَا

غَيْرُ مَأْثُورٍ ، وَرُبَّمَا كَانَتِ الصَّلَاةُ رَدًّا عَلَيْهِ لِأَنَّهَا مُخَالِفَةٌ لِهَدْيِ مَنْ يَقُولُ ﷺ «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» كَمَا هُوَ فِي الْحَدِيثِ مَشْهُورٌ : وَإِذَا صَامَ قَدَّمَ السُّحُورَ وَأَخَّرَ الْفُطُورَ ، وَأَفْطَرَ الْأَيَّامَ الَّتِي هُوَ بِصِيَامِهَا مَأْمُورٌ ، وَتَقَرَّبَ إِلَى اللهِ مُعْتَقِدًا سُنِّيَةَ مَا خَصَّهُ بِالصَّوْمِ مِنَ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ مَا تَرَاهُ مِنَ الْمُبْتَدِعِينَ عِنْدَ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ، فَقَدْ جَعَلُوا الطَّوَافَ بِهَا وَتَقْبِيلِهَا وَالتَّمَسُّحِ بِأَعْتَابِهَا مِنَ الْعَمَلِ الْمَبْرُورِ . وَأَقَامُوا لَهَا مَوَاسِمَ يَخْتَلِطُ فِيهَا الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ ، وَيُلْعَبُ الْقِمَارُ وَتُشْرَبُ الْخُمُورُ ، وَالعَالِمُ السَّاكِتُ عَنِ الإِنْكَارِ يُعَدُّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَيُقَدَّمُ فِي الْحُضُورِ ، وَإِنْ أَنْكَرَ أَوِ اعْتَرَضَ فَمَمْقُوتٌ وَمَهْجُورٌ ، وَقَوْلُهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ وَكَذِبٌ وَزُورٌ ، لَقَدِ انْقَلَبَتِ الْأَوْضَاعُ ، وَحُبِّذَ الِابْتِدَاعُ ، وَتَحَكَّمَ الْجَاهِلُ الْمَغْرُورُ (قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) .

يَتَزَوَّجُ أَحَدُنَا فَتُرْهِقُهُ العَادَاتُ وَتَقْتُلُهُ التَّكَالِيفُ ، فَدَفْعٌ كَثِيرٌ ، وَصَدَاقٌ كَبِيرٌ ، وَوَلِيمَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَثِيَابٌ مُلَوَّنَةٌ وَمُطَرَّزَةٌ مِنَ الثَّقِيلِ وَالْخَفِيفِ . وَيَبْنِي أَحَدُنَا دَارَهُ أَوْ يَقْصِدُ سَفَرًا أَوْ تُزَفُّ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ فَيَذْبَحُ لِذَلِكَ ، وَيَتَّقِي أَذَى الْجِنِّ بِالدَّمِ ، وَيَفْرَحُ بِكَذِبِ السَّعْدِ وَيَتَشَاءَمُ بِالأَيَّامِ وَالنُّجُومِ وَيَا لَهَا مِنْ بِدَعٍ وَتَحْرِيفٍ ، وَتَضْلِيلٍ وَتَزْيِيفٍ وَفِعْلٍ بَغِيضٍ وَقَوْلٍ سَخِيفٍ ، وَمَرِيضُنَا لَا يَلْتَمِسُ الطِّبَّ مِنْ بَابِهِ ، وَلَا يَطْلُبُ لَهُ الشِّفَاءَ بِأَسْبَابِهِ ، وَلَكِنَّهُ يُعَالَجُ بِالتَّمَائِمِ وَالحُرُوزِ وَفَكِّ الزَّرْعِ وَإِقَامَةِ الزَّارِ وَحِيلَةِ الدَّجَّالِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّ بِيَدِهِ الْقَبْضَ وَالتَّصْرِيفَ ، وَيَمُوتُ مَيِّتُنَا فَيُغَسَّلُ وَيُكَفَّنُ وَيُصَلَّى عَلَيْهِ وَيُحْمَلُ وَيُدْفَنُ فِي بِدَعٍ تَسْتَحِقُّ إِفْرَادَهَا بِالتَّصْنِيفِ ، فَأَصْوَاتٌ عَالِيَةٌ وَأَعْمَالٌ عَنِ السُّنَّةِ نَابِيَةٌ ، طُبُولٌ تُدَقُّ ، وَأَعْلَامٌ تُنْشَرُ وَتُعَلَّقُ ، وَنَارٌ

مَعَ الجَنَازَةِ وَبُطْءٌ بِهَا وَلَغْوٌ مَعَهَا وَمَأْتَمٌ يُقِيمُهُ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، وَيُنْفِقُ ما عِنْدَهُ عَلَيْهِ الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، وَيَتَبَارَى فِي إِقَامَتِهِ وَالإِنْفَاقِ عَلَيْهِ بِالْقَرْضِ وَبِغَيْرِ إِذْنِ الْوَارِثِ الصَّغِيرِ كُلٌّ وَضِيعٍ وَشَرِيفٍ، وَالْمَرْأَةُ تُحِدُّ عَلَى الْمَيِّتِ، زَوْجاً أَوْ قَرِيباً مُدَّةً طَوِيلَةً، تَتْرُكُ فِيهَا اللِّبَاسَ وَالطِّيبَ وَالتَّنْظِيفَ، وَتَحْسِبُ هٰذَا وَفَاءً، وَتَعُدُّهُ قِيَاماً بِحَقِّ الْمَيِّتِ، فَلَا تَنْتَهِي عَنِ الْبِدْعَةِ بِزَجْرٍ وَلَا تَخْوِيفٍ، وَالشَّيْطَانُ يَتَحَكَّمُ فِي أَوْلِيَائِهِ فَيُحَسِّنُ الْقَبِيحَ وَيُقَبِّحُ الْحَسَنَ وَيُضِلُّ بِهِمْ عَنِ الدِّينِ الْحَنِيفِ(وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً، يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا).

لَيْسَتِ الْبِدْعَةُ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلُبْسِ الثِّيَابِ وَتَنْسِيقِ الأَثَاثِ وَإِصْلَاحِ الدَّارِ، وَإِنَّمَا الْبِدْعَةُ فِي الدِّينِ وَمَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، مِنْ صَلَاةٍ أَوْ صِيَامٍ أَوْ تِلَاوَةٍ أَوْ أَذْكَارٍ. وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْكُلَ بِالشَّوْكِ وَالْمَلَاعِقِ وَعَلَى الأَرْضِ أَوْ الْمَائِدَةِ مَا اجْتَنَبْتَ الْحَرَامَ وَتَوَسَّطْتَ بَيْنَ التَّبْذِيرِ وَالاقْتَارِ. وَاشْرَبِ الْمَاءَ حُلْوًا بَارِدًا، وَالْبَسِ الثَّوْبَ جَدِيدًا، وَارْكَبِ الْفَرَسَ أَوِ الْبَغْلَ أَوِ الْحِمَارِ، أَوِ السَّيَّارَةَ الْفَخْمَةَ أَوِ الْقِطَارَ أَوْ سُفُنَ الرِّيحِ أَوِ الْبُخَارِ، وَلَا تَفْهَمِ الدِّينَ مَعْكُوساً، فَتَحْسِبُ التِّلِغْرَافَ وَالتِّلِفُونَ وَالرَّادْيُو وَمَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَى النَّاسِ مِنْ وَسَائِلِ الرَّاحَةِ بِدْعَةً يَسْتَوْجِبُ صَاحِبُهَا دُخُولَ النَّارِ، وَإِذَا سَمِعْتَ بِهَدْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَيِّ شَيْءٍ فَاتْبَعْهُ، وَحَافِظْ عَلَى التَّقَالِيدِ الإِسْلَامِيَّةِ الْحَقَّةِ وَلَا تَتَشَبَّهْ بِالْكُفَّارِ «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا، فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُورًا».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ » وَقَالَ ﷺ « إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَهْلَكْتُهُمْ بِالذُّنُوبِ فَأَهْلَكُونِي بِالاسْتِغْفَارِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ أَهْلَكْتُهُمْ بِالأَهْوَاءِ فَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ فَلَا يَسْتَغْفِرُونَ » وَقَالَ أَيْضاً لِخَادِمِهِ بِلَالٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ « إِعْلَمْ يَا بِلَالُ ، قَالَ مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ اعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي أُمِيتَتْ بَعْدِي كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ ذلكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةً ضَلَالَةً لَا يَرْضَاهَا اللهُ وَرَسُولُهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلَ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئاً » . وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً عَلَى أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَهُمْ جُلُوسٌ ، فَقَالَ لَهُمْ : « أَلَيْسَ تَشْهَدُون أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟ قَالُوا بَلَى ، قَالَ إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا » (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) .

الخطبة الثامنة

فِي الصِّحَةِ وَالنَّظَافَةِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً وَلَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ ، جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ وَلَا يَأْمُرُ الْخَلْقَ إِلَّا بِمَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ بِالْمَصَالِحِ ، أَحَلَّ الْحَلَالَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَحَرَّمَ الْخَبَائِثَ وَالْقَبَائِحَ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى

عَلَى نِعْمَةِ الإِسْلَامِ حَمْدَ الْمُعْتَرِفِ الْمَادِحِ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنَا بِالطَّهَارَةِ وَالنَّظَافَةِ لِصِحَّةِ الْأَبْدَانِ وَالْأَرْوَاحِ وَالْقَرَائِحِ ،وَهَلْ يَجْلِبُ الْأَمْرَاضَ وَيُفْسِدُ الذَّوْقَ وَيُضْعِفُ الْعَقْلَ وَيُغْضِبُ الرَّبَّ وَيُؤْذِي الْجَلِيسَ إِلَّا قَبَاحَةُ الْمَنْظَرِ وَخُبْثُ الرَّوَائِحِ «مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَرَعَ الْوُضُوءَ وَالْغُسْلَ وَإِزَالَةَ النَّجَاسَةِ عَنِ الثِّيَابِ وَالْأَبْدَانِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْقَائِلُ ﷺ : الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْمُوحَى إِلَيْهِ بِقَوْلِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) وَيَعْنِي بِهِ الْأَقْذَارَ وَعِبَادَةَ الْأَوْثَانِ ، اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد الْقَائِلِ : خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ فَعَدَّهَا : قَصُّ الشَّارِبِ وَنَتْفُ الإِبْطِ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَحَلْقُ الْعَانَةِ وَالْخِتَانُ . صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْمُطَهَّرِينَ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ، وَعَلَى صَحَابَتِهِ الْمُتَطَهِّرِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْأَدْرَانِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ (وَإِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) .

عِبَادَ اللهِ : إِنَّ الدِّينَ يَأْمُرُكُمْ بِطَهَارَةِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ ،وَلَا تُقْبَلُ الْعِبَادَةُ إِلَّا مِنْ طَاهِرٍ ، فَمِنَ الشِّرْكِ وَالْحَسَدِ وَالْكِبْرِ وَالرِّيَاءِ وَالْحِقْدِ تَكُونُ طَهَارَةُ الْقُلُوبِ وَالسَّرَائِرِ ،وَمِنَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ وَالدَّمِ وَالْقَيْحِ وَالْمُسْتَقْذَرَاتِ كُلِّهَا تَكُونُ طَهَارَةُ الْأَجْسَامِ وَالظَّوَاهِرِ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْكِبْرِ ، وَلَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِلَّا مُنَافِقٌ أَوْ كَافِرٌ . وَفِي الْحَدِيثِ

الشَّرِيفِ «إنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةٌ إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَّ وَهِيَ الْقَلْبُ »وَإنَّ الذُّنُوبَ لَتُعْمِي الْبَصَائِرَ وَرُبَّ جَمِيلٍ مَنْظَرُهُ وَخَبِيثٍ مَخْبَرُهُ، تَرَاهُ فَتَحْسَبُهُ صَالِحاً فَتُبَاهِي بِهِ وَتُفَاخِرُ ،وَإِذَا مَا اخْتَبَرْتَهُ وجَرَّبْتَهُ وَجَدْتَهُ طَالِحاً وَعَرَفْتَ أَنَّهُ مُخَادِعٌ وَمَاكِرٌ. وَاللهُ لَا يَنْظُرُ مِنَ النَّاسِ إِلَى صُوَرِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ إِلَى الأَعْمَالِ وَالنِّيَّاتِ نَاظِرٌ (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) .

نَجَاسَةُ الْقَلْبِ تُطَهِّرُهَا مُسَالَمَةُ النَّاسِ وَصِدْقُ التَّوْبَةِ وَالوُثُوقُ بِاللهِ ، وَحُبُّ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ وَأَنْ تَكْرَهَ لِلنَّاسِ مِنَ الشَّرِ مَا تَكْرَهُهُ لِنَفْسِكَ ، وَأَنْ تَرْضَى بِقَدَرِ اللهِ ، وَالْمُؤْمِنُ الْمُصَدِّقُ بِكِتَابِ اللهِ لَا يُضْمِرُ غُشاً وَلَا يَفْعَلُ نُكْرًا وَلَا يَعْمَلُ إِلَّا بِمَرْضَاةِ اللهِ (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ) وَفِي كُتُبِ الصُّوفِيَّةِ مِنَ الْعِنَايَةِ بِأَمْرِ الْبَاطِنِ وَطَهَارَةِ الْقُلُوبِ مِنْ دَرَنِ الذُّنُوبِ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ الْمُنْصِفُ عَلَى مُحَارَبَةِ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ ، وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَيُلْهِمْهُ رُشْدَهُ وَيُعِنْهُ عَلَى تَقْوَاهُ ، وَيُقَرِّبْهُ إِلَيْهِ زُلْفَى ، فَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ، وَلَا يَفْعَلُ وَلَا يَتْرُكُ إِلاَّ بِاللهِ «مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

نَقْرَأُ فِي كُتُبِ الفِقْهِ وَالْحَدِيثِ مَا يُؤْمَرُ بِهِ الْمُسْلِمُ مِنَ السِّوَاكِ

وَالْمَضْمَضَةِ وَالاسْتِنْشَاقِ وَالدَّلْكِ وَالتَّخْلِيلِ، وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ إِزَالَةِ النَّجَاسَةِ وَغُسْلِ الْجَنَابَةِ وَتَعَهُّدِ الْمَعَاطِفِ الَّتِي لَا يَصِلُ إِلَيْهَا الْمَاءُ فَلَا نُدْرِكُ السِّرَّ إِلَّا قَلِيلٌ ،وَمَا شَرَعَ اللهُ لِعِبَادِهِ الْخِتَانَ وحَلْقَ الْعَانَةِ وَنَتْفَ الإِبْطِ وَتَقْلِيمَ الأَظْفَارِ وَمَا يَحْتَاجُهُ الشَّعْرُ مِنَ الدُّهْنِ وَالتَّرْجِيلِ إِلَّا لِمَا يُحِبُّهُ تَعَالَى مِنْ صِحَّةِ أَجْسَامِهِمْ وَنَظَافَةِ ثِيَابِهِمْ وَطِيبِ رَوَائِحِهِمْ، وَالْمُؤْمِنُ عِنْدَ اللهِ طَيِّبٌ وَجَمِيلٌ ،وَلِمَاذَا تُسَنُّ فِي الْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ وَلِحُضُورِ كُلِّ اجْتِمَاعٍ عَامٌّ مُبَالَغَةُ الْمُسْلِمِ فِي التَّنْظِيفِ وَالتَّغْسيلِ ،وَلِمَاذَا حَرَّمَ اللهُ وَطْءَ الْحَائِضِ وَالْبُصَاقَ فِي الْمَسْجِدِ ، وَأَوْجَبَ الإِسْتِنْجَاءَ وَغَسْلَ أَوَانِي الْكُفَّارِ وَمَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ ، وَنَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْحَدِيثُ وَالتَّنْزِيلُ ؟ لَيْسَ إِلَّا ابْتِعَادًا بِكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عَنِ الأَمْرَاضِ ، وَخَوْفاً عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَدْوَى ، وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ، ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) .

بَعْضُ النَّاسِ إِذَا تَسَوَّكَ دَلَكَ الأَسْنَانَ وَالْحَنَكَ حَتَّى تُدْمَى وَلَمْ يُغسِلِ الْمِسْوَاكَ ، فَيُعَرِّضُهُ لِوُقُوعِ الذُّبَابِ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَغْسِلْهُ مِنَ الْقَلَحِ حَتَّى يَكُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَرَاثِيمِ الْفَتَّاكَةِ مَا يُودِي بِهِ إِلَى الْهَلَاكِ ، وَيَرَى أَنَّهُ خَالَفَ السُّنَّةَ وَلَمْ يُدْرِكِ الغَرَضِ مِنَ التَّنْظِيفِ إِنْ لَمْ يَكُنْ سِوَاكُهُ مِنْ عُودِ الأَرَاكِ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَمْتَخِطُ بِيَدِهِ وَلَا يَكَادُ يَنْزِعُهَا مِنْ أَنْفِهِ وَفَمِهِ وَإِبْطِهِ وَمَا بَيْنَ فَخِذَيْهِ ، وَإِذَا تَمَضْمَضَ مَجَّ الْمَاءَ فِي الحِيَاضِ وَالْبِرَكِ الْمَوْقُوفَةِ وَهٰذَا حَرَامٌ وَفِيهِ لِحُرْمَةِ الْمُتَطَهِّرِينَ مُنْتَهَى الِانْتِهَاكِ ،

وَقَدْ تَغْسِلُ أَيُّهَا الْمتَوَضِّىءُ نَجَاسَتَكَ بِالْمَاءِ الْمَوْقُوفِ وَتُدْخِلُ فِيهِ أَصْرافَكَ الْمُتَلَوِّثَةَ ، فَإِيَّاكَ وَمِثْلَ هٰذَا وَإِيَّاكَ ، وَالَّذِي يَبُولُ أَوْ يَتَغَوَّطُ في طُرُقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِمْ أَوْ في مَوَارِدِ الْمَاءِ ظَالِمٌ وَمَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ مَنْ عَلَّمَكَ وَهَدَاكَ إِلَى مَصَالِحِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

إِذَا شَرِبْتَ الْمَاءَ فَسَمِّ اللهَ وَلَا تَشْرَبْ مِنْ ثُلْمَةِ الإِنَاءِ وَلَا تَتَنَفَّسْ فِيهِ ، وَإِذَا أَكَلْتَ فَاغْسِلْ يَدَيْكَ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى أَكِيلِكَ أَوْ تَأْخُذْ شَيْئاً مِمَّا يَلِيهِ ، وَمَنْ نَامَ وَعَلَى يَدَيْهِ غَمْرٌ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ، وَالْمُؤْمِنُ النَّظِيفُ إِذَا أَكَلَ لَا يُدْخِلُ أَصَابِعَهُ في فِيهِ ، وَحَذَارِ أَنْ تَتَخَلَّلَ وَتَلْفِظَ مَا بَيْنَ أَسْنَانِكَ أَوْ تَخرِجَ شَيْئاً تَضَعُهُ عَلَى الْمَائِدَةِ فَتَضُرَّ بِهِ جَلِيسَكَ وَتُؤْذِيهِ ، وَالْمَسْلُولُ وَمَنْ بِهِ مَرَضٌ مُعْدِيٌّ لَا يَدْخُلُ الْمَسَاجِدَ وَلَا يَحْضُرُ الْمَحَافِلَ ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ يُبْعِدُهُ وَيُنَحِّيهِ ، وَمَا شَرَعَ اللهُ فَسْخَ النِّكَاحِ بِالْجُذَامِ وَالْبَرَصِ إِلَّا مَخَافَةَ أَنْ يُعْدِيَ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ الآخَرَ وَمَا أَكْثَرَ مَا يُبَاشِرُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ فَيُعْدِيهَا وَتُعْدِيهِ . وَفي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ ، وَلَكِنَّ هٰذا لِمَنْ صَحَّ إِيمَانُهُ وَصَدَقَ في تَوَكُّلِهِ عَلَى رَبِّهِ وَبَارِيهِ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

مُعَالَجَةُ الأَمْرَاضِ وَالْتِمَاسُ الطِّبِّ لَا يُعَدُّ مُخَالَفَةً لِلتَّوَكُّلِ كَمَا يَتَوهَّمُ ذَلِكَ مَنْ لَا يَعْرِفُ تَعَالِيمَ الإِسْلَامِ ، فَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُدَاوِي

وَيَتَدَاوَى وَيَقُولُ : مَنْ تَطَبَّبَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْلَمَ مِنْهُ طِبٌّ فَهُوَ ضَامِنٌ. وَيَخَافُ عَلَى الْأُمَّةِ مِنْ مُهْلِكَاتِ الْأَوْهَامِ ، وَيَقُولُ : مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا وَأَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ ، وَيُرَغِّبُ فِي السَّنَا وَالسَّنُوتِ وَيَأْمُرُ بِالِاسْتِيَاكِ وَالِاحْتِجَامِ ، وَيَنْهَى عَنِ الْإِفْرَاطِ فِي الْأَكْلِ وَالْجُلُوسِ فِي الشَّمْسِ ، وَيَقُولُ : الْمَعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ ، وَإِنَّهُ ﷺ لَطَبِيبُ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ ، وَالْقُرْآنُ يُبِيحُ التَّيَمُّمَ لِلْمَرِيضِ إِذَا خَافَ مِنِ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ ، كَمَا يُبِيحُ لَهُ تَرْكَ الصِّيَامِ ، وَلَا بَأْسَ أَنْ يَقْعُدَ الْمَرِيضُ أَوْ يَضْطَجِعَ فِي الصَّلَاةِ إِذَا عَجَزَ عَنِ الْقِيَامِ . وَلِلْمُحْرِمِ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ أَنْ يَحْلِقَ رَأْسَهُ إِنْ كَانَ بِهِ مَرَضٌ أَوْ تَأَذَّى بِالْهَوَامِ ، وَعَلَيْهِ فِدْيَةٌ مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ أَوْ صِيَامٍ ، وَإِذَا فُقِدَ الطَّبِيبُ لِلرِّجَالِ أَوِ الطَّبِيبَةُ لِلنِّسَاءِ جَازَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَنْظُرَ مِنَ الْمَرْأَةِ بِحُضُورِ زَوْجٍ أَوْ مَحْرَمٍ إِلَى مَا يُرِيدُ عِلَاجَهُ مِنْهَا وَلَكِنْ مَعَ الْأَدَبِ وَالِاحْتِشَامِ ، فَأَيُّ دِينٍ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ بِالصِّحَّةِ مِثْلَ مَا لِلْإِسْلَامِ كَمَا عَرَفْتَ مِنْ هٰذِهِ الْأَحْكَامِ (وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » وَقَالَ ﷺ « إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ وَأَنْتُمْ بِأَرْضٍ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارًا مِنْهُ » وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ أَوْ شَرْبَةِ مِنْ عَسَلٍ أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ دَاءً وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِي » وَقَالَ أَيْضاً « إِذَا

بَالَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ ، وَإِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ فَلَا يَتَمَسَّحْ بِيَمِينِهِ ، وَإِذَا شَرِبَ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ » وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) .

الخطبة التاسعة

فِي الْأُلْفَةِ وَالْإِتِّحَادِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةً وَنِعْمَةُ الْأُخُوَّةِ فِي الْإِيمَانِ ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَقُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ ، وَصَيَّرَهُمْ بَعْدَ الْفِرْقَةِ كَالْبَنَانِ أَوْ كَالْبُنْيَانِ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى فَضَّلَنَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ ، كَمَا فَضَّلَ دِينَنَا عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَنَا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ بِشَهَادَةِ الْقُرْآنِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ ، قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ) .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي جَلَالِهِ وَقُدْسِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْقَائِلُ «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الطَّيِّبِ مَنْبَتُهُ ، وَالْكَرِيمِ مَحْتِدُهُ ، وَأَفْضَلِ النَّاسِ فِي نَوْعِهِ وَجِنْسِهِ ، رَسُولِ اللهِ

إِلَى كَافَّةِ جِنِّهِ وَإِنْسِهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا أَشْرَقَ الْوُجُودُ بِنُورِ شَمْسِهِ)وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ، وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ) .

عِبَادَ اللهِ : أَهَمُّ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ بَعْدَ التَّوْحِيدِ جَمْعُ الْكَلِمَةِ وَلَمُّ الشَّعْثِ وَتَسْوِيَةُ الصُّفُوفِ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ ، وَالْمُؤْمِنُ رَحِيمٌ رَءُوفٌ ، وَمَا شَرَعَ اللهُ فِي دِينِهِ الْمُسَاوَاةَ بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ، وَالشَّرِيفِ وَالْمَشْرُوفِ ، إِلَّا لِيَتِمَّ بَيْنَ عِبَادِهِ التَّآلُفُ ، وَالْمُسْلِمُ أَلِيفٌ مَأْلُوفٌ ، وَمَا جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَآخَى بَيْنَهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالْمَعْرُوفِ ، وَقَضَى عَلَى مَا كَانَ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ مِنَ الْخِلَافِ إِلَّا لِكَيْ يَتَّحِدُوا ، وَفَضْلُ الاتِّحَادِ مَعْرُوفٌ ، وَمَا اسْتَاءَتِ الْيَهُودُ مِنْ شَيْءٍ اسْتِيَاؤُهُمْ مِنِ اجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَتَآلُفِهِمْ بَعْدَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفِرْقَةِ وَالْقَتْلِ وَالْخَوْفِ ، حَتَّى أَضْمَرُوا الشَّرَّ وَدَبَّرُوا الْأَمْرَ ، وَخَوَّفَ اللهُ مِنْ كَيْدِهِمْ وَحَذَّرَ ، فَقَالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ) .

وَبِفَضْلِ الاتِّحَادِ ظَهَرَ الْمُسْلِمُونَ مَعَ قِلَّتِهِمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ مِنْ كُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَهَلْ فَتَحُوا الْبِلَادَ وَأَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ وَقَهَرُوا الْمُلُوكَ وَالسَّلَاطِينَ ، وَصَارُوا أَقْوِيَاءَ وَعُلَمَاءَ وَأَغْنِيَاءَ وَسَادَةَ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ،

إِلَّا بِاتِّحَادِهِمْ ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ لِيَكُونَ مِنَ الضُّعَفَاءِ أَوْ تَنَالُهُ الْمَسَاكِينُ ، وَلَكِنَّهُمْ جَمَعُوا أَمْرَهُمْ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى فَأَيَّدَهُمْ اللهُ بِالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ . وَقَالَ تَعَالَى (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ فَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) .

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْيَدَ الْوَاحِدَةَ لَا تُصَفِّقُ وَلَوْ كَانَتِ الْيَمِينَ ، وَالْعُودَ يَنْكَسِرُ وَحْدَهُ ، وَهُوَ فِي الْحِزْمَةِ مَعَ غَيْرِهِ لَا يَنْكَسِرُ وَلَا يَلِينُ ، وَكَذَلِكَ النَّاسُ إِذَا اتَّحَدُوا مُسَالِمِينَ وَمُحَارِبِينَ ، كَانَتْ لَهُمْ الْعَاقِبَةُ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ « قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ) .

فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ما كَانَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ الْمُقَاتِلِينَ إِلَّا ثَلَثَمَائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ ، وَالْكُفَّارُ كَانُوا تِسْعَمَائَةٍ أَوْ أَكْثَرَ ، فَأَيَّدَ اللهُ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُهُمْ وَعَقَدُوا الْعَزْمَ عَلَى مُقَاتَلَةِ مَنْ خَالَفَهُمْ مِنَ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ وَالْأَصْفَرِ ، وَيَوْمَ أُحُد اخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ نَوْعاً مَا وَتَرَكَ بَعْضُهُمْ الْعَمَلَ بِمَا قَالَ سَيِّدُ الْبَشَرِ ، فَأُدِيلَ عَلَيْهِمُ الْكُفَّارُ وَنَالُوا مِنْهُمْ وَكَثُرَ فِيهِمُ الْقَتْلُ وَاسْتَعَرَ ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ دَرْساً عَمَلِياً مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ حَتَّى يَعْرِفُوا عَاقِبَةَ الْأَمْرِ إِذَا اتَّحَدُوا ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ، وَإِنْ اخْتَلَفُوا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ وَالْمُسْتَقَرُّ ، وَكَذَلِكَ يُجْزَى مَنْ كَفَرَ « وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ » .

لَمْ يَمْضِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِلَّا فَتْرَةٌ قَصِيرَةٌ مِنْ بِعْثَةِ الرَّسُولِ وَهُمْ فِي مُنْتَهَى الْعِزِّ وَالْكَرَامَةِ يَخَافُهُمُ الْعُظَمَاءُ وَيَخْشَى بَأْسَهُمُ الْمُلُوكُ وَالزُّعَمَاءُ وَتَقْنَعُ مِنْهُمُ الدُّولُ الْكُبْرَى بِالْعَافِيَةِ وَالسَّلَامَةِ ، حَتَّى تَفَرَّقُوا شِيَعاً وَأَحْزَاباً ، وَصَارَتِ الْأَسْمَاءُ أَلْقَاباً ، وَتَعَدَّدَتْ مَذَاهِبُهُمْ خَطأً وَصَوَاباً ، وَجَعَلُوا قَوَاعِدَ الدِّينِ مُتَنَاقِضَةً ، وَعَقَائِدَ الْمُسْلِمِينَ مُتَعَارِضَةً فِي أَمْرِ الْخِلَافَةِ وَالإِمَامَةِ فَسُنِّيٌّ وَشِيعِيٌّ ، وَنَاصِبِيٌّ وَرَافِضِيٌّ ، وَخَارِجِيٌّ وَقُرْمُطِيٌّ ، وَكُلٌّ يَكِيدُ لِغَيْرِهِ وَيُبْطِلُ أَحْكَامَهُ ، وَيَرَاهُ ضَالًّا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُضْرَبَ رَأْسُهُ بِالصَّمْصَامَةِ ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي هٰذِهِ الْأُمَّةِ لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَالْفِتْنَةُ نَائِمَةٌ وَلَعَنَ اللهُ مَنْ أَيْقَظَ الشَّرَّ وَأَقَامَهُ ، وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ وَعَاقِبَةُ الْغَادِرِ الْخِزْيُ وَالنَّدَامَةُ «يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ» .

يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ كَيْفَ تَخْتَلِفُونَ وَدِينُكُمُ التَّوْحِيدُ وَالْاتِّحَادُ ، وَكَيْفَ تَفْتَرِقُونَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا فِي الْفُرْقَةِ مِنَ الْمَضَرَّةِ وَالْفَسَادِ ، وَهَلْ تَنْتَشِرُ الْفَوْضَى وَيَخْتَلُّ النِّظَامُ وَتَتَعَطَّلُ مَصَالِحُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ إِلَّا بِالتَّفَرُّقِ فِي الْأَعْمَالِ وَالْمَقَاصِدِ وَالاعْتِقَادِ ، وَهَلْ يَسْتَعِينُ عَلَيْكُمُ الْكُفَّارُ ، وَيَتَمَكَّنُ فِيكُمُ الاسْتِعْمَارُ وَتُصَابُونَ بِأَشَدِّ الْمَضَارِّ إِلَّا بِاخْتِلَافِ آرَائِكُمْ وَمُتَابَعَةِ أَهْوَائِكُمْ وَشِدَّةِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِاللَّوْمِ وَالْانْتِقَادِ ، وَمَا كَانَتْ سِيَاسَةُ فِرْعَوْنَ وَالْجَبَابِرَةِ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا سِيَاسَةَ فَرِّقْ تَسُدْ ، وَالشَّيْطَانُ يَدْخُلُ بَيْنَ الآبَاءِ وَالْأَوْلَادِ ، وَيُبْعِدُ مَا بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ وَالْأَفْرَادِ ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ

(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ)

فِي هٰذِهِ الْبِلَادِ أَحْزَابٌ وَمَذَاهِبُ شَتَّى ، وَلَهُمْ فِي النَّاحِيَتَيْنِ الدِّينِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ مَا يَسْتَوْجِبُونَ بِهِ مِنَ اللهِ غَضَباً وَمَقْتاً ، عَدَدُهُمْ قَلِيلٌ وَعِنَادُهُمْ عَظِيمٌ وَنُفُوسُهُمْ شِرِّيرَةٌ وَشَيْطَانُهُمْ رَجِيمٌ ، وَوَاعِظُهُمْ مَبْغُوضٌ وَالسَّامِعُ غَيْرُ مَوْعُوظٍ ، وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ تَفُتُّ فِي أَعْضَادِهِمْ فَتاً ، الْقُرْآنُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْأُلْفَةِ وَالْاِجْتِمَاعِ ، وَالشَّيْطَانُ يُزَيِّنُ لَهُمُ الْخِصَامَ وَالنِّزَاعَ ، وَيَسْتَمِيلُ خُبَثَاءَ الطِّبَاعِ ، بِقَوْلِهِ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُطَاعَ فَأْمُرْ بِمَا يُسْتَطَاعُ ، وَيَقُولُ فِي الْمُصْلِحِينَ زُوراً وَبُهْتاً : فَالصَّغِيرُ لَا يَحْتَرِمُ الْكَبِيرَ وَلَا يَرَى لَهُ حَقاً ، وَالْكَبِيرُ لَا يَرْحَمُ الصَّغِيرَ وَلَا يَبِشُّ بِهِ مُلَاقَاةً وَنُطْقاً ، وَالْحَاكِمُ لَا يَسْتَعِينُ بِرَعِيَّتِهِ وَلَا هُمْ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ عَنْ عَثْرَتِهِ وَسَيِّئَتِهِ ، وَالْمُلْحِدُ لَا يَحْتَرِمُ جُمْعَةً وَلَا أَحَدًا وَلَا سَبْتاً ، وَالْمُتَدَيِّنُ لَا يَبْذِلُ جُهْدَهُ فِي التَّعْلِيمِ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى مُجَادَلَةِ الْفَاجِرِ الْأَثِيمِ وَلَا يَتَخَلَّقُ بِالْحِكْمَةِ قَوْلاً وَصَمْتاً ، وَتَمَسُّكاً وَسَمْتاً (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) .

فِيمَ هٰذِهِ الْفُرْقَةُ وَالْاِسْلَامُ يَجْمَعُكُمْ وَمَبَادِئُكُمْ مُتَقَارِبَةٌ ، بِلَادٌ وَاحِدَةٌ ، وَجِنْسِيَّةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلُغَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَالْأَهْوَاءُ مُخْتَلِفَةٌ وَالْآرَاءُ مُتَضَارِبَةٌ ، وَأَنْتُمْ لَا شَكَّ تَرْمُونَ إِلَى هَدَفٍ سَامٍ وَتَؤُمُّونَ غَايَةً شَرِيفَةً ، وَتَدْعُونَ إِلَى الْإِصْلَاحِ فِي كُلِّ مُنَاسَبَةٍ ، وَلَكِنَّ جُهُودَكُمْ غَيْرُ مُتَّحِدَةٍ ، وَأَعْمَالُكُم غَيْرُ مُتَّفِقَةٍ ،

وَكُلٌّ يُخَطِّىءُ غَيْرَهُ وَيَتَمَدَّحُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ وَيَتَشَبَّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ وَيَعُدُّ حُجَّتَهُ صَائِبَةً ، فَأَلْسِنَةٌ فَصِيحَةٌ ، وَأَقْوَالٌ صَحِيحَةٌ ؛ وَقُلُوبُ خَبِيثَةٌ وَنُفُوسٌ مُتَعَادِيَةٌ مُتَحَارِبَةٌ ، وَاللهُ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَنَجْوَاكُمْ ، وَيَدْعُوكُمْ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحَ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ ، وَيَكْرَهُ لَكُمُ التَّفَرُّقَ فِي مَسْرحِكُمْ وَمَأْوَاكُمْ وَيُحَذِّرُكُمُ الشَّرَّ وَجَانِبَهُ ، وَيَقُولُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ» .

وَقَالَ ﷺ «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ» .

وَقَالَ أَيْضاً «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هٰذِهِ جُعِلَتْ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا ، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا ، وَتَجِيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هٰذِهِ مُهْلِكَتِي ثُم تَنْكَشِفُ ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هٰذِهِ هٰذِهِ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَاماً

فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ. فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ » .

(إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ) .

الخطبة العاشرة

في الْحَثِّ عَلَى الصَّلاَةِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ الصَّلَاةَ عِمَادَ الدِّينِ، وَجَعَلَهَا كِتَاباً مَوْقُوتاً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَلْزَمَ بِهَا الْمُسْلِمِين وَحَثَّهُمْ عَلَيْهَا فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ الْمُبِينِ، فَقَالَ تَعَالَى «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلّٰهِ قَانِتِينَ» وَقَالَ تَعَالَى «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُتَفَضِّلُ الْبَرُّ الْجَوَادُ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى إِنْعَامِهِ الَّذِي مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْقَائِلُ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ، وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ» .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُرْشِدِ الْأَمِينِ، وَالْمَوْصُوفِ

بِالرَّحْمَةِ وَالْلِّينِ ،صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : إِنَّ آيَةَ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ غَيْرِكُمُ الصَّلَاةُ ، إِذْ لَا يَقُومُ بِهَا إِلَّا خَاشِعٌ قَانِتٌ مُنِيبٌ أَوَّاهٌ ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَلَا يُقَصِّرُ فِيهَا إِلَّا سَفِيهٌ أَضَلَّهُ الشَّيْطَانُ وَأَغْوَاهُ ، نَعَمْ وَلَا يَتَغَافَلُ عَنْهَا إِلَّا فَاسِقٌ اسْتَزَلَّهُ هَوَاهُ وَأَطْغَاهُ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » .

خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ ، يُطَهِّرُونَ بِهَا أَرْوَاحَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا يُطَهِّرُونَ بِالْمَاءِ دَرَنَ الثِّيَابِ وَالْأَجْسَادِ ، مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ فِي أَوْقَاتِهِنَّ بِغَيْرِ مَا بُطْلَانٍ وَلَا فَسَادٍ ، فَقَدْ فَازَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ وَهُدِيَ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ ، وَمَنْ تَرَكَهُنَّ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ، مَعَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ وَثَمُودَ وَعَادٍ «إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ » .

قَدْ جَعَلَ اللهُ إِقَامَةَ الصَّلَاةِ لِهَذَا الدِّينِ رُكْناً أَسَاسِياً ، وَأَمَرَ بِهَا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِين وَأَتْبَاعَهُمْ وَكَانَ أَمْرُ رَبِّكَ مَقْضِيًّا ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي وَكَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا ، وَمَدَحَ اللهُ اسْمَاعِيلَ بِصِدْقِ

الوَعْدِ وَانَّهُ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا . وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) وَقَالَ اللهُ لِمُحَمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ » «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا» «إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ » .

تَارِكُ الصَّلَاةِ مُعْرِضٌ عَنِ اللهِ وَخَارِجٌ مِنْ دَائِرَةِ الإِسْلَامِ ، وَكَافِرٌ بِغَيْرِ تَفْصِيلٍ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الأَئِمَّةِ الأَعْلَامِ ، مَحْرُومٌ مِنَ التَّلَذُّذِ بِآيَةِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فِي أَعْظَمِ مَوْقِفٍ وأَشْرَفِ مَقَامٍ ، مَصْرُوفٌ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِخَيْرِ إِنْعَامٍ ، قَرِيبٌ مِنَ الشَّرِّ بَعِيدٌ مِنَ الْخَيْرِ وَمَوْصُوفٌ بِكُلِّ إِجْرَامٍ ، لَا دِينَ لَهُ فَيَنْهَاهُ وَلَا صَلَاةَ لَهُ فَتَمْنَعُهُ عَنْ سَيِّئَاتِ الذُّنُوبِ وَقَبِيحِ الآثَامِ « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ » .

مَا بَالُ مَسَاجِدِنَا خَالِيَةً مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَالأَعْيَانِ إِلَّا النَّزْرَ الْيَسِيرَ ، مَا بَالُ جُمْعَتِنَا وَجَمَاعَتِنَا لَا يَحْضُرُهَا إِلَّا عَاجِزٌ مَرِيضٌ أَوْ بَائِسٌ فَقِيرٌ ، مَا بَالُ أَئِمَّتِنَا وَقُرَّائِنَا مَا بَيْنَ شَيْخٍ هَرِمٍ وَقَعِيدٍ وَضَرِيرٍ ، أَيَعَافُ أَغْنِيَاؤُنَا الْمُتْرَفُونَ حُضُورَ الْمَسَاجِدِ وَالْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ الْقَدِيرِ ، وَيَتَرَفَّعُونَ

عَنِ الصَّلَاةِ مَعَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَعَلَى فَرْشِ الْحَصِيرِ «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ» .

كَانَتْ الْمَسَاجِدُ لِلصَّلَاةِ وَالْاعْتِكَافِ وَكُلِّ عِبَادَةٍ مَرْضِيَّةٍ ، وَأَنْدِيَةً لِلْمُسْلِمِينَ يَجْتَمِعُونَ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيَّةً ، وَلَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُسَافِرٌ أَوْ مَرِيضٌ أَوْ مَعْذُورٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْاعْذَارِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَفِيهَا مَدَارِسُهُمْ وَمَعَاهِدُهُمُ الدِّينِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ ، وَيَتَخَرَّجُ مِنْهَا الْمُلُوكُ وَرِجَالُ الدَّوْلَةِ وَالْعُلَمَاءُ وَالشُّعَرَاءُ وَالْأُدَبَاءُ وَقَادَةُ الْفِكْرِ وَأَهْلُ الْهِمَمِ الْعَلِيَّةِ . وَكَانَتْ لَهُمْ كَبُيُوتِ الْبَرْلَمَانِ وَمَجَالِس النُّوَّابِ فِي الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ الْأَجْنَبِيَّةِ « وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ » .

فَيَا شَبَابَ الْإِسْلَامِ وَيَا شُيُوخَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَا أَيُّهَا الرُّؤَسَاءُ وَالْأَعْيَانُ وَيَا عُلَمَاءَ الدِّينِ كَيْفَ هَجَرْتُمْ بُيُوتَ اللهِ وَمَجَالِسَ الْعِلْمِ وَتِلَاوَةَ الذِّكْرِ الْمُبِينِ ، وَعَمَرْتُمْ بُيُوتَ الْقَالِ وَالْقِيلِ وَجَالَسْتُمُ الْعُصَاةَ وَالْفَاسِقِينَ «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ » . أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَسْمَعَ مُنَادِي الصَّلَاةِ فَيُدْبِرَ مَوْصُوفاً بِهٰذِهِ الْآيَةِ (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) .

الْحَدِيثُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ،وَلَطَّفَ بِنَا فِيمَا قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ ، وَجَعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ،وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) .

الخطبة الحادية عشرة

في الْاشْتِغَالِ عَنِ الْوَاجِبَاتِ وَالْمَنْدُوبَاتِ بِالْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْحَلِيمِ الْعَظِيمِ الْقَدِيرِ ، الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ ، غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) «وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ» .

نَحمدُهُ تَعَالَى وَقَدْ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ وَانْتِقَامَهُ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ

أَسْبَغَ عَلَيْنَا تَفَضُّلَهُ وَإِنْعَامَهُ ،وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالتَّوْبَةَ وَالإِنَابَةَ وَجَمِيلَ الاسْتِقَامَةِ ، وَنَعُوذُ بِهِ أَنْ نَأْمَنَ مَنَ مَكْرِهُ ، وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْخَاسِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ السِّتْرَ وَالسَّلَامَةَ . وَالأَجْرَ وَالْكَرَامَةَ . لِذَوِي الدِّينِ وَالشَّهَامَةِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُوحَى إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى «وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتَ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنْسَانَ كَفُورٌ » .

اللّٰهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصْلِحِينَ ، وَنَذِيرِ الْعُصَاةِ الْمُفْسِدِينَ وَالْقَائِلِ ﷺ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْمَيَامِينِ ، وَجَمِيعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، صَلَاةً وَسَلَاماً مُتَلَازِمَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ .

عِبَادَ اللهِ ، مَا بَالُكُمْ لَا تَسْمَعُونَ . وَإِذَا سَمِعْتُمْ لَا تَنْتَفِعُونَ . وَلِأَيِّ شَيْءٍ تَجْتَمِعُونَ ، وَيَقُومُ فِيكُمُ الْخُطَبَاءُ الْمِصْقَعُونَ ، وَالْوُعَّاظُ الْمُبْدِعُونَ فَيُذَكِّرُونَكُمْ أَيَّامَ اللهِ فَلَا تَخْشَعُونَ وَيُرَغِّبُونَكُمْ فِي الْخَيْرِ فَلَا تُسَارِعُونَ . وَيُنْذِرُونَكُمُ السُّوءَ فَلَا تَرْتَدِعُونَ ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ » .

يَا أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُونَ الْكِرَامُ ، لَقَدْ أَحْسَنْتُمُ الإِنْصَاتَ وَأَحْسَنْتُ لَكُمْ

الْكَلَامَ ، فَأَيْنَ الْعَمَلُ بِتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ ، وَأَيْنَ الْانْقِيَادُ لِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الْأَنَامِ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، لَقَدْ عَطَّلْتُمُ الْأَحْكَامَ ، وَتَسَاهَلْتُمْ بِأَمْرِ الحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، فَعَنِ الطَّاعَةِ إِحْجَامٌ ، وَعَلَى الْمُخَالَفَةِ إِقْدَامٌ ، تَسْمَعُونَ دَاعِيَ اللهِ فَلَا تُجِيبُونَ ، وَتَمُرُّونَ بِالْمَسَاجِدِ وَفِيهَا الصَّلَاةُ تُقَامُ ، فَتُوَلُّونَ مُعْرِضِينَ ، وَلَا تَعِيرُونَ الْأَمْرَ أَيَّ اهْتِمَامٍ ، وَإِذَا سَمِعْتُمُ الْآلَاتِ وَالْغِنَاءَ ، أَوْ مَرَرْتُمْ بِدِيَارِ الْفَاسِقِينَ وَأَهْلِ الْخَنَا ، طَرِبَتْ لِذَلِكَ أَرْوَاحُكُمْ ، وَاهْتَزَّتْ لَهُ أَشْبَاحُكُمْ ، فَأَيْنَ الْمُرُوءَةُ وَالْاعْتِصَامُ بِالْقُرْآنِ ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُكُمُ الْكِرَامُ «وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ» .

كَانَتْ الْمَسَاجِدُ تَغُصُّ بِالْمُسْلِمِينَ شُيوخاً وَشُبَّاناً ، وَكَانَتْ تَعُجُّ بِأَصْوَاتِهِمْ تَسْبِيحاً وَتَهْلِيلًا وَاسْتِغْفَارًا وَقُرْآناً ، وَكَانُوا يَؤُمُّونَهَا إِذَا سَمِعُوا الْأَذَانَ زُرَافَاتٍ وَوُحْدَاناً ، وَلَا يَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ إِلَّا مَرِيضٌ فَيُعَادُ أَوْ غَائِبٌ فَيُحْفَظَ فِي أَهْلِهِ نِسَاءً وَصِبْيَاناً ، وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ الْخُلَفَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَأَرْفَعُهُمْ قَدْرًا وَشَأْناً . وَالْيَوْمَ قَدْ هُجِرَتْ بُيُوتُ اللهِ وَأَصْبَحَ النَّاسُ يَتَرَفَّعُونَ عَنْ دُخُولِهَا إِلَّا أَحْيَاناً ، أَمَّا السِّينَمَا وَبُيُوتُ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ فَيَؤُمُّهَا النَّاسُ فَتَيَاتٍ وَفُتْيَاناً ، وَإِذَا سَمِعُوا دَاعِيَ الْفَسَادِ أَجَابُوهُ سِرًّا وَإِعْلَاناً ، فَاللهُ أَعْلَمُ مَا يُرِيدُ بِعِبَادِهِ وَقَدْ خَرَجُوا عَنْ طَاعَتِهِ تَمَرُّدًا وَعِصْيَاناً «وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى» «وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ» .

صَلاةُ الصُّبْحِ وَأَنْتُمْ تَتَقَلَّبُونَ عَلَى فِرَاشِ الرَّاحَةِ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ. وَصَلاَةُ الظُّهْرِ تَتَشَاغَلُون عَنْهَا بِالأَعْمَالِ وَمَا يُحِيطُ بِكُمْ مِنَ الأَشْغَالِ، وَصَلاَةُ الْعَصْرِ مَشْغُولُونَ عَنْهَا بِلَعِبِ الدَّنَسِ وَالْكَيْرَمِ وَأَكْلِ الْقَاتِ وَالْخَوْضِ فِي الْبَاطِلِ وَكَثْرَةِ الْقِيلِ وَالْقَالِ، وَصَلاَةُ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَأَنْتُمْ فِي الْقَهْوَاتِ وَدُورِ السِّينَمَا وَمَيَادِينِ الرِّيَاضَةِ وَعَلَى شَوَاطِىءِ الْبَحْرِ مَعَ السُّفَهَاءِ وَالأَنْذَالِ، وَثَمَّةَ يَخْتَلِطُ النِّسَاءُ بِالرِّجَالِ، وَيَقَعُ مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَفُحْشِ الْفِعَالِ وَقُبْحِ الْمَقَالِ مَا لَا تُقِرُّهُ الأَدْيَانُ، وَلَا تَرْضَى بِهِ الْعُلَمَاءُ وَلَا الْجُهَّالُ، وَبُيُوتُ اللهِ خَالِيَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ، وَرُوَّادُ الْمَسَاجِدِ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيَالِي، مِنَ الَّذِينَ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ وَأُولَئِكَ هُمْ أَهْلُ الْكَمَالِ، وَإِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَمَا أَهْلُهَا إِلَّا جِمَالٌ أَوْ حِمَالٌ، فَيَا خَيْبَةَ الآمَالِ «يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ».

الإِسْلَامُ دِينُ الْبُطُولَةِ وَالْعَمَلِ الدَّائِمِ الْمُتَوَاصِلِ لِلدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَالْقُرْآنُ لَا يُرِيدُ مِنْ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا دَائِبِينَ عَلَى وَاجِبَاتِ النَّفْسِ وَالدِّينِ وَالأَبْنَاءِ وَالْمُوَاطِنِينَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ مِنَ الرَّاحَةِ وَإِعْطَاءِ النَّفْسِ حَقَّهَا مَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُفْضِياً بِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى صِفَاتِ الْمُجْرِمِينَ، الَّذِينَ يَقْتَرِفُونَ السَّيِّئَاتِ آمِنِينَ، وَيَعْبُدُونَ الشَّهَوَاتِ وَيَنْقَادُونَ لِلشَّيَاطِينِ، سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، بَلْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنْهُ ﷺ «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقاً، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقاً، وَإِنَّ لأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَدِّ إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍ حَقَّهُ» قَالَهُ لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ الْمُتَعَبِّدِينَ، الَّذِينَ تَرَكُوا الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَشَغَلَتْهُمُ الطَّاعَةُ عَنِ النَّفْسِ وَالأَمْوَالِ وَالأَهْلِينَ

وَذَكَرَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَشِعَتْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ، وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ نَسُوا بَعْضَ ذَلِكَ وَاسْتَرَاحُوا مَعَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ، فَقَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ : سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِذَلِكَ مَا دَامَ الْمُسْلِمُ قَائِماً بِمَا عَلَيْهِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً، إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ» .

لَيْسَ مِنَ الرُّجُولَةِ أَنْ تَتَحَلَّى بِالذَّهَبِ أَوْ تَلْبِسَ الْحَرِيرَ، وَلَيْسَ مِنَ الْبُطُولَةِ شُرْبُ الْخَمْرِ وَغَشَيَانُ الْمَوَاخِيرِ، وَلَيْسَ التَّمَدُّنُ أَنْ تُتْلِفَ الْمَالَ بِالْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ، فَتَكُونَ لَكَ سَيَّارَةٌ فَخْمَةٌ وَبَيْتٌ مُزَيَّنَةٌ غُرَفُهُ وَالْمَقَاصِيرُ بِالْأَثَاثِ الْكَبِيرِ، وَالْفِرَاشِ الْوَثِيرِ، وَإِنَّمَا الدِّينُ وَالرُّجُولَةُ وَالتَّمَدُّنُ وَالْبُطُولَةُ، فِي طَاعَةِ الْمَلِكِ الْقَدِيرِ، وَكَسْبِ الْمَالِ مِنْ حِلِّهِ لِمُواسَاةِ الْفَقِيرِ وَتَرْبِيَةِ الصَّغِيرِ، وَتَعْلِيمِ الْجَاهِلِ، وَمُعَاوَنَةِ الضَّرِيرِ وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ. أَمَّا الْاشْتِغَالُ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ مَعَ الْغَفْلَةِ عَنِ الْمَصِيرِ، وَعَدمِ الْاعْتِبَارِ بِالْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، فَذَلِكَ مُنْتَهَى الْإِفْرَاطِ وَالتَّقْصِيرِ. وَالسَّعِيدُ مَنْ نَظَرَ فِي الْآتِي فَادَّكَرَ وَذَكَرَ الْمَاضِي فَاعْتَبَرَ. وَفِي الْكِتَابِ الْمُنِيرِ غَايَةُ الْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» .

نَحْنُ وَاللهِ مُعْجَبُونَ بِمَا وَصَلَ إِلَيْهِ غَيْرُنَا مِنَ الْمَدَنِيَّةِ وَالْحَضَارَةِ،

مُعْتَرِفُونَ بِمَا لِلشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ الْمُتَحَضِّرَةِ مِنْ سِيَادَةٍ فِي الْأَرْضِ وَإِمَارَةٍ فَلَوِ اقْتَدَيْنَا بِهِمْ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِي الْأُمُورِ لَتَقَدَّمْنَا فِي الزِّرَاعَةِ وَالصِّنَاعَةِ وَالتِّجَارَةِ، وَالطِّبِّ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْعِمَارَةِ . وَلَكِنَّنَا أَخَذْنَا عَنْهُمُ الْخَلَاعَةَ وَالدَّعَارَةَ، وَاقْتَدَيْنَا بِهِمْ فِي الْإِلْحَادِ وَالْفَجَارَةِ، وَسَمِعْنَا ذِكْرَ الْحُرِّيَّةِ فَتَوَهَّمْنَا أَنَّهَا الْجُرْأَةُ عَلَى اللهِ وَالْجَسَارَةُ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ وَالْخُرُوجُ عَنِ الْأَدْيَانِ وَالْآدَابِ الْفَاضِلَةِ، فَيَا لَهَا مِنْ إِرَادَاتٍ ضَعِيفَةٍ وَأَخْلَاقٍ مُنْهَارَةٍ، فَمَا حَظُّنَا مِنَ الْمَدَنِيَّةِ إِلَّا السِّتْرَةُ وَالْبَنْطَلُونُ وَالسِّينَمَا وَالدَّنَسُ وَمُخْتَلِفُ أَنْوَاعِ الْمُجُونِ، وَذَلِكَ مُنْتَهَى الْخَسَارَةِ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَتَنْتَقِضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضاً الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ !

الخطبة الثانية عشرة

مِنْ أَوَامِرِ الدِّينِ وَكَيْفَ يَكُونُ الْمُسْلِمُ

اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي تَوَحَّدَ بِالْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ، وَتَفَرَّدَ بِالْعَظَمَةِ وَالْجَبَرُوتِ لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، وَلَا يَغِيبُ وَلَا يَفُوتُ . هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَمُوتُ «يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْض كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا نَسْتَعِينُ بِأَحَدٍ سِوَاهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَلَا رَبَّ غَيْرُهُ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُنِيبُ الْأَوَّاهُ نُورُ شَمْسِ الْعِرْفَانِ وَمَهْبِطُ أَسْرَارِ الْقُرْآنِ .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي شَرَحْتَ لَهَ صَدْرَهُ ، وَرَفَعْتَ لَهُ ذِكْرَهُ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْخِيَرَةِ ، وَصَحَابَتِهِ الْبَرَرَةِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ .

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، ثُمَّ قَدَّرَ وَرَزَقَ ، فَقَوْلُهُ الْفَصْلُ وَحُكْمُهُ الْحَقُّ ، وَإِلَيْهِ الذَّهَابُ وَالْمُنْطَلَقُ ، فَإِمَّا الثَّوَابُ وَإِمَّا الْعِقَابُ (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) .

فَغُضُّوا عِبَادَ اللهِ أَبْصَارَكُمْ عَنِ الْحَرَامِ . وَنَزِّهُوا أَسْمَاعَكُمْ عَنِ فَاحِشِ الْكَلَامِ ، وَطَهِّرُوا أَلْسِنَتَكُمْ عَنِ الْكَذِبِ وَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ ، وَالسِّبَابِ وَالشِّتَامِ ، وَصَفُّوا قُلُوبَكُمْ فَإِنَّهَا مَحَلُّ نَظَرِ اللهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، قَبْلَ أَنْ يُعْرَفَ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) .

لَيْسَ الْإِسْلَامُ بِمَقْصُورٍ عَلَى الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ ، وَلَكِنَّهُ ذَلِكَ وَالْكَفُّ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ ، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ

اللهِ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللهُ (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ).

كَيْفَ يَكْذِبُ الْمُسْلِمُ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكِتَابِهِ ، وَكَيْفَ يَخُوضُ الْمُؤْمِنُ فِي أَعْرَاضِ إِخْوَانِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَكَيْفَ يُلَوِّثُ لِسَانَهُ بِشَتْمِ الْمُسْلِمِ وَسِبَابِهِ ، وَكَيْفَ يُدَنِّسُ عِرْضَهُ بِمُجَالَسَةِ الْفُسَّاقِ وَأَهْلِ النِّفَاقِ وَأَرْبَابِهِ ، وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ .

وَالْإِسْلَامُ يَأْمُرُنَا بِالْخَيْرِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَالْقُرْآنُ يدْعُونَا إِلَى الْاعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللهِ وَيَنْهَانَا عَنِ الْافْتِرَاقِ، وَيُحَذِّرُنَا عَاقِبَةَ الْخِصَامِ وَالنِّزَاعِ وَالشِّقَاقِ . وَالسّنّةُ تَأْمُرُنَا بِالْاتِّفَاقِ، وَتَنْهَانَا عَنِ الْغِشِّ وَالْمَكْرِ وَالْخَدْعِ وَالْخِيَانَةِ وَالرِّبَا وَالرِّيَاءِ وَعَنِ النِّفَاقِ. فَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ بَحْرَانِ (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) .

فَتَدَبَّرُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ تَعَالِيمَ هٰذَا الدِّينِ ، وَتَمَسَّكُوا بِالْكِتَابِ الْمُبِينِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرسَلِينَ ، وَحَبِّبُوا الدِّينَ إِلَى الْبَنَاتِ وَالْبَنِينَ ، وَحَافِظُوا عَلَى الْمَجْدِ الْعَظِيمِ وَالتُّرَاثِ الثَّمِينِ ، وَلَا تُفْسِدُوا أَمْرَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِمُتَابَعَةِ الضَّالِّينَ وَتَقَلِيدِ الْمُضِلِّينَ (إِنَّ هٰذَا لَبَلَاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وَاسْتَمِعُوا قَوْلَ رَبِّكُمْ تَعَالَى (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) .

فَيَا عُلَمَاءَ الدِّينِ وَوُعَّاظِهِ، وَكُتَّابِهِ وَقُرَّاءِهِ وَحُفَّاظِهِ، كَيْفَ تُشَاهِدُونَ صَرْحَ الإِسْلَامِ يَتَهَدَّمُ وَتَرَوْنَ أَنْقَاضَهُ، وَكَيْفَ تَعْرِفُونَ الْمُجْتَمَعَ وَأَمْرَاضَهُ، فَلَا تَعْرِفُونَ وَلَا تُنْكِرُونَ وَلَا تَعِظُونَ وَلَا تُذَكِّرُونَ، وَأَنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ بِشَهَادَةِ الْقُرْآنِ (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ).

الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ (وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ حَسَنٌ صَحِيحٌ).

جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْفَائِزِينَ، وَوَفَّقَنَا جَمِيعاً إِلَى كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَجَنَّبَنَا مَوَارِدَ الظَّالِمِينَ. الْآيَةُ «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً».

الخطبة الثالثة عشرة

بَعْضُ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ الْيَوْمَ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمَرَ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَانَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَوَعَدَ الصَّالِحِينَ بِجَنَّتِهِ وَمُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ، وَتَوَعَّدَ الْعُصَاةَ بِدَارِ نِقْمَتِهِ وَزَوَالِ نِعْمَتِهِ.

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ،وَأَنْ يُخَلِّصَنَا بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ السَّيِّدُ الْمُطَاعَ ، لَهُ عَلَى خَلْقِهِ الْحُجَّةُ بِلَا نِزَاعٍ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ وَأَتْبَاعٍ ،مُنَوِّرُ الْأَبْصَارِ وَمُشَنِّفُ الْأَسْمَاعِ ،وَمَأْلُوفُ الطِّبَاعِ ، قَالَ لَهُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ «قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ » .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ، وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ وَصَحَابَتِهِ الْأَبْرَارِ وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِاحْسَانٍ فِي اقْتِفَاءِ الْآثَارِ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، كِتَابُ اللهِ يُنَادِيكُمْ لِلْإِيمَانِ ، وَرَسُولُ اللهِ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْإِحْسَانِ ، فَمَا لَكُمْ لَا تَسْمَعُونَ الرَّسُولَ وَلَا تُجِيبُونَ الْقُرْآنَ ، أَفِي آذَانِكُمْ وَقْرٌ أَمْ عَلَى قُلُوبِكُمْ الرَّانُ ، أَمِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ ، وَزَيَّنَ لَكُمُ الْفُسُوقَ والْعِصْيَانَ ، فَأَقْبَلْتُمْ عَلَى الْفَسَادِ وَأَعْرَضْتُمْ عَنْ تَعَالِيمِ الْأَدْيَانِ «رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ، أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ » .

كَانَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا سَمِعُوا الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ أَوِ الْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ ، قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَقْلَعُوا عَنِ الْخَطِيئَةِ ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا مِنَ الْمُخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ ، فَتَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ لِمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ،وَنُفُوسُهُمْ عَنِ الضَّلَالِ مُرْعَوِيَةٌ ، وَإِذَا نَظَرُوا فِي الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ ،

وَتَفَكَّرُوا فِي الْمَخْلُوقَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، عَرَفُوا قُدْرَةَ الصَّانِعِ الْحَكِيمِ وَقَالُوا بِأَلْسِنَةٍ طَاهِرَةٍ زَكِيَّةٍ «رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

وَأَنْتُمُ الْيَوْمَ عَنِ الْحَقِّ مُعْرِضُونَ ، وَفِي الْبَاطِلِ تَخُوضُونَ ، وَلِصَرْحِ الْإِسْلَامِ تَنْقُضُونَ وَفِي الْفَسَادِ تَرْكُضُونَ. وَإِذَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الْحَقِّ تَمْتَعِضُونَ وَبِالْمَلَاهِي تَصْحَوْنَ ، وَإِذَا سَمِعْتُمُ الْقُرْآنَ تَمْرَضُونَ . لَقَدْ أَتْعَبْتُمُ الْوَاعِظِينَ وَأَتْعَبَكُمُ الْوَاعِظُونَ « أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ » .

أَيْنَ الصَّالِحُ مِنَ الْفَاسِدِ ، وَالْفَاسِقُ مِنَ الْعَابِدِ ، وَالطَّامِعُ مِنَ الزَّاهِدِ . أَيْنَ الْمَلَاهِي وَدُورُ السِّينَمَا مِنَ الْمَسَاجِدِ . أَيْنَ بُيُوتُ الدَّعَارَةِ وَالْحَانَاتُ مِنَ الْمَعَابِدِ ،أَيْنَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي الرَّاقِدُ ،مِنَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْمُجَاهِدِ.هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مَا بَيْنَ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ ، وَشَتَّانَ بَيْنَ الْمُقْبِلِ عَلَى اللهِ وَالْمُعْرِضِ الشَّارِدِ الْمُعَانِدِ «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

شَبَابُنَا فِي الْحَانَاتِ وَالْمَوَاخِيرِ ، وَشُيُوخُنَا يَفْعَلُونَ الْمُوبِقَاتِ وَيَتْرُكُونَ الْوَاجِبَاتِ بِلَا نَكِيرٍ ، وَنِسَاؤُنَا خَارِجَاتٌ عَنِ الْآدَابِ مُسْتَخِفَّاتٌ بِالْحِجَابِ ، فَيَا لَهُ مِنْ مُنْكَرٍ عَظِيمٍ وَشَرٍّ مُسْتَطِيرٍ ، وَأَبْنَاؤُنَا وَبَنَاتُنَا مُعَرَّضُونَ لِلْفِتْنَةِ

وَالْفَسَادِ الْكَبِيرِ، وَقَدِ اسْتَوَى فِي الْحَالَةِ الْمَأْمُورُ وَالْأَمِيرُ، وَالْمَلِكُ وَالْوَزِيرُ وَالْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، فَلَا الصَّغِيرُ يَخَافُ مِنَ الْكَبِيرِ، وَلَا الْكَبِيرُ يَسْتَحِي مِنَ الصَّغِيرِ «فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ».

فَفُحْشٌ وَفُجُورٌ، وَقِمَارٌ وَلَهْوٌ وَخُمُورٌ، وَاسْتِهْتَارٌ وَسُفُورٌ، وَخِيَانَةٌ وَزُورٌ، وَجَهْلٌ وَغُرُورٌ، وَنِعَمٌ تُصْرَفُ فِي الْمَعَاصِي وَالشُّرُورِ، أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ «وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» فَلَا مِنَ اللهِ تَخَافُونَ، وَلَا مِنَ النَّاسِ تَسْتَخْفُونَ، وَلَا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تُنْصِفُونَ، تَاللهِ إِنَّكُمْ لَمُسْرِفُونَ، وَعَنِ الْحَقِّ تَعْزِفُونَ، وَعَلَى طُرُقِ الضَّلَالِ تَخْتَلِفُونَ، فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ «رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ

فَتُوبُوا إِلَى اللهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا أَيُّهَا الْعِبَادُ، وَلَا تُصِرُّوا عَلَى الضَّلَالِ وَالْعِنَادِ، وَاسْلُكْ بِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ سَبِيلَ الرَّشَادِ، وَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ «وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ» «وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» «لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ، لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ».

الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» .

جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ التَّوَّابِينَ الْمُتَطَهِّرِينَ الأَوَّابِينَ ، وَوَفَّقَنَا لِمُتَابَعَةِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ آمِينَ .الآيَةُ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً ،عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» .

الخطبة الرابعة عشرة

فِي فَسَادِ الزَّمَانِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الضَّلَالِ ، وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ الدَّائِمَةَ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ وَالْمَآلِ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَفِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَخُرُوجِ النِّسَاءِ عَنْ طَاعَةِ الرِّجَالِ .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَهُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نِعَمِهِ وَاللهُ

يَحْفَظُهَا عَلَيْنَا مِنَ الزَّوَالِ «إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ» .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ عَالِمُ السِّرِّ وَالْجَهْرِ ، وَبِيَدِهِ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُؤَيَّدُ بِالنَّصْرِ ، وَالْمُخْبَرُ بِمُغَيَّبَاتِ الدَّهْرِ ، الْقَائِلُ ﷺ «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ» وَالْقَائِلُ أَيْضاً مَا مَعْنَاهُ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولَ : يَا لَيْتَنِي صَاحِبُ الْقَبْرِ «وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ» .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ، وَصَاحِبِ الْحَوْضِ وَالشَّفَاعَةِ ، وَأَفْضَلِ مَنْ دَعَا إِلَى الْخَيْرِ أَتْبَاعَهُ ، فَلَهُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، صَلَاةً وَسَلَاماً دَائِمَيْنِ بِدَوَامِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي .

أَيُّهَا النَّاسُ ، بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا فَيُفَرِّقَ اللهُ قُلُوبَكُمْ ، وَتَمَسَّكُوا بِالْقُرْآنِ بَاطِناً وَظَاهِرًا ، وَأَطِيعُوهُ نَاهِياً وَآمِرًا ، وَلَا يَفْتِنْكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَنِ الْإِيمَانِ فَيَبِيعَ أَحَدُكُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ فَيُصْبِحَ خَاسِرًا ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ

هُزُوًا وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا حَتَّى صَارَ عَالِمُهُمْ فَاجِرًا، وَعَابِدُهُمْ مَاكِرًا، يَعْبُدُونَ الْهَوَى وَيَتَّبِعُونَ الْغَوَى، وَيَهْجُرُونَ السُّوَى، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً، فَحَرَّمَ مَا أَحَلَّهُ اللهُ، وَحَلَّلَ مَا حَرَّمَهُ اللهُ مُعَانِدًا وَمُكَابِرًا، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَى اللهِ صَائِرُونَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ مَسْئُولُونَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، وَكَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظاً وَزَاجِرًا «وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ».

يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ يُسْتَخَفُّ بِالْقُرْآنِ، وَيَتَهَاوَنُ النَّاسُ بِالْأَدْيَانِ، فَيُطِيعُونَ الشَّيْطَانَ، وَيَعْصُونَ رَبَّهُمُ الدَّيَّانَ، وَتَسْتَيْقِظُ الْفِتْنَةُ وَيَعُمُّ الْامْتِحَانُ، وَيَتَكَلَّمُ الْجَاهِلُ وَيَسْكُتُ الْعَالِمُ وَيَظْهَرُ الْبَاطِلُ لِلْعَيَانِ وَالنَّاسُ لَهُ أَعْوَانٌ، وَيَخْفُتُ صَوْتُ الْحَقِّ وَلَا يَنْطِقُ بِهِ لِسَانٌ، وَتُصْرَفُ عَنْهُ الْقُلُوبُ وَتُصَمُّ دُونَهُ الْآذَانُ، وَتَحُلُّ الْمَزَامِيرُ وَالْعِيدَانُ مَحَلَّ التِّلَاوَةِ وَالْأَذَانِ، وَتَتَحَكَّمُ النِّسْوَانُ فِي ذَوِي الْعَمَائِمِ وَالتِّيجَانِ، وَذَلِكَ يَوْمٌ يَتَشَبَّهُ الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ، وَتَتَشَبَّهُ النِّسَاءُ بِالرِّجَالِ.

كَيْفَ بِكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ إِذَا رَأَيْتَ شُحاً مُطَاعاً وَهَوىً مُتَّبَعاً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَوُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، وَاتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا فَأَفْتَوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَهْلُ بِأَهْلِهِ، وَكَيْفَ يَكُونُ التَّمَسُّكُ بِالدِّينِ وَأَحْكَامِهِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا الْمَالَ وَلَوْ جَاءَهُمْ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلًا،

وَيَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا . وَيَقُولُونَ لَوْ كَانَ فُلَانٌ كَرِيماً عَلَى اللهِ لَأَطْعَمَهُ مِنْ وَاسِعِ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبِيحُ الْقَوِيُّ مِنْهُمْ مَالَ الضَّعِيفِ وَعِرْضَهُ، وَرُبَّمَا حَكَمَ الْعَالِمُ بِجَوَازِ ضَرْبِهِ وَسِجْنِهِ وَقَتْلِهِ «وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» يُثِيبُهُمْ بِفَضْلِهِ، وَيُعَاقِبُهُمْ بِعَدْلِهِ، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، والْمَحْفُوظُ مَنْ حَفِظَهُ اللهُ مِنَ السُّوءِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ» .

يَا عَبْدَ اللهِ لَيْسَتِ الْفِتْنَةُ أَنْ تُصَابَ فِي نَفْسِكَ أَوْ مَالِكَ أَوْ أَهْلِكَ أَوِ الْبَنِينَ، وَإِنَّمَا الْفِتْنَةُ الَّتِي يُسْتَعَاذُ بِاللهِ مِنْهَا هِيَ الْمُصِيبَةُ فِي الدِّينِ، وَأَعْظَمُهَا أَنْ يَحِلَّ الشَّكُّ مَحَلَّ الْيَقِينِ وَأَنْ يَخْرُجَ الْأَمْرُ مِنْ يَدِ الصَّالِحِينَ، فَيُصْبِحُ الْمُنْكَرُ مَعْرُوفاً، وَالْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا، وَيَسْتَبِدُّ بِالْأَمْرِ أَهْلُ الظُّلْمِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالسَّلَاطِينِ، وَمَنْ أَعَانَ ظَالِماً بِبَاطِلٍ لِيَدْحَضَ بِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِيءَ مِنْ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ الْمُرْسَلِينَ . وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ «إِذَا عَظَّمَتْ أُمَّتِي الدُّنْيَا نُزِعَتْ مِنْهَا هَيْبَةُ الْإِسْلَامِ، وَإِذَا تَرَكَتِ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ حُرِمَتْ بَرَكَةَ الْوَحْيِ، وَإِذَا تَسَابَّتْ أُمَّتِي سَقَطَتْ مِنْ عَيْنِ اللهِ» . «قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ» .

وَإِذَا رَأَيْتَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ الْآنَ مِنْ فَسَادِ الْأَخْلَاقِ،

وَمُجَاهَرَةِ الْفُسَّاقِ ، بِأَوْصَافِ النِّفَاقِ ، رَأَيْتَ بَوْناً شَاسِعاً بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَعَالِيمِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، وَسِيرَةِ خَاتمِ النَّبِيِّينَ ، وَمَا أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَبَيْنَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ، وَيَدُعُّونَ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « إِذَا كَانَتْ أُمَرَاؤُكُمْ خِيَارَكُمْ وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ وَأَمْرُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ فَظَهْرُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا . وَإِذَا كَانَتْ أُمَرَاؤُكُمْ أَشْرَارَكُمْ وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلَاءَكُمْ وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ فَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا » أَوْ كَمَا قَالَ .

وَاللهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ ، وَلَا تَقُومَ السَّاعَةُ وَعَلَى الْأَرْضِ مَنْ يَقُولُ اللهَ اللهَ ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُرْفَعَ الْقُرْآنُ وَلَا يَحُجُّونَ بَيْتَ اللهِ ، وَحَتَّى يَظْهَرَ الْجِدَالُ ، وَيَكْثُرَ الْقِتَالُ ، فَتَقِلَّ الرِّجَالُ ، حَتَّى مَا يَكُونَ لِلْخَمْسِينَ امْرَأَةٍ إِلَّا الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ ، وَكَذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ : فَإِذَا ذَهَبَ الصِّدْقُ وَرُفِعَتِ الْأَمَانَةُ وَاسْتُخِفَّ بِالصَّلَاةِ وَظَهَرَ اللِّوَاطُ وَالزِّنَا وَتَشَبَّهَ الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ وَفَاضَ الْمَالُ عِنْدَ السُّفَهَاءِ فَانْتَظِرُوا أَمْرَ اللهِ «وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْرًا ، فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا » فَاتَّقُوا اللهَ «قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ » .

اسْمَعُوا يَا عِبَادَ اللهِ بَعْضَ مَا يَقُولُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي فَسَادِ الزَّمَانِ

وَتَقَلُّبَاتِ الْأَحْوَالِ، وَمِمَّا قَالَ «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُكَذَّبُ فِيهِ الصَّادِقُ وَيُصَدَّقُ فِيهِ الْكَاذِبُ وَيُخَوَّنُ فِيهِ الْأَمِينُ وَيُؤْتَمَنُ الْخَؤُونُ، وَيَشْهَدُ الْمَرْءُ وَلَمْ يُسْتَشْهَدْ وَيَحْلِفُ وَإِنْ لَمْ يُسْتَحْلَفْ، وَيَكُونُ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ بْنُ لُكَعٍ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ لَا يَعْبُدُ إِلَّا شَهْوَتَهُ، وَلَا يُقَدِّسُ إِلَّا الْمَالَ. وَقَالَ أَيْضاً: إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا ـ وَشَبَّكَ بَيْنَ أَنَامِلِهِ ـ فَالْزَمْ بَيْتَكَ وَأَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ أَمْرِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ».

فَقَابِلْ مَا سَمِعْتَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ مِنْ كَلَامِ نَبِيِّكَ ﷺ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْامْتِثَالِ. وَقِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللهِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ» فَقَالَ: ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْتَهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً وَهَوًى مُتَّبَعاً وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَوَامِّ. فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَهَنِيئاً لَكَ يَا مُجْتَنِبَ الْفِتْنَةِ وَسَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ.

وَفِي ذَاتِ لَيْلَةٍ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَزِعاً مُحْمَرّاً وَجْهُهُ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اللَّيْلَةَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِأُصْبُعَيْهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ

بِنتُ جَحْشٍ : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ .

فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَنَسْأَلُهُ الْهِدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ وَالْعِصْمَةَ مِنَ الضَّلَالِ .

فَاتَّقُوا اللهَ يَا عِبَادَ اللهِ وَقُولُوا «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » وَتُوبُوا إِلَى اللهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

وَكُفُّوا عَنِ الْحَرَامِ جَوَارِحَكُمْ وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ فَإِنَّهَا مَحَلُّ نَظَرِ اللهِ ، وَهُوَ لَا يَنْظُرُ تَعَالَى إِلَّا إِلَى الْقَلْبِ السَّلِيمِ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَتَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ وَلَا يَفْتِنَنَّكُمُ الْمَالُ وَالْهَوَى وَالشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ ، وَقُولُوا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وَأَنْتَ الشَّكُورُ الْحَلِيمُ .

«وَلِلهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ » .

الخطبة الخامسة عشرة

فِي ظُهورِ الفَسَادِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا يَدُومُ غَيْرُهُ وَلَا يُرْجَى إِلَّا خَيْرُهُ، وَلَا يُخْشَى إِلَّا ضَيْرُهُ، وَلَا يُعَوَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، يُبْدِيءُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَشْكُرُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَنَسْتَعِينُ بِهِ وَنَذْكُرُهُ وَهُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ وَالسِّتْرَ وَالْجَلَالَ، وَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ وَمَنْ تَوَلَّى فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، سُبْحَانَهُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُم يُسْأَلُونَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْأَمِينُ الْمَأْمُونُ، وَالْمُوحَى إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى «فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ» .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْقَائِلِ: اَلْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ، وَمَنْ لَا إِيمَانَ لَهُ لَا حَيَاءَ لَهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ الصِّيدِ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ .

عِبَادَ اللهِ: ظَهَرَ الْفَسَادُ في الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَانْتَهَكَ النَّاسُ حُرُمَاتِ الدِّينِ وَتَعَدَّوْا حُدُودَ اللهِ وَهَزَأُوا بِالْقَوَانِينِ، فَلَا مِنَ اللهِ يَخَافُونَ، وَلَا يُطَبَّقُ عَلَيْهِمُ الْقَانُونُ ،فَالْأَخْلَاقَ يُفْسِدُونَهَا وَالْفَضِيلَةَ يَقْتُلُونَهَا ، وَالْفَوَاحِش يَرْتَكِبُونَهَا وَهُمْ آمِنُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا اللهَ لَا يَتَّقُونَ «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُون » «أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ، وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ، كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدٌ » .

فَسَادُ أَخْلَاقِنَا وَذَهَابُ الْحَيَاءِ مِنْ رِجَالِنَا وَنِسَائِنَا جَعَلَنَا في هٰذِهِ الْحَالِ الَّتِي تُشَاهِدُونَهَا ، وَإِعْرَاضُنَا عَنِ الدِّينِ وَتَعَالِيمِهِ وَاسْتِخْفَافُنَا بِتَقَالِيدِنَا الْقَوْمِيَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُعَظِّمُونَهَا وَتُمَجِّدُونَهَا ، قَدْ أَوْقَعَنَا فِيمَا نَكْرَهُ وَأَدْخَلَنَا فِيمَا لَا نُحِبُّ وَكَفَى بِمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ أَمْرَاضٍ لَا تُدَاوُونَهَا ، وَأَنْتُمُ الَّذِينَ نَشَرْتُمُوهَا بَيْنَكُم وَتَغَافَلْتُمْ عَنْهَا حَتَّى فَتَكَتْ بِكُمْ فَكَيْفَ تُعَالِجُونَهَا ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ غَيْرَ الدِّينِ تُزِيلُونَهَا . فَهَلْ صِرْتُمُ الْآنَ لَا تَشْعُرُونَ وَأَصْبَحْتُمْ لَا تُفَكِّرُونَ ، وَتَرَوْنَ قَبِيحَ الْفِعَالِ مِنْ أَبْنَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ فَتُقِرُّونَهَا «قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ، قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ » .

إِذَا ظَهَرَ الْفَسَادُ وَانْتَشَرَ الْإِلْحَادُ وَتَجَاهَرَ النَّاسُ بِالذُّنُوبِ ، فَغَيْرُ عَزِيزٍ عَلَى اللهِ أَنْ يَخْسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حَاصِباً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ

يُهْلِكَهُمْ بِالْأَمْرَاضِ وَالْحُرُوبِ (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) حَتَّى يَسْتَوِي الْغَالِبُ وَالْمَغْلُوبُ. وَمَنْ أَنْتَ يَا مَنْ يُحَارِبُ اللهَ بِالْمَعَاصِي وَيُبَارِزُهُ بِالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ وَسَيِّئَاتِ الْعُيُوبِ. أَمُسْتَخِفٌّ بِعَلَّامِ الْغُيُوبِ، أَمْ مُتَسَاهِلٌ بِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ وَتَذُوبُ مِنْ هَوْلِهِ حَبَّاتُ الْقُلُوبِ، أَمْ أَنْتَ مِنَ الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِخُرُوجِ النَّاسِ مِنَ الْقُبُورِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِبَعْثٍ وَلَا نُشُورٍ، فَالْحَاضِرُ مِنَ الدُّنْيَا لَدَيْهِمْ مَحْبُوبٌ، وَفِيهِ مَرْغُوبٌ، وَمَا غَابَ عَنْهُمْ مِنَ الْآخِرَةِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ فَلَا مَرْغُوبَ فِيهِ وَلَا مَرْهُوبَ، وَمَا هُوَ لَهُمْ بِمَطْلُوبٍ، فَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ، يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ».

كُلَّمَا أَرَادَ الْمُصْلِحُونَ إِصْلَاحَ جَانِبٍ مِنْ هَذَا الْمُجْتَمَعِ الْفَاسِدِ تَصَدَّعَتْ فِيهِ جَوَانِبُ أُخْرَى، فَكَيْفَ يَصْنَعُ الْوَاعِظُ وَالْمُصْلِحُ، وَكَمْ يُسْعِفُ الْمُسَاعِدُ، وَالْمُصِيبَةُ الْكُبْرَى وَالدَّاهِيَةُ الْعُظْمَى كَثْرَةُ الْمُفْسِدِينَ وَقِلَّةُ الْمُصْلِحِينَ وَأَلْفُ بَانٍ يُعْجِزُهُمْ الْهَادِمُ الْوَاحِدُ، فَكَيْفَ بِأَلْفِ هَدَّامٍ بَعْدَ بَانٍ وَاحِدٍ، وَأَيَّ شَيْءٍ يَفْعَلُ الْخُطَبَاءُ وَمَا تُؤَثِّرُ الْمَنَابِرُ وَالْمَسَاجِدُ وَالْكَنَائِسُ وَمُخْتَلِفُ الْمَعَابِدِ، إِذَا سَقَطَتْ أَخْلَاقُ الْأُمَّةِ فِي الْبُيُوتِ وَالْأَسْوَاقِ وَاشْتَرَكَ فِي الْفَسَادِ الْقَائِمُ مِنْهُمْ وَالْقَاعِدُ، وَالصَّادِرُ وَالْوَارِدُ، وَقَدِيماً كَانَتْ هٰذِهِ الْبِلَادُ مَشْهُورَةً بِالْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ، وَكَانَ يَؤُمُّهَا الْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ الْفَضْلِ مِنَ الْأَقْطَارِ الْبَعِيدَةِ وَالْبِلَادِ النَّائِيَةِ لِلتِّجَارَةِ وَالسِّيَاحَةِ وَمُزَاوَرَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ

وَالْفَضْلِ مِنْ فَقِيهٍ وَصُوفِيٍّ وَمُحَدِّثٍ وَزَاهِدٍ، وَالْيَوْمَ قَدْ تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ وَاخْتَلَطَ الْحَرَامُ بِالْحَلَالِ، وَاسْتَهْتَرَ السُّفَهَاءُ وَالْأَنْذَالُ، وَطَغَوْا بِالْمَالِ، وَخَرَجَ الْوَلَدُ عَنْ طَاعَةِ الْوَالِدِ «وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ».

سُبْحَانَ اللهِ، كَيْفَ انْتَشَرَ الْخُبْثُ فِي أُمَّةٍ كِتَابُهَا الْقُرْآنُ وَدِينُهَا الْإِسْلَامُ، وَكَيْفَ وَقَعُوا عَلَى الْأَرْضِ وَعُفِّرَتْ وُجُوهُهُمْ بِالرَّغَامِ، وَسَقَطُوا مِنَ الذُّرْوَةِ وَالسَّنَامِ، وَكَيْفَ اسْوَدَّ تَارِيخُهُمْ وَكَانُوا غُرَّةً فِي جَبِينِ الْأَيَّامِ، يَحْمُونَ الذِّمَارَ وَيُكْرِمُونَ الْجَارَ، وَيَتَبَاعَدُونَ عَنِ الْعَارِ، وَيَحْمِلُونَ الْكَلَّ وَيَصِلُونَ الْأَرْحَامَ، وَيَفُكُّونَ الْعَانِيَ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ، وَمَا زَالُوا كَذَلِكَ وَلَهُمُ الْعِزَّةُ وَالْإِكْرَامُ فِي الْعَرَبِ وَالْأَعْجَامِ، تُرَفْرِفُ لَهُمْ عَلَى رُبُوعِ الْأَرْضِ تِلْكُمُ الْأَعْلَامُ، وَيَهَابُهُمُ الْفُرْسُ وَالْأَرْوَامُ، حَتَّى فَسَدَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَتَجَاهَرَ فُسَّاقُهُمْ وَاسْتَوَى فِي ذَلِكَ مَصْرُهُمْ وَعِرَاقُهُمْ وَالْهِنْدُ وَالسِّنْدُ وَالْيَمَنُ وَالشَّامُ، فَذَلُّوا بَعْدَ الْعِزَّةِ وَسَقَطُوا بَعْدَ الرِّفْعَةِ وَكَانُوا مُلُوكاً وَسَادَةً فَصَارُوا مِنَ الْخَوَلِ وَالْخُدَّامِ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ وَمُرْتَكِبِي الْآثَامِ. وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ «مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا .وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ».

وَاللهِ مَا ظَهَرَ فِي أُمَّةٍ اللِّوَاطُ وَالزِّنَا وَالْخَمْرُ وَالْقِمَارُ وَالرِّبَا وَتَطْفِيفُ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الْغَلَاءُ وَانْتَشَرَ فِيهِمُ الْبَلَاءُ وَالْأَمْرَاضُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً فِي أَسْلَافِهِمْ وَظُلْمُ السُّلْطَانِ، وَمَا بَدَّلَ قَوْمٌ دِينَهُمْ

بَعْدَ مَا عَقَلُوهُ ، وَخَالَفُوهُ بَعْدَ مَا عَرَفُوهُ وَأَلِفُوهُ ، إِلَّا مَاتَ خِيَارُهُمْ وَعَاشَ شِرَارُهُمْ وَقَلَّتْ أَمْطَارُهُمْ وَغَلَتْ أَسْعَارُهُمْ وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، وَكَذَلِكَ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ . وَمَا هٰذِهِ الْحُرُوبُ الطَّاحِنَةُ وَمَصَائِبُ الْحَالَةِ الرَّاهِنَةِ وَالْفِتَنُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ ، وَالْآفَاتُ الَّتِي فِي هٰذَا الدَّهْرِ ، إِلَّا نَتِيجَةَ الْأَخْلَاقِ الْفَاسِدَةِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ تَعَالِيمِ التَّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْفُرْقَانِ ، فَمَتَى كَانَ يَفْتَخِرُ الرَّجُلُ بِأَنَّهُ لُوطِيٌّ أَوْ زَانٍ ، وَمَتَى كَانَ يَقُولُ إِنَّهُ فَاعِلٌ أَوْ مَفْعُولٌ بِهِ أَوْ يَتَجَاهَرُ بِمُعَاشَرَةِ الْغِلْمَانِ وَتَقْبِيلِ الصِّبْيَانِ ، بِمَرْأَى وَمَسْمَعٍ مِنْ أَهْلِهِ وَالْإِخْوَانِ ، فَيَا لَلْعَارِ وَيَا لَلشَّنَارِ وَيَا لَحُلُولِ الْفَسَادِ مَحَلَّ الرَّشَادِ ، فِي أُمَّةٍ لَا يَتَعَاوَنُون عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَيَتَعَاوَنُون عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» وَقَالَ ﷺ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» وَقَالَ ﷺ «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ» وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «مَنْ زَنَى أَوْ شَرِبَ الْخَمْرَ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ الْإِيمَانَ كَمَا يَخْلَعُ الْإِنْسَانُ الْقَمِيصَ مِنْ رَأْسِهِ» وَقَالَ أَيْضاً «مَنْ زَنَى خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ» (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) .

الخطبة السادسة عشرة

إِيثَارُ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْقَائِمِ بِنَفْسِهِ ، الْوَاحِدِ الْعَظِيمِ فِي جَلَالِهِ وَقُدْسِهِ ، الْقَادِرِ الْعَلِيمِ بِأَحْوَالِ جِنِّهِ وَإِنْسِهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ دَارَ كَرَامَتِهِ وَأُنْسِهِ ،وَمَنْ أَعْرَضَ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَيُدْخِلُهُ دَارَ نِقْمَتِهِ وَحَبْسِهِ (فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَهُوَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ الْمُتَفَضِّلُ الْعَظِيمُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمٰوَاتِ الْعُلَا . الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى) .

اللّٰهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ مَهْبَطِ الْأَسْرَارِ ، وَمَشْرِقِ الْأَنْوَارِ ، وَالقَائِلِ ﷺ : الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ فَمَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهَا ، وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ لَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

إِلَّا النَّارُ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي الْآفَاقِ وَالْأَمْصَارِ ، صَلَاةً وَسَلَاماً دَائِمَينِ مُتَلَازِمَيْنِ بِدَوَامِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ (وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) .

عِبَادَ اللهِ ـ كَيْفَ آثَرْتُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى مَا عِنْدَ اللهِ ، وَكَيْفَ شَغَلَتْكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَهْلُوكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، وَمَهْمَا عِشْتَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ وَحَظِيتَ بِهِ فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ ، فَإِنَّكَ رَاحِلٌ وَمَا فِي يَدَيْكَ زَائِلٌ وَلَا يَبْقَى إِلَّا وَجْهُ اللهِ ، وَالدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالَاهُ ، وَمَنِ اشْتَرَى الْعَاجِلَ بِالْآجِلِ وَلَمْ يَتَّخِذْ دُنْيَاهُ مَطِيَّةً تُوصِلُهُ إِلَى الْمَقْصِدِ الَّذِي يَرْضَاهُ وَمُسْتَقَرِّهِ الْأَخِيرِ الَّذِي يَهْوَاهُ ، مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمُ اللهُ . فَذَلِكُمَ الَّذِي لَا تُفِيدُ فِيهِ الْمَوَاعِظُ وَلَا تَرُدُّهُ الْعِبَرُ عَنْ غَيِّهِ وَضَلَالِهِ فِي سِرِّهِ وَنَجْوَاهُ (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) .

حَلَالُ هٰذِهِ الدُّنْيَا حِسَابٌ ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ ، وَمَصِيرُهَا إِلَى الْخَرَابِ ، وَلَا يَرْكَنُ إِلَيْهَا إِلَّا مُرْتَابٌ ، قَدْ فَقَدَ الرُّشْدَ وَالصَّوَابَ ، فَكَمْ مِنْ ذَهَابٍ بِلَا إِيَابٍ ، وَكَمْ مِنْ حَبِيبٍ قَدْ فَارَقَ الْأَحْبَابَ ، وَتَرَكَ الْأَهْلَ وَالْأَصْحَابَ ، وَصَارَ إِلَى ثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْعَاقِلُ عَلَى جَمْعِهَا حَرِيصٌ ، مَعَ مَا تُشَاهِدُ فِيهَا مِنَ التَّنْغِيصِ ، فَهَوِّنْ عَلَى نَفْسِكَ أَيُّهَا الْخَبَّابُ ، وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) . وَفِي

الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى إِلَيْهِ ثَانِياً ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ لَابْتَغَى لَهُمَا ثَالِثاً ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) .

لَا بَأْسَ بِجَمْعِ الْمَالِ وَاكْتِسَابِ الْحَلَالِ وَالتَّمَتُّعِ بِالدَّارِ الْفَانِيَةِ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَٰلِكَ شَاغِلًا عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَالاسْتِعْدَادِ لِلدَّارِ الثَّانِيَةِ ، بَلْ طَلَبُ الْمَعِيشَةِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ ، وَأَعْظَمُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى عَبْدِهِ بَعْدَ الاسْلَامِ هُوَ الرِّزْقُ الْوَاسِعُ وَالْأَمْنُ وَالْعَافِيَةُ ، وَلَٰكِنَّ قَوْماً يَعْبُدُونَ الْمَالَ وَيُقَدِّسُونَ الْمَادَّةَ ، وَيَجِدُّونَ فِي طَلَبِ الدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ وَلَوْ رَأَوْهُ فِي الْهَاوِيَةِ ، لَتَهَافَتُوا عَلَيْهِ وَحَاوَلُوا الْوُصُولَ إِلَيْهِ وَلَوْ بِالْخُرُوجِ عَنِ الدِّينِ وَالآدَابِ السَّامِيَةِ ، فَلَا دِينَ وَلَا حَيَاءَ ، وَلَا شَرَفَ وَلَا مُرُوءَةَ ، وَلَا إِبَاءَ وَلَا طَمَعاً فِي الْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ ، وَلَا خَوْفاً مِنْ جَهَنَّمَ الْحَامِيَةِ ، فَوَيْلَهُمْ مِنَ اللهِ يَوْمَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ (يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، إِنَّ هٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) .

كَثِيرًا مَا نُشَاهِدُ مَنْ يَتَعَامَلُ بِالرِّبَا وَيَأْكُلُ الرُّشَا ، وَيُطَفِّفُ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ، وَيَخُونُ عُمَلَاءَهُ وَالإِخْوَانَ ، لا يَخَافُ مِنَ اللهِ وَلَا يَخْشَى ، وَيَشْهَدُ الزُّورَ ، وَيَرْتَكِبُ الْفُجُورَ ، وَلَوِ اسْتَطَاعَ لَأَخَذَ الْأَكْفَانَ مِنَ

الْقُبُورِ ، وَكُلُّ ذٰلِكَ فِي سَبِيلِكِ يَا دُنْيَا ، وَمِنْ أَجْلِكِ يَفْعَلُ الْإِنْسَانُ مَا يَشَاءُ ، فَقَدْ يَثِقُ الْمُسْلِمُ بِالْمُسْلِمِ وَيُعْجِبُهُ سَمْتُهُ وَحُضُورُهُ فِي الْمَسَاجِدِ لِصَلَاتَيِ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ ، فَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ وَيَعْتَمِدُ بَعْدَ اللهِ عَلَيْهِ ، وَيَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ يَجِدُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ حَيَّةً رَقْشَاءَ ، يَخُونُ الْأَمَانَةَ ، وَيَسْتَخِفُّ بِالْخِيَانَةِ ، وَتَتَلَاشَى عِنْدَهُ الْمُرُوءَةُ وَالدِّيَانَةُ ، وَيَحْمِلُهُ حُبُّ الْمَالِ عَلَى انْتِهَاكِ الْمَحَارِمِ وَارْتِكَابِهِ الْفَحْشَاءَ ، وَإِذَا خَوَّفْتَهُ بِاللهِ زَوَى عَنْكَ وَجْهَهُ وَاسْتَهْزَأَ بِكَ وَاسْتَحْسَنَ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَغْشَى (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ، لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى) .

فِي سَبِيلِ الْمَالِ عَالِمُنَا مُخْتَالٌ ، وَعَابِدُنَا دَجَّالٌ ، وَالشَّاعِرُ كَذَّابٌ فِيمَا قَالَ ، وَالْكَاتِبُ يَتَزَلَّفُ إِلَى الْأَغْنِيَاءِ وَالْأَنْذَالِ ، وَيَكْذِبُ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْخَيَالِ ، وَالْوَاعِظُ وَالْخَطِيبُ يَنْصُبُ الشِّبَاكَ وَالْحِبَالَ ، لِاصْطِيَادِ الرِّجَالِ وَنَهْبِ الْأَمْوَالِ ، وَيَقُولُ مَا لَيْسَ بِفَعَّالٍ ، وَالْمُحَامِي يُحِبُّ إِغْرَاءَ الْعَدَاوَةِ بَيْنَ مُوَاطِنِيهِ مِنْ نِسَاءٍ وَرِجَالٍ ، وَيَعِدُ مُوَكِّلَهُ بِالنَّجَاحِ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ شَيْئاً مِنْ قَصْدِهِ وَلَا يَنَالُ ، وَالطَّبِيبُ لَا يَنْصَحُ فِي الْبَيْتِ وَلَا الِاسْبِتَالِ ، إِلَّا إِذَا دَفَعَ الْمَرِيضُ إِلَيْهِ مَالَهُ وَبَعَثَ بِالْهَدِيَّةِ إِلَى بَيْتِهِ فِي الْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، فَمَا أَسْعَدَ الْغَنِيَّ فِي هٰذِهِ الْأَجْيَالِ ، وَمَا أَكْثَرَ أَتْعَابَ الْفَقِيرِ وَذِي الْعِيَالِ ، فِي زَمَانٍ لَا تُقَدَّسُ فِيهِ إِلَّا الْمَادَّةُ وَلَا يُعْبَدُ فِيهِ إِلَّا الْمَالُ (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ».

لَقَدْ ضَعُفَ الدِّينُ وَتَحَكَّمَ حُبُّ الْعَاجِلِ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللهِ وَأَحَادِيثُ النَّبِيِّينَ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَخُرَافَاتُ الْأَقْدَمِينَ . وَكَمَا أَنَّهُ لَا دِينَ وَلَا يَقِينَ ، كَذَٰلِكَ لَا رَحْمَةَ وَلَا إِنْسَانِيَّةَ وَلَا مُبَالَاةَ بِالْمَسَاكِينِ وَرُبَّ قَائِلٍ يَقُولُ : إِذَا مِتُّ عَطْشَاناً فَلَا نَزَلَ الْقَطْرُ عَلَى الْعَالَمِينَ وَإِذَا نِلْتُ قَصْدِي وَبَلَغْتُ حَاجَتِي فَمَا لِي وَلِلْآخَرِينَ مِنْ مُحِبِّينَ وَمُبْغِضِينَ ، وَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ لِلْمَالِ بِلِسَانِ الْحَالِ وَالْمَقَالِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فَلَهُ يَسْجُدُونَ وَإِيَّاهُ يَحْمَدُونَ وَعَلَيْهِ يَعْتَمِدُونَ وَمَعَهُ لَا يُبَالُونَ بِالْقَوَانِينِ ، وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِمَا فَاتَ ، وَلَا يُفَكِّرُونَ فِيمَا هُوَ آتٍ ، مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُبِينُ وَسُنَّةُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ (قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ » وَقَالَ ﷺ «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ » وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «صَلَاحُ أَوَّلِ هَٰذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ وَهَلَاكُ آخِرِهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ » وَقَالَ أَيْضاً «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ » (فَأَعْرِضْ

عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) .

الخطبة السابعة عشرة

فِي الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ

الْحَمْدُ للهِ الْقَائِمِ بِذَاتِهِ ، وَالدَّائِمِ بِصِفَاتِهِ ، وَالْمَعْرُوفِ بِعَظِيمِ آيَاتِهِ ، وَالْمَوْصُوفِ بِكَرِيمِ هِبَاتِهِ ، وَالْعَادِلِ الْحَكِيمِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ ، عَمَّ جُودُهُ أَهْلَ أَرْضِهِ وَسَمَاوَاتِهِ ، وَاعْتَرَفَ بِوُجُودِهِ كُلُّ نَاطِقٍ وَصَامِتٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ (يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ الْمَمَرِّ ، وَالآخِرَةَ دَارَ الْمَقَرِّ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا عِنْدَهُ تُسَاوِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا جَعَلَهَا فِي يَدَيْ مَنْ كَفَرَ ، سُبْحَانَهُ لَا يَضُرُّهُ مَنْ كَفَرَ ، وَلَا يَنْفَعُهُ مَنْ شَكَرَ ، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ . وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الرَّابِطُ عَلَى بَطْنِهِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ الْحَجَرَ ، سَيِّدِ الأَمْجَادِ ، وَأَفْضَلِ الْعِبَادِ ، وَأَصْدَقِ الزُّهَّادِ ، وَالْقَائِلِ ﷺ :

رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ، وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ » .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ بِالرَّغَائِبِ ، وَالْمُؤَيَّدِ بِالْعَجَائِبِ ، سَيِّدِ الْأَعَاجِمِ وَالْأَعَارِبِ ، وَالْقَائِلِ ﷺ : إِنَّمَا يَكْفِي أَحَدَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ وَصَحَابَتِهِ الْأَطَايِبِ ، مَا ذَرَّ شَارِقٌ وَأَفَلَ غَارِبٌ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي تَرْكِ الْحَرَامِ وَفِعْلِ الْوَاجِبِ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) .

عِبَادَ اللهِ ، حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَالتَّكَالُبُ عَلَيْهَا أَسَاسُ كُلِّ بَلِيَّةٍ ، وَالانْهِمَاكُ فِيهَا أَصْلُ كُلِّ رَزِيَّةٍ ، وَمَا سُمِّيَتْ هَذِهِ الدَّارُ بِالدُّنْيَا إِلَّا لِأَنَّهَا دَنِيَّةٌ ، وَمَا هِيَ إِلَّا طَرِيقٌ مُعْوَجَّةٌ أَوْ سَوِيَّةٌ ، مُوصِلَةٌ إِلَى الدَّرَكَاتِ السُّفْلِيَّةِ ،أَوِ الدَّرَجَاتِ الْعَلِيَّةِ . فَطُوبَى لِمَنِ اتَّخَذَهَا إِلَى الْخَيْرِ مَطِيَّةً ، سَرِيعَةً غَيْرَ بَطِيَّةٍ ، وَيَا نَدَامَةَ مَنِ اطْمَأَنَّ إِلَيْهَا وَحَسِبَهَا عِنْدَ اللهِ مَرْضِيَّةً ، وَإِنَّمَا هِيَ مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالَاهُ ، وَعَالِماً أَوْ مُتَعَلِّماً كَمَا ثَبَتَ عَنْ سَيِّدِ الْبَرِيَّةِ . فَيَا مُؤْمِناً بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَيَا صَاحِبَ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ ، تَأَهَّبْ لِلرَّحِيلِ ، وَاسْتَعِدَّ لِلسَّفَرِ الطَّوِيلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَخُلُوصِ النِّيَّةِ . وَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) .

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ : دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ . فَقَالَ لَهُ ﷺ «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ» وَقَالَ لَهُ آخَرُ : أَوْصِنِي يَا رَسُولَ اللهِ وَأَوْجِزْ . فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ «إِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ فَقْرٌ حَاضِرٌ ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ ، وَعَلَيْكَ بِالْيَأْسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَقَالَ ﷺ : مَنْ أَصْبَحَ آمِناً فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا» فَكَيْفَ بِأَهْلِ الْأُلُوفِ الْمُؤَلَّفَةِ وَلَذِيذِ الطَّعَامِ وَفَاخِرِ اللِّبَاسِ . فَثَوْبٌ حَرِيرٍ . وَفِرَاشٌ وَثِيرٌ . وَمَنْزِلٌ وَاسِعٌ كَبِيرٌ . وَطَعَامٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَثِيرٌ . وَمَرْكَبٌ خَطِيرٌ . وَطَبِيبٌ آسٍ . وَنَعِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مَسْئُولُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ . فَيَا سَعَادَةَ الْأَغْنِيَاءِ بِالْحَسَنَاتِ . وَيَا نَدَامَةَ أَهْلِ الْإِفْلَاسِ . وَتَبّاً لِهَذِهِ الدُّنْيَا حَلَالُهَا حِسَابٌ . وَحَرَامُهَا عِقَابٌ . الْإِنْسَانُ مُعَرَّضٌ فِيهَا لِلْأَمْرَاضِ وَالْأَعْرَاضِ . فَمَوْتٌ وَجُوعٌ وَعَطَشٌ وَعُرْيٌ وَنُعَاسٌ . وَعَيْشُهَا حَقِيرٌ . وَزَمَانُهَا قَصِيرٌ . وَحَدَثَانُهَا كَثِيرٌ . وَكُلُّ مَا لَكَ فِيهَا مَحْسُوبٌ عَلَيْكَ وَمَعْدُودٌ حَتَّى اللَّحَظَاتِ وَالْأَنْفَاسِ (وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً ، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ، وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ) .

يَا ابْنَ آدمَ ، إِلَى مَتَى تُعَمِّرُ الدُّنْيَا وَتَجْمَعُهَا وَأَنْتَ عَلَيْهَا حَرِيصٌ وَفِيهَا طَامِعٌ . وَعَمَّا قَرِيبٍ سَتُفَارِقُهَا وَتَتْرُكُهَا لِغَيْرِكَ وَمَا لَكَ مِنْهَا إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ قَدَّمْتَ فَأَبْقَيْتَ ،وَهُوَ الْمَحْفُوظُ وَمَا سِوَاهُ فَضَائِعٌ ،فَعَلَامَ تَجْرِي وَحَظُّكَ مِنْهَا قَلِيلٌ وَنَصِيبُكَ مِنْهَا ضَئِيلٌ ، وَعَلَامَ تَجْمَعُهَا مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ ، وَإِنَّمَا هِيَ وَدِيعَةٌ مِنَ الْوَدَائِعِ يَعِيشُ الْفَتَى سَبْعِينَ عَاماً مَثَلًا وَهُوَ فِي كَدٍّ وَنَكَد . وَجِهَادٍ وَسَعْيٍ مُتَوَاصِلٍ مُتَتَابِعٍ ، فَيَنْقَطِعُ أَمَلُهُ وَيَحْضُرُ أَجَلُهُ وَيَأْخُذُهُ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَهُوَ لَا يَزَالُ لَهَا جَامِعٌ وَفِيهَا طَامِعٌ وَمِنْهَا غَيْرُ قَانِعٍ . وَكَأَنَّمَا دَخَلَ دَارًا لِيَشْتَرِيهَا ، فَدَفَعَ الثَّمَنَ وَأَخَذَ السَّكَنَ ، وَقَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ انْهَدَمَتْ عَلَيْهِ . فَخَسِرَ الْمُشْتَرِي وَرَبِحَ الْبَائِعُ (إِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً) فَنَبِّئُونِي كَيْفَ يَكُونُ حَالُ الزَّارِعِ (وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ » .

أَيْنَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُودَ الَّذِي آتَاهُ رَبُّهُ مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْعَالَمِينَ ، وَأَيْنَ قَارُونُ الَّذِي أُوتِيَ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ، إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ . أَيْنَ الْمَلِكُ ذُو الْقَرْنَيْنِ وَقَدْ بَلَغَ مَشْرِقَ الشَّمْسِ وَمَغْرِبَهَا وَكَانَ مِنَ الْفَاتِحِينَ ، وَأَيْنَ عَادٌ وَثَمُودُ وَطَسِمٌ وَجَدِيسٌ وَجُرْهُمُ وَأُمَيْمٌ وَالْعَمَالِقَةُ وَقَوْمُ تُبَّعٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْقُرُونِ الْغَابِرِينَ ،

لَقَدْ ذَهَبُوا وَذَهَبَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا وَصَارُوا عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ ، وَذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ) .

رُوَيْدًا بِنَفْسِكَ يَا طَالِبَ الدُّنْيَا ، فَرِزْقُكَ مَقْسُومٌ وَأَجَلُكَ مَحْتُومٌ ، وَمَصِيرُ مَا أَنْتَ فِيهِ إِلَى الزَّوَالِ ، وَحَسْبُكَ مِنْهَا مَا يَكْفِيكَ وَيُغْنِيكَ عَنِ السُّؤَالِ ، وَالِالْتِمَاسِ لِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الْحَيَاةِ لِنَفْسِكَ وَالْعِيَالِ ، وَاسْمَعْ كَلَامَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، وَمِمَّا قَالَ «وَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَٰكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» وَحَقٌّ مَا تَقُولُ يَا شَرِيفَ الْخِصَالِ وَحَمِيدَ الْخِلَالِ ، فَعَالِمُنَا دَجَّالٌ ، وَتَاجِرُنَا مُحْتَالٌ ، وَفَاجِرُنَا مِفْضَالٌ ، وَالْمَأْمُونُ عَلَى الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ ذِئْبٌ مُفْتَرِسٌ مُغْتَالٌ ، وَفِي سَبِيلِكِ يَا دُنْيَا قَدْ أَصْبَحَ الْعُلَمَاءُ زَنَادِقَةً مُنَافِقِينَ ، وَأَصْبَحَ السَّادَةُ وَالْقَادَةُ هُمُ الْجُهَّالُ فَمَا أَكْثَرَ الْحَرَامَ الْيَوْمَ وَمَا أَقَلَّ الْحَلَالَ ، وَكُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ ، وَمَنْ كَانَ مَطْعَمُهُ حَرَاماً وَمَشْرَبُهُ حَرَاماً وَمَلْبَسُهُ حَرَاماً وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ فَكَيْفَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءَهُ ذُو الْجَلَالِ (أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) .

أَنَا لَا أَذُمُّ الْمَالَ إِلاَّ إِذَا أَطْغَى ، وَلَا أُحَذِّرُ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ إِذَا شَغَلَتْ بَنِيهَا عَنِ الْوَاجِبَاتِ ، وَلَا أُرِيدُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَنْقَطِعُوا فِي الْمَسَاجِدِ لِلْعِبَادَاتِ ، وَيَتْرُكُونَ أَهْلَهُمْ يَتَكَفَّفُونَ النَّاسِ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ مِنَ الْمَلَابِسِ وَالْأَقْوَاتِ . وَلَا أُرِيدُ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْأَحْيَاءُ أَنْ تَكُونُوا كَالْأَمْوَاتِ ، قَدْ أَعْرَضُوا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ ، وَالْمَصَائِبِ وَالْآفَاتِ ، وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ تَذَكَّرُوا مَا فَاتَ . وَاسْتَعِدُّوا لِمَا هُوَ آتٍ . وَلَا وَلَا تَنْسَوْا هَادِمَ اللَّذَّاتِ وَمُفَرِّقَ الْجَمَاعَاتِ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ يَا مُؤْمِناً بِالْآيَاتِ . وَمُصَدِّقاً بِتَعَالِيمِ الدِّيَانَاتِ ، وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ثُمَّ تَقُولُوا إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الزَّلَاتِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) . وَحُقُوقُ اللهِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْمُسَامَحَاتِ ، أَمَّا حُقُوقُ الْآدَمِيِّينَ فَمَبْنِيَّةٌ عَلَى الْمُشَاحَّاتِ ، وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ وَالظَّالِمَاتُ (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ طَعَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعاً حَتَّى قُبِضَ) وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَبِيتُ وَأَهْلُهُ اللَّيَالِي الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِينَ لَا يَجِدُونَ الْعَشَاءَ » وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً ،

قُلْتُ لَا يَا رَبِّ أَشْبَعَ يَوْماً وَأَجُوعُ يَوْماً . فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ » وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى إِلَيْهِ ثَانِياً وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ لَابْتَغَى لَهُمَا ثَالِثاً وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ » .

(وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ، وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ .وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) .

الخطبة الثامنة عشرة

فِي الْحَثِّ عَلَى الْعَمَلِ وَالِاكْتِسَابِ

الْحَمْدُ للهِ الآمِرِ بِالْعَمَلِ ، وَالنَّاهِي عَنِ الْكَسَلِ ، سُبْحَانَهُ عَزَّ وَجَلَّ . قَسَمَ الرِّزْقَ وَقَدَّرَ الْأَجَلَ ، وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى مَا حَصَلَ ، وَنَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ وَهُوَ الَّذِي يُجِيبُ مَنْ سَأَلَ وَحَاشَاهُ أَنْ يَخِيبَ فِيهِ الْأَمَلُ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ . وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْفَشَلِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَأَمَرَ بِالإِتْقَانِ وَنَهَى عَنِ الْخَلَلِ . وَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ الرَّجُلُ السَّبَهْلَلُ

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) .

وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالهُدَى ، وَالْمُنْقِذُ مِنَ الرَّدَى ، أَرْسَلَهُ مُعَلِّماً وَمُرْشِدًا ، وَنَاسِخاً وَمُجَدِّدًا ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى « أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى » .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْقَائِلِ : مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ السُّعَدَاءِ ، بُحُورِ النَّدَى ، وَنُجُومِ الاهْتِدَاءِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِيمَا خَفِيَ أَوْ بَدَا ، وَعَلَى جَمِيعِ الْمُخَاطَبِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) .

عِبَادَ اللهِ ، طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ ، وَالسَّعْيُ فِي الرِّزْقِ مِمَّا أَمَرَ بِهِ الْقُرْآنُ وَعَلَّمَهُ ، وَأَوْجَبَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَأَلْزَمَهُ ، وَطَلَبُ الرِّزْقِ شَيْءٌ قَضَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ وَحَكَمَ بِهِ الْعَقْلُ وَحَتَّمَهُ ، فَالْتَمِسِ الرِّزْقَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ مِنْ بَابِ حِلِّهِ ، وَإِيَّاكَ وَمَا نَهَاكَ اللهُ عَنْهُ وَحَرَّمَهُ ، فَمَتَاعُ هٰذِهِ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ، وَمَا أَشَدَّ مَغْرَمَهُ وَمَأْثَمَهُ ، فَطُوبَى لِمَنْ رَضِيَ بِمَا قَدَّرَ لَهُ رَبُّهُ وَقَسَمَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ قَدْ كَتَبَ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، جَهِلَ ذٰلِكَ مَنْ جَهِلَهُ ، وَعَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ ، وَمَهْمَا

تَكُنْ لَكَ مِنْ قُوَّةٍ فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَ مَا قَدَّرَهُ اللهُ وَنَظَّمَهُ (أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ) .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ ، جَمْعُكَ لِلْمَالِ مِنْ حِلِّهِ عِبَادَةٌ مَرْضِيَّةٌ عِنْدَ اللهِ ، إِذَا كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ إِعْفَافَ نَفْسِكَ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ وَسُؤَالِكَ غَيْرَ اللهِ ، وَمَنْ أَمْسَى كَالّاً مِنْ كَسْبِ يَدِهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ ، وَهٰكَذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَالْأَغْنِيَاءُ هُمْ وُكَلَاءُ اللهِ ، وَطُوبَى لِمَنْ أُجْرِيَتْ عَلَى يَدَيْهِ أَرْزَاقُ عِبَادِ اللهِ ، وَالْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ الْعَامِلُ مُمْتَثِلٌ قَوْلَ رَبِّهِ تَعَالَى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ) وَأَبْغَضُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسَلُ حَتَّى صَارَ كَلّاً عَلَى مَوْلَاهُ ، يَعُدُّهُ أَهْلُهُ ثَقِيلاً ، وَيَرَاهُ صَاحِبُهُ بَغِيضاً ، وَلَا يَلْقَاهُ أَحَدٌ إِلَّا وَكَرِهَ لُقْيَاهُ ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ وَاعْتَمَدَ عَلَى اللهِ ثُمَّ عَلَى نَفْسِهِ وَأَخَذَ بِالْأَسْبَابِ وَفَّقَهُ اللهُ وَأَعَانَهُ (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) .

جَاءَ الْإِسْلَامُ يَأْمُرُ بِالسَّعْيِ وَالْعَمَلِ وَيَحُثُّ عَلَى الِاكْتِسَابِ ، وَوَضَعَ لِبَنِيهِ قَوَانِينَ الْمُعَامَلَاتِ الَّتِي يَعِيشُونَ آمِنِينَ بِهَا عَلَى الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ ، وَأَخْبَرَنَا أَنَّ هٰذَا الْمَالَ لِلْوُصُولِ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَرْضَاةِ اللهِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ وَإِلَيْكُمُ الْأَدِلَّةُ الصَّحِيحَةُ عَلَى فَضِيلَةِ السَّعْيِ فِي صَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنَ السُّنَّةِ وَالْكِتَابِ ، فَهٰذَا

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ» وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، أُولٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) وَلٰكِنْ إِذَا أُمِرْتُمْ بِاكْتِسَابِ الْحَلَالِ وَالتَّمَتُّعِ بِالطَّيِّبَاتِ وَلُبْسِ فَاخِرِ الثِّيَابِ ، فَلَا يَشْغَلَنَّكُمْ ذٰلِكَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَلَا يَصْرِفَنَّكُمْ عَمَّا أَعَدَّهُ اللهُ لِلْمُتَّقِينَ فِي الآخِرَةِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يَقُولُ اللهُ فِيهِمْ (وَلٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ) .

اَلْمُؤْمِنُ الْمُحْتَرِفُ الْكَسُوبُ الَّذِي لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ ، مُكَرَّمٌ مَحْبُوبٌ مُحْتَرَمٌ بَيْنَ زَوْجَتِهِ وَأَبْنَائِهِ وَإِخْوَتِهِ وَوَالِدَيْهِ ، إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فَكُلُّهُمْ يَدْعُونَ لَهُ ، وَإِذَا رَجَعَ إِلَيْهِمْ فَأَبْصَارُهُمْ شَاخِصَةٌ إِلَيْهِ ، يُطِيعُونَ أَمْرَهُ ، وَيَقِفُونَ عِنْدَ إِرَادَتِهِ وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ عَلَيْهِ . وَصَاحِبُ الْمَالِ وَالصَّانِعُ الْمُتْقِنُ مَخْطُوبٌ وُدُّهُ مَرْغُوبٌ فِيمَا لَدَيْهِ ، وَإِذَا كَانَ مُصْلِحاً لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ صَادِقاً أَمِيناً فِيمَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ ، فَبِمِثْلِهِ يَعِزُّ الدِّينُ وَيُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى شَرَفِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَمَا يُعْرَفُ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِأَعْمَالِهِ ، وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِعَمَلِهِ وَأَصْغَرَيْهِ (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) .

كَانَ نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَحْتَرِفَانِ التِّجَارَةَ ، وَكَانَ مُوسَى أَجِيرًا عِنْدَ شُعَيْبٍ فَنِعْمَ الْمُتَعَاقِدَانِ وَنِعْمَةِ الْإِجَارَةُ . وَكَانَ دَاوُدُ حَدَّادًا

وَسُلَيْمَانُ خَوَّاصاً وَأَبْنَاءُ يَعْقُوبَ تُجَّارًا وَمَا أَحْسَنَ التِّجَارَةَ ، وَكَانَ إِدْرِيسُ خَيَّاطاً وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ وَسَلَّم عَلَيْهِمْ أَجْمعِينَ رَاعِياً وَجمَّالًا وَتَاجِرًا وَمَا أَبْعَدَهُ عَنِ الْكَسَلِ ، وَالْبَطَالَةِ وَالْخَلَلِ ، وَمَا أَجَلَّ قَدْرَهُ عَنِ الْخَسَارَةِ . وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ وَقَدْ رَعَى الْغَنَمَ ، قِيلَ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَى عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ ، وَذٰلِكَ طَلَبٌ لِلرِّزْقِ وَلِيَتَمَرَّنُوا بِذٰلِكَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ عَلَى سِيَاسَةِ الْخَلْقِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ أَسْرَارَهُ . وَكَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عُمَّالاً مُكْتَسِبِينَ لَا يَنْظُرُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَى مَا فِي يَدِ الآخَرِ ، حَتَّى فَقِيرُهُمْ كَانَ يَشْكُو إِلَى اللهِ وَحْدَهُ افْتِقَارَهُ ، فَكُلُّهُمْ مَا بَيْنَ غَنِيٍّ شَرِيفٍ وَفَقِيرٍ عَفِيفٍ لَا تَشْغَلُهُمُ الدُّنْيَا عَنِ الآخِرَةِ وَلَا يَمْنَعُهُمُ الدِّينُ عَنِ الاكْتِسَابِ . قَالَ تَعَالَى فِي جِنِّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ، إِعْمَلُوا آلَ دَاودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ .

دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَاسْتَأْذَنَهُ بِالْوَصِيَّةِ بِجَمِيعِ أَمْوَالِهِ فَمَنَعَهُ إِلاَّ مِنَ الثُّلُثِ وَقَالَ الثُّلُثُ كَثِيرٌ « إِنَّكَ إِنْ تَذَرَ أَهْلَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ » وَذُكِرَ لَهُ ﷺ رَجُلٌ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ وَقَد انْقَطَعَ لِلْعِبَادَةِ فَقَالَ : مَنْ يُنْفِقُ عَلَيْهِ ؟ قِيلَ أَخُوهُ ، قَالَ أَخُوهُ خَيْرٌ مِنْهُ .

وَقَالَ ﷺ « لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُحِبُّ الْمَالَ لِيَصِلَ بِهِ رَحِمَهُ وَيُؤَدِّيَ

بِهِ أَمَانَتَهُ وَيَسْتَغْنِي بِهِ عَنْ خَلْقِ رَبِّهِ» وَكَانَ يَقُولُ ﷺ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ» وَقَالَ بَعضُ الْحُكَمَاءِ «لَأَنْ يَجْمَعَ الْمَرْءُ مَالًا لِأَعْدَائِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْحَاجَةِ فِي حَيَاتِهِ لِأَصْدِقَائِهِ» وَقَالَ آخَرُ «مَنْ حَفِظَ دُنْيَاهُ فَقَدْ حَفِظَ الْأَكْرَمَيْنِ دِينَهُ وَعِرْضَهُ». وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ خَدَمُوهُ، وَمَنْ تَرَفَّعَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ أَكْرَمُوهُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ قَضَى لِأَخِيهِ حَاجَةً فِي الدُّنْيَا قَضَى اللهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعِينَ حَاجَةً، وَهٰذَا كُلُّهُ لَا يُسْتَطَاعُ فِعْلُهُ إِلَّا بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالْمَالِ الصَّالِحِ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا، وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ).

تَرْكُ الْعَمَلِ يَدْعُو إِلَى الْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ، وَلَا تَرَى الرَّجُلَ السَّبَهْلَلَ إِلَّا فِي غَايَةِ الضَّعْفِ وَالْبُؤْسِ وَالاسْتِكَانَةِ. مَهْمُوماً مَغْمُوماً، وَلَيْسَ لَهُ فِي النَّاسِ حَيْثِيَّةٌ وَلَا مَكَانَةٌ، قَدْ أَتْعَبَهُ سُؤَالُ النَّاسِ وَأَذَلَّتْهُ الاسْتِدَانَةُ. وَالْبَطَالَةُ لَا تُنْتِجُ إِلَّا بُغْضَ صَاحِبِهَا وَاسْتِثْقَالَ ظِلِّهِ، فَهُوَ لَا يَسْتَحِقُّ الْمُسَاعَدَةَ، وَلَا تَنْبَغِي لَهُ الْإِعَانَةُ، وَحَالَتُهُ تَدْعُوهُ إِلَى الزُّورِ وَالْكَذِبِ وَالسَّرِقَةِ وَالْخِيَانَةِ، وَلَيْسَ لَهُ عَهْدٌ وَلَا ذِمَّةٌ وَلَا عَزِيمَةٌ وَلَا هِمَّةٌ وَلَا أَمَانَةٌ، وَظِيفَتُهُ التَّسَكُّعُ فِي الْأَسْوَاقِ وَالشَّوَارِعِ وَأَذِيَّتُهُ

إِخْوَانَهُ . وَمَدْحُ الْمُلُوكِ وَمَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ ، وَمَا أَبْعَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدِّيَانَةِ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولٰئِكَ هُوَ يَبُورُ) .

إِذَا عَلِمْتَ يَا عَبْدَ اللهِ فَضِيلَةَ الْعَمَلِ فَلَا تَعْمَلْ إِلَّا فِي حَلَالٍ . وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ وَظُلْمَ الْمِيزَانِ وَالْمِكْيَالِ ، وَأَكْلَ الرُّشَا وَالتَّعَامُلَ بِالرِّبَا وَجَمْعَ الْمَالِ بِشَهَادَةِ الزُّورِ ، وَأَيْمَانِ الْفُجُورِ ، وَطُرُقِ الْحِيلَةِ وَالِاحْتِيَالِ ، وَلَا تَكْنِزِ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ لِلْوَرَثَةِ الْأَنْذَالِ ، وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَقَابِلْ أَوَامِرَ اللهِ بِالِامْتِثَالِ ، وَاعْمَلْ بِوَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ حَيْثُ قَالَ « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » .

الخطبة التاسعة عشرة

فِي الِاقْتِصَادِ وَذَمِّ الْبُخْلِ وَالْإِسْرَافِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَالَ عِمَادَ الْحَيَاةِ ، وَأَعَانَ بِهِ الْإِنْسَانَ عَلَى دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، وَحَذَّرَنَا مِنَ التَّبْذِيرِ وَالتَّقْصِيرِ وَصَرْفِ الْمَالِ فِي غَيْرِ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، وَنَهَى عَبْدَهُ عَنِ الطُّغْيَانِ إِنْ هُوَ أَغْنَاهُ ، فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى

مَا أَعْطَاهُ ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ ، وَنَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ وَأَنْ لَا يُحِيجَنَا إِلَى سِوَاهُ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَاقَةِ وَسُوءِ الْحَالِ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْأَمِينُ . وَالْمُرْشِدُ الْعَظِيمُ إِلَى مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، وَالْمُنْزَلُ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ الْمُبِينِ (وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) وَالْقَائِلُ ﷺ « إِنَّ اللهَ يَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ » .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ بِالْهُدَى وَالْحِكْمَةِ ، وَخَيْرُ رَسُولٍ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَئِمَّةِ الْمَوْصُوفِينَ بِصِدْقِ الْعَزِيمَةِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي الْعَقَائِدِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، نِعَمُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ ، وَفَضْلُهُ عَلَى عِبَادِهِ عَظِيمٌ لَا يُحَدُّ فَلَهُ تَعَالَى عَظِيمُ الشُّكْرِ وَغَايَةُ الْحَمْدِ ، وَمِنْ جَلَائِلِ نِعَمِهِ الْمَالُ وَالْوَلَدُ ، وَصِحَّةُ الْعَقْلِ وَالرُّوحِ وَالْجَسَدِ ، وَمَنْ رُزِقَ الْمَالَ وَعَرَفَ حَقَّ اللهِ فِيهِ وُفِّقَ لِلْخَيْرِ وَسَعَادَةِ الْأَبَدِ ، فَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَّا إِلَى اللهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ ، وَيُسَاهِمُ فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَلَا يَمْنَعُهُ مِنَ الشَّرِّ خَوْفُ إِنْسَانٍ وَلَا قِلَّةُ ذَاتِ الْيَدِ ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ صَالِحٍ يَتَمَتَّعُ بِالْمَالِ الْحَلَالِ .

مَنْ كَسِبَ الْمَالَ مِنْ حِلِّهِ صَرَفَهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ ، وَمَنِ اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ اسْتَعَانَ بِهِ عَلَى الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ ، وَتَمَادَى بِسَبَبِهِ فِي الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ . وَالْإِسْرَافُ وَالْبُخْلُ صِفَتَانِ مَذْمُومَتَانِ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ ، يُطِيعُ بِهِمَا نَفْسَهُ وَهَوَاهُ وَالشَّيْطَانَ ، فَمَنْعُ زَكَاةٍ وَقَطِيعَةُ أَرْحَامٍ . وَإِسَاءَةٌ إِلَى الْجِيرَانِ . وَحِرْصٌ وَطَمَعٌ وَفَخْفَخَةٌ وَأَنَانِيَّةٌ وَبَذْخٌ وَطُغْيَانٌ ، وَمُخَالَفَةٌ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ « كُلْ وَاشْرَبْ وَالْبَسْ وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ مَا سَرَفٍ وَلَا اخْتِيَالٍ » .

الْمُسْرِفُ يَذْهَبُ مَالُهُ وَيَسُوءُ حَالُهُ وَيَبْغُضُهُ أَقَارِبُهُ وَعِيَالُهُ ، وَهُوَ عَن كُلِّ ذَلِكَ غَافِلٌ وَيَصْحَبُهُ الْأَنْذَالُ . وَيَخْدَعُهُ الْمُحْتَالُ ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ وَيَمْدَحُهُ الشَّاعِرُ وَالشَّاحِذُ وَالدَّجَّالُ وَكُلُّ مُخَاتِلٍ ؛ وَالْمُسْرِفُ الْمُبَذِّرُ سَفِيهٌ مَحْجُورٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ غَيْرُ عَاقِلٍ ، وَدَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَا تُؤْتُو السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً) فَتَبَارَكَ الْآمِرُ بِمَصَالِحِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ ، فَكَمْ مِنْ ثَرْوَةٍ ذَهَبَتْ ، وَمَالٍ كَثِيرٍ تَبَدَّدَ ، وَبَيْتٍ عَامِرٍ تَقَفَّلَ ، نَتِيجَةَ الْإِسْرَافِ وَصَرْفِ الْمَالِ فِي غَيْرِ طَائِلٍ ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ بِلَا نِزَاعٍ وَلَا جِدَالٍ .

يَتَزَوَّجُ الرَّجُلُ لِيَصُونَ دِينَهُ وَيُعِفَّ نَفْسَهُ فَيَتَكَلَّفُ مِنَ النَّفَقَاتِ مَا لَا يُطِيقُ ، فَدَفْعٌ كَثِيرٌ ، وَمَهْرٌ كَبِيرٌ ، وَمَهْرَجَانٌ يُقَامُ فِي الْبَيْتَيْنِ وَالطَّرِيقِ ، وَثِيَابٌ وَصُبْحِيَّةٌ ؛ وَكَتْبٌ وَنَامُوسِيَّةٌ ، وَفُرُشٌ وَنَمَارِقُ

وَصَنَادِيقُ . وَتَكَالِيفُ أُخْرَى بَعْدَ ذَلِكَ تُؤَدِّي إِلَى الْفِرَاقِ وَالتَّطْلِيقِ .
وَيَمُوتُ لِلْإِنْسَانِ أَحَدُ أَقَارِبِهِ ، فَيَجْمَعُ عَلَى نَفْسِهِ الْحُزْنَ وَالتَّضْيِيقَ ،
وَيُقِيمُ الْمَآتِمَ الَّتِي يَحْضُرُهَا الْعَدُوُّ وَالصَّدِيقُ . وَيَكُونُ الْحَبَّاقُ وَالْمُطْوَايَةُ
وَيَطْبُخُ الطَّعَامَ لِلنَّائِحَاتِ ، فَيَا لِلَّهِ ، مِنْ أَرْزٍ وَلَحْمٍ . وَسَمْنٍ وَدَقِيقٍ .
فَلَا يَخْرُجُ الْمُسْرِفُ مِنْ فَرَحٍ وَلَا تَرَحٍ إِلَّا وَقَدْ فَقَدَ مَالَهُ وَأَتْعَبَ نَفْسَهُ
وَالْأَهْلَ وَالْعِيَالَ .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُنْفِقُ بِلَا حِسَابٍ وَلَا يَقِيسُ خَرْجَهُ بِدَخْلِهِ . وَلَا
يُبَالِي بِمُسْتَقْبَلِهِ ، وَلَا يَهُمُّهُ شَأْنُ وَرَثَتِهِ وَأَهْلِهِ ، فَهِمَّتُهُ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ
وَإِدْرَاكُ نَفْسِهِ مُنَاهَا ، مِنْ نِكَاحِهِ وَشَرَابِهِ وَأَكْلِهِ وَهَلْ تَعُدُّ مَنْ يَشْتَرِي
الْقَاتَ أَوِ الْخَمْرَ لِإِخْوَانِهِ وَيَجْمَعُهُمْ لِلَّهْوِ وَالطَّرَبِ وَضَيَاعِ الْوَقْتِ فِيمَا
حَرَّمَ اللهُ إِلَّا مُصَاباً فِي نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ ، وَمَا يَقَعُ فِي حَفَلَاتِ الزَّارِ وَالْمَخَادِرِ
وَإِقَامَةِ الْوَلَائِمِ بِغَيْرِ مُنَاسَبَاتٍ هُوَ أَعْظَمُ دَلِيلٍ عَلَى حَمَاقَةِ مَنْ يَفْعَلُ
ذَلِكَ وَجَهْلِهِ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ السُّفَهَاءُ فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَيُوَافِقُهُمْ عَلَى التَّبْذِيرِ
عُلَمَاءُ السُّوءِ ، وَمَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ مِنَ الْجُهَّالِ .

قَالَ الْحُكَمَاءُ : الاقْتِصَادُ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ وَمَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ ،
وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا وَالْفَضِيلَةُ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ ، وَمَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ
وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ لَا يَنْفَدُ ، وَالسَّعِيدُ مَنِ اعْتَبَرَ بِأَمْسِهِ وَأَصْلَحَ يَوْمَهُ وَاسْتَعَدَّ
لِلْغَدِ ، وَمَنْ تَعِبَ فِي تَحْصِيلِ شَيْءٍ لَمْ يُخْرِجْهُ إِلَّا فِيمَا يُشْكَرُ عَلَيْهِ
وَيُحْمَدُ . أَمَّا الَّذِينَ يَرِثُونَ أَمْوَالَهُمْ أَوْ تَأْتِيهِمُ الْأَرْزَاقُ بِلَا تَعَبٍ وَلَا

كَدٍّ فَفِي سَخَطِ اللهِ يُنْفِقُونَهَا غَالِياً ، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ لَهُمْ بِالْمِرْصَدِ . وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ عَنِ اللهِ بَعِيدٌ عَنِ الْجَنَّةِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ . وَعَكْسُهُ السَّخِيُّ الْجَوَادُ كَمَا جَاءَ ذٰلِكَ عَنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّد . فَكُونُوا عِبَادَ اللهِ كَمَا وَصَفَكُمُ اللهُ (وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) وَالْعَدَالَةُ شَرْطٌ فِيمَنْ يَشْهَدُ ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي وَصْفِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوَاماً) وَصَدَقَ اللهُ فِيمَا قَالَ .

هٰكَذَا الْقُرْآنُ يُخَاطِبُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا الصَّادِقَ الْأَمِينَ ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) وَحَاشَاهُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُبَذِّرًا أَوْ بَخِيلًا وَهُوَ الْمَبْعُوثُ بِتَعَالِيمِ هٰذِهِ الشَّرِيعَةِ وَآدَابِ هٰذَا الدِّينِ . وَاللهُ تَعَالَى يُخَاطِبُنَا جَمِيعاً بِقَوْلِهِ تَعَالَى (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

وَحَسْبُكَ أَيُّهَا الْبَخِيلُ أَنَّكَ مَحْرُومٌ مَظْلُومٌ لَا تَتَمَتَّعُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَسِبْتَهُ بِكَدِّ الْيَمِينِ وَعَرَقِ الْجَبِينِ (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ، الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (وَمَا خَلَقْتُ

الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ، إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) وَبِيَدِهِ التَّوْفِيقُ وَالْخِذْلَانُ ، وَالْهِدَايَةُ وَالضَّلَالُ ، وَهُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ .

الخطبة العشرون

فِي الصَّدَقَةِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ

اَلْحَمْدُ لِلهِ الْبَرِّ الْجَوَادِ الْكَرِيمِ ، الْقَابِضِ الْبَاسِطِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى فَضْلِهِ الْعَظِيمِ ، وَإِحْسَانِهِ الْعَمِيمِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَمَرَنَا بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَمُوَاسَاةِ الْفُقَرَاءِ ، وَكَفَالَةِ الْيَتِيمِ (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ) .

وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَفِي الدُّنْيَا لَمْ يَتَوَسَّعْ وَبِهَا لَمْ يَتَمَتَّعْ ، بَلْ كَرِهَ الْحِرْصَ عَلَيْهَا وَالتَّنَافُسَ فِيهَا ، وَذَمَّ ذٰلِكَ وَشَنَّعَ ، وَقَالَ مَا رُزِقْتَ فَلَا تُخَبِّئْ وَمَا سُئِلْتَ فَلَا تَمْنَعْ .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الشَّافِعِ الْمُشَفَّعِ ، صَاحِبِ

الْوَسِيلَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْمَقَامِ الْأَرْفَعِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالسَّالِكِينَ عَلَى مَنْهَجِهِ الْقَوِيمِ وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلْ سَمِعْتُمْ ثَنَاءَ رَبِّكُمُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، عَلَى الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ . وَهَلْ سَمِعْتُمْ كَلَامَ نَبِيِّكُمُ الْمَعْصُومِ ، فِي مَدْحِ الْكَرِيمِ الْمَأْجُورِ . وَذَمِّ الْبَخِيلِ الْمَأْثُومِ ، وَهَلْ فَهِمْتُمْ دُعَاءَهُ لِهٰذَا وَعَلَى هٰذَا فِي الْحَدِيثِ الْمَفْهُومِ « اللَّهُمَّ اعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً وَاعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً » (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) فَدَائِنُوا رَبَّكُمْ بِالصَّدَقَاتِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ، فَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ) .

فَيَا مُتَمَتِّعاً بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، وَفِرَاشِهِ وَأَثَاثِهِ وَثِيَابِهِ . وَزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَصْحَابِهِ . وَيَا مُسْتَغْرِقاً فِي عُلُومِهِ وَآدَابِهِ . وَجَمْعِ مَالِهِ وَاكْتِسَابِهِ ، هَلَّا سَمِعْتَ كَلَامَ اللهِ فِي كِتَابِهِ ، وَمَا أَعَدَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَحْبَابِهِ (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقاً لَهُمْ

دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) .

يَا مَالِئاً بَطْنَهُ بِاللَّحْمِ وَالشَّحْمِ وَمُخْتَلِفِ أَلْوَانِ الطَّعَامِ ، هَلَّا تَصَدَّقْتَ عَلَى الْبَائِسِ الْفَقِيرِ بِشَيْءٍ مِنَ الْكِسَرِ وَالْعِظَامِ ، وَيَا سَعِيدًا بِالصحَّةِ وَالْمَالِ وَالْجَاهِ بَيْنَ الْأَنَامِ ، مَا لَكَ لَا تَرْحَمُ الْمُصَابِينَ بِالْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ ، وَمَا لَكَ لَا تَتَعَهَّدُ جِيرَانَكَ وَأَهْلَكَ وَالْأَرْحَامَ ، وَمَا لَكَ لَا تَتَفَقَّدُ أَحْوَالَ الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ، وَلَا يَسْتَثْنُونَ ، فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ) .

هٰذِهِ الْمَدَارِسُ بِالْأَيْتَامِ وَأَوْلَادِ الْفُقَرَاءِ تَعِجُّ ، وَهٰذِهِ الْمُسْتَشْفَيَاتُ بِأَصْوَاتِ الْمَرْضَى تَضِجُّ ، وَهٰذِهِ الْبُيُوتُ بِالْعَجَائِزِ وَالشُّيُوخِ وَالْأَرَامِلِ تَرْتَجُّ ، وَأَنْفُسُ الْبَائِسِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ عِنْدَ اللهِ تَحْتَجُّ . فَسَيَحْكُمُ اللهُ عَلَى هٰؤُلَاءِ يَوْمَ تَنْقَطِعُ الْمَعَاذِيرُ وَيَتَعَذَّرُ الْمَخْرَجُ (فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ . وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) .

لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالْأَكْلَةُ وَالْأَكْلَتَانِ . وَلٰكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنياً يُغْنِيهِ وَلَا يَفْطَنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ . وَقَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْمُرُوءَةُ وَالْعِفَّةُ وَالْإِيمَانُ ، فَمَنَعَهُ ذٰلِكَ مِنْ سُؤَالِ فُلَانٍ أَوْ فُلَانٍ ، لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جُوعَانٌ ، وَلَا بِالَّذِي تَبْلَى ثِيَابُهُ فَلَا يَكْسُو بِهَا عُرْيَانَ ، فَيَا أَهْلَ الْإِيمَانِ وَأَصْحَابَ الْإِحْسَانِ

تَرَاحَمُوا يَرْحَمْكُمُ الرَّحْمٰنُ (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) .

يَا أَهْلَ الدُّثُورِ لَا تَفُوتَنَّكُمُ الْأُجُورُ . يَا صَاحِبَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَالْحَالِ الْمَسْتُورِ . أَنْفِقْ مَا فِي الْجَيْبِ تُرْزَقْ مَا فِي الْغَيْبِ وَتَصَدَّقْ بِالْمَيْسُورِ ، فَاللهُ يُخْلِفُ عَلَيْكَ مَا أَنْفَقْتَ وَيَقْبَلُ مِنْكَ مَا تَصَدَّقْتَ ، وَيُثِيبُكَ عَلَى ذٰلِكَ بِالْجَنَّةِ وَالْحُورِ ، وَالْأَنْهَارِ وَالْقُصُورِ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ، فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)

هَنِيئاً لِلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ . لَا يُرِيدُونَ بِذٰلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللهِ ، ثَوَابٌ عَظِيمٌ وَأَجْرٌ جَزِيلٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ ، وَذِكْرٌ جَمِيلٌ . وَمَدْحٌ طَوِيلٌ وَنَفْسٌ طَيِّبَةٌ وَقَلْبٌ مُنِيبٌ أَوَّاهٌ . وَعَمَلٌ مَبْرُورٌ ، وَسَعْيٌ مَشْكُورٌ . وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِبَادِ اللهِ (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ ، وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « إِنَّ اللهَ لَيُرَبِّي لِأَحَدِكُمُ التَّمْرَةَ وَاللُّقْمَةَ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ » وَقَالَ ﷺ « أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِناً عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِناً عَلَى ظَمَإٍ سَقَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ . وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَى مُؤْمِناً عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ » .

وَذَكَرَ ﷺ : سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، فَعَدَّ مِنْهُمْ رَجُلاً تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

الخطبة الحادية والعشرون

فِي بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَعِمَارَتِهَا

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَسَاجِدَ بُيُوتاً لِلْعِبَادَةِ ، وَرَغَّبَ فِي عِمَارَتِهَا وَالْعِنَايَةِ بِهَا عِبَادَهُ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْآخِذِينَ بِأَسْبَابِ السَّعَادَةِ .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْأَلُهُ إِمْدَادَهُ وَتَوْفِيقَهُ وَإِرْشَادَهُ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِ الذُّنُوبِ وَلَا رَادَّ لِمَا أَرَادَهُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَمِنْهُ الْخَيْرُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ ، فَضْلُهُ عَظِيمٌ وَجُودُهُ عَمِيمٌ وَلَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَجَارَنَا بِهِ مِنَ الْفِتْنَةِ ، وَخَلَّصَنَا بِهِ مِنَ الْمِحْنَةِ ، وَأَرْسَلَهُ إِلَيْنَا بِخَيْرِ شَرِيعَةٍ وَأَفْضَلِ سُنَّةٍ .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْقَائِلِ : مَنْ بَنَى لِلهِ مَسْجِدًا صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمَوْعُودِينَ مِنَ اللهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالْأَجْرِ الْكَبِيرِ .

عِبَادَ اللهِ ، عِمَارَةُ الْمَسَاجِدِ مِنْ شَعَائِرِ الدِّينِ ، وَالْعِنَايَةُ بِهَا مِنْ أَوْصَافِ الْمُتَدَيِّنِينَ ، الَّذِينَ يُسَارِعُونَ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . وَمَا يُنْفَقُ مِنْ مَالٍ فِي بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِمَامَةِ وَالتَّأْذِينِ . وَفِرَاشِهَا وَمَصَابِيحِهَا ، وَتَسْهِيلِ مَاءِ الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ فِيهَا وَتَنْظِيفِهِ لِلْمُتَطَهِّرِينَ ، لَا يَفْعَلُهُ إِلَّا الْأَغْنِيَاءُ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ . وَكَذٰلِكَ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ الَّذِينَ يَجُودُونَ بِالْيَسِيرِ وَهُوَ عِنْدَ اللهِ كَثِيرٌ ، وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ . وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ ، فَعَسَى أُولٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» فَطُوبَى لِمَنْ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً يَعْمُرُ بِهِ الْمَسَاجِدَ وَالْمَدَارِسَ وَالْمُسْتَشْفَيَاتِ ، وَيُطْعِمُ بِهِ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ وَالْبَائِسَ الْفَقِيرَ .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمَرْءَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْماً عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ ، أَوْ وَلَدًا صَالِحاً تَرَكَهُ ، أَوْ مُصْحَفاً وَرَّثَهُ ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ ، أَوْ بَيْتاً لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ ، أَوْ صَدَقَةً

أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ » وَقَالَ ﷺ «اِبْنُوا الْمَسَاجِدَ وَأَخْرِجُوا الْقِمَامَةَ مِنْهَا ، فَمَنْ بَنَى لِلّٰهِ مَسْجِدًا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ » فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ : وَهٰذِهِ الْمَسَاجِدُ الَّتِي تُبْنَى فِي الطَّرِيقِ ؟ قَالَ نَعَمْ وَإِخْرَاجُ الْقِمَامَةِ مِنْهَا مُهُورُ الْحُورِ الْعِينِ » وَقَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَأَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ » وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَوَاثِلَةَ ابْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ وَشِرَاءَكُمْ وَبَيْعَكُمْ وَخُصُومَاتِكُمْ وَرَفْعَ أَصْوَاتِكُمْ وَإِقَامَةَ حُدُودِكُمْ وَسَلَّ سُيُوفِكُمْ ، وَاتَّخِذُوا عَلَى أَبْوَابِهَا الْمَطَاهِرَ وَجَمِّرُوهَا فِي الْجُمَعِ » وَهٰكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ بُيُوتُ اللهِ فِي غَايَةِ النَّزَاهَةِ وَالنَّظَافَةِ وَالتَّطْهِيرِ .

كَانَتِ الْمَسَاجِدُ لِلصَّلَاةِ وَالاعْتِكَافِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللهِ وَمُجَالَسَةِ الْأَخْيَارِ . وَأَوَّلُ مَسْجِدٍ بُنِيَ فِي الْإِسْلَامِ مَسْجِدُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ الَّذِي شَيَّدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ وَأَيْدِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . وَمَا زَالَتْ عِنَايَةُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَسَاجِدِ مَعْرُوفَةً إِلَى الْيَوْمِ يُنْفِقُونَ عَلَيْهَا الْأُلُوفَ الْمُؤَلَّفَةَ ، وَمَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ عَدٍّ وَلَا مِقْدَارٍ ، فَلَقَدْ أَنْفَقَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْمَسْجِدِ الدِّمَشْقِيِّ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمَائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَجَامِعُ قُرْطَبَةَ الَّذِي بَنَاهُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ النَّاصِرِيُّ يُعَدُّ أَثَرًا مِنَ الآثَارِ ، وَفِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ مَا يَبْهَرُ

النُّظَّارَ ، وَيَسُرُّ الْمُسْلِمِينَ وَيَغِيظُ الْكُفَّارَ ، وَجَامِعُ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفُ بِمِصْرَ ، وَجَامِعُ الزَّيْتُونَةِ بِتُونُسَ لَا نَظِيرَ لَهُمَا فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ ، وَفِي الْهِنْدِ جَامِعٌ عَظِيمٌ يَمْلِكُ الْمَلَايِينَ ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِمَسْجِدِ الْجَزَّارِ . فَعِمَارَةٌ مُهِمَّةٌ ، وَأَوْقَافٌ جَمَّةٌ ، وَنَفَقَاتٌ تَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ الْهِمَّةِ ، وَلِلَّهِ فِي خَلْقِهِ أَسْرَارٌ « آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ » .

إِذَا رَزَقَ اللهُ عَبْدَهُ الصَّالِحَ مَالًا صَالِحاً وَسَلَّطَهُ عَلَى إِنْفَاقِهِ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ فَقَدْ وَفَّقَهُ لِلْخَيْرِ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ . وَلَا غِبْطَةَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يَقُولُ بِهِ هٰكَذَا وَهٰكَذَا ، وَيَخْدِمُ بِهِ الدِّينَ وَالْأَوْطَانَ ، وَيُوَاسِي بِهِ الْمُعْوِزِينَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْخِلَّانِ ، وَالْأَصْحَابِ وَالْجِيرَانِ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةَ الْقُرْآنِ ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، وَيُعَلِّمُهُ النَّاسَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً ، وَيُرْغِمُ بِهِ أَنْفَ الشَّيْطَانِ ، وَقَدْ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي . وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ . وَذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَهَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلاَّ الْإِحْسَانُ «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى » وَصَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ ، وَبَلَّغَ نَبِيُّهُ الْكَرِيمُ ، وَرَسُولُهُ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ ، قَالَ تَعَالَى «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ » «وَإِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ » «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ

الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ » وَحِينَ سَمِعَ أَبُو طَلْحَةَ الأَنْصَارِيُّ هٰذِهِ الآيَةَ قَالَ : إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بِئْرُ حَاءٍ وَقَدْ جَعَلْتُهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ ، فَقَالَ ﷺ «بَخٍ بَخٍ ذٰلِكَ مَالٌ رَابِحٌ» وَجَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ لِجَيْشِ الْعُسْرَةِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَحَمَلَ عَلَى مَائَةِ فَرَسٍ وَثَلَثَمَائَةِ بَعِيرٍ فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا صَنَعَ بَعْدَ الْيَوْمِ » وَهَنِيئاً لِأَهْلِ الْمَالِ سَعْيُهُمُ الْمَشْكُورُ وَعَمَلُهُمُ النَّاجِحُ . وَكَانَ الرَّجُلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَجُودُ بِمَالِهِ كُلِّهِ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى مَدَحَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى «وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى » فَبُورِكَ الْمَمْدُوحُ وَتَبَارَكَ الْمَادِحُ .

وأَنْتُمُ الْيَوْمَ تَمْلِكُونَ مِئَاتَ الأُلُوفِ وَتُدْعَوْنَ إِلَى الْخَيْرِ ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَجُودُ بِالْكَثِيرِ وَنَفْسُهُ مُطْمَئِنَّةٌ وَقَلْبُهُ مُتَأَثِّرٌ بِالدَّلِيلِ الْوَاضِحِ ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ بِالْقَلِيلِ وَيَكْرَهُ النَّصِيحَةَ وَالنَّاصِحَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ تَصَدَّقْ وَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ، حَرَّكَ رَأْسَهُ وَاضْطَرَبَتْ مِنْهُ الْجَوَارِحُ ، وَكَادَ قَلْبُهُ يَفِرُّ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ ، وَمَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَهُوَ الْجَوَادُ الوَهَّابُ الْمَانِحُ (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ، أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) .

يَا مُسْلِماً : لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ يَكُونَ خَرْجُكَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ كَثِيرًا ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ قَلِيلاً ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ اللهَ شَاكِرٌ حَلِيمٌ ، وَأَنَّ

الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، كَمَا جَاءَ ذٰلِكَ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ . قَالَ تَعَالَى «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» وَلَمْ تَكُنْ بِاللهِ حَاجَةٌ حِينَ طَلَبَ مِنْكَ الْقَرْضَ وَوَعَدَكَ عَلَيْهِ بِالْأَجْرِ الْجَزِيلِ وَالثَّوَابِ الْعَظِيمِ ، وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ «وَمَنْ يُقْرِضِ اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ . وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» وَمَا أَرْخَصَ الْجَنَّةَ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ إِذَا كَانَ ثَمَنَهَا الدَّرَاهِمُ وَالدَّنَانِيرُ .

إِذَا بَنَيْتَ يَا عَبْدَ اللهِ مَسْجِدًا تُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللهِ ، كَانَ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ تَعَبَّدَ فِيهِ بِالِاعْتِكَافِ وَالصَّلَاةِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِ اللهِ ، وَإِذَا كَانَ فِي الْبَلَدِ مَسْجِدٌ يَسَعُ النَّاسَ فَالْعِنَايَةُ بِهِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ إِنْشَاءِ مَسْجِدٍ آخَرَ لَا حَاجَةَ لَهُ ، وَلَا خَيْرَ فِي الْمُفَاخَرَةِ وَالْمُبَاهَاةِ . وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ يُحَذِّرُ مِنْ بِنَاءِ مَسْجِدَيْنِ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ يُضَارُّ أَحَدُهُمَا الآخَرَ ، وَتِلْكَ صِفَةُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ ذَمَّهُمُ اللهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ» وَرَبُّكُمْ يَعْلَمُ مِنْ عَبْدِهِ مَا أَبْدَاهُ وَمَا أَخْفَاهُ مِمَّا عَمِلَهُ أَوْ نَوَاهُ «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» .

عِمَارَةُ الْمَسَاجِدِ لَيْسَتْ بِزَخْرَفَتِهَا وَتَزْيِينِهَا بِمُخْتَلِفِ الْأَلْوَانِ ، بَلْ عَابَتِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ذٰلِكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ ، لَوْلَا أَنَّهُ قَالَ : بُيُوتُ اللهِ أَحَقُّ بِذٰلِكَ مِنْ مَعَابِدِ الْأَوْثَانِ ، وَإِنَّمَا تُعْمَرُ الْمَسَاجِدُ بِعِبَادَةِ الْمَلِكِ الدَّيَّانِ ، وَبِمَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ التَّعْلِيمِ وَالْبَيَانِ لِعُلُومِ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ . وَمَا أَحْسَنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ فِي بُيُوتِ اللهِ قَدْ وَقَفُوا صُفُوفاً كَالْبُنْيَانِ ، يَبْتَغُونَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ الْفَضْلَ وَالرِّضْوَانَ . فَاعْمُرُوا مَسَاجِدَكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَلَا تُعَرِّضُوهَا لِلْهَوَانِ ، وَلَا تُشْمِتُوا بِدِينِكُمُ الْحَنِيفِ أَهْلَ سَائِرِ الْأَدْيَانِ . وَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ .

الخطبة الثانية والعشرون

فِي الرَّاعِي وَالرَّعِيَّةِ

أُلْقِيَتْ هٰذِهِ الْخُطْبَةُ فِي مَسْجِدِ الْعَسْقَلَانِي يَوْمَ ١٨ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ١٣٦٥ وَذٰلِكَ بَيْنَ يَدَيْ وَلِيِّ عَهْدِ الْيَمَنِ الْمُعَظَّم – إِمَامِهَا الْيَوْمَ – مَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْمَدَ بْنَ حَمِيدِ الدِّينِ حَفِظَهُ اللهُ .

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ الْإِنْسَانَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ لِيَعْمُرَهَا ، وَمَلَّكَهُ جَوَّهَا وَبَرَّهَا وَأَبْحُرَهَا ، وَزَيَّنَهُ بِالْعَقْلِ وَأَكْرَمَهُ بِالْعِلْمِ لِيَعْرِفَ نِعْمَةَ اللهِ فَيَشْكُرَهَا ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، فَسُبْحَانَ

الَّذِي خَلَقَهَا وَسَخَّرَهَا (وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا) نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ وَنَعُوذُ بِهِ أَنْ نَكْفُرَهَا . وَنَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَمَنْ عَدَّ نِعَمَ اللهِ فَلَنْ يَحْصُرَهَا «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ »

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، وَهَدَاهُ بِالدِّينِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَعَلَّمَنَا بِالْقُرْآنِ أَشْرَفَ التَّعَالِيمِ ، وَجَعَلَ الْإِسْلَامَ دِيناً جَامِعاً بَيْنَ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ الْمُوحَى إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى «وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْقَائِلِ مِنْ حَدِيثٍ عَظِيمٍ «السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي الْأَرْضِ يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ مِنْ عِبَادِهِ : فَإِنْ عَدَلَ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَكَانَ عَلَى الرَّعِيَّةِ الشُّكْرُ ، وَإِنْ جَارَ أَوْ حَافَ أَوْ ظَلَمَ كَانَ عَلَيْهِ الوِزْرُ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الصَّبْرُ » وَلِلصَّابِرِينَ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَرِيمٌ .

صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ أَفْضَلَ صَلَاةٍ وَتَسْلِيمٍ (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ

الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) .

عِبَادَ اللهِ ، لَمَّا مُلِئَتْ هٰذِهِ الأَرْضُ كُفْرًا وَإِلْحَادًا ، وَجُورًا وَظُلْماً وَاسْتِبْدَادًا ، وَقَتْلًا وَنَهْباً ، وَاسْتِرْقَاقاً وَاسْتِعْبَادًا ، وَطَغَى الْأَقْوِيَاءُ عَلَى الضُّعَفَاءِ ، وَأَصْبَحَ الْمَسَاكِينُ طُعْمَةً لِلشُّرَفَاءِ ، وَعَاثَ الْمُجْرِمُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ، بَعَثَ اللهُ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ فَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالْحَقِّ وَنَادَى ، وَمَلَأَ الْأَرْضَ هِدَايَةً وَإِرْشَادًا ، وَجَاءَ بِدِينِ الْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ بَيْنَ النَّاسِ جَمَاعَاتٍ وَأَفْرَادًا ، وَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِالآبَاءِ ، لَا فَضْلَ لِأَبْيَضَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلاَّ بِتَقْوَى اللهِ ، فَعَزَّ بِدَايَةً وَقَصْدًا ، وَشَرُفَ غَايَةً وَمُرَادًا «وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً : وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » .

لَقَدْ عَرَفَ النَّاسُ هٰذَا الدِّينَ وَتَعَالِيمَهُ الشَّامِلَةَ ، وَكَيْفَ يَدْعُو إِلَى الْآدَابِ السَّامِيَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ جَامِعٌ لِمَصَالِحِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ ، فَدَخَلُوا فِيهِ أَفْوَاجاً وَالْتَزَمُوا شَرِيعَتَهُ الْعَادِلَةَ ، فَقَوَانِينُهُ جَارِيَةٌ عَلَى الْمُلُوكِ وَالْمَمَالِيكِ ، وَالْعُظَمَاءِ وَالصَّعَالِيكِ فَلَا مُحَابَاةَ وَلَا وَلَا مُفَاضَلَةَ ، فَالصَّغِيرُ يَحْتَرِمُ الْكَبِيرَ ، وَالْكَبِيرُ يَرْحَمُ الصَّغِيرَ ، وَالْمَأْمُورُ يَطْلُبُ حَقَّهُ مِنَ الْأَمِيرِ ، فَأَكْرِمْ بِهَا مِنْ مُسَاوَاةٍ ، وَأَعْظِمْ بِهَا مِنْ مُمَاثَلَةٍ ، وَفِي نِصْفِ قَرْنٍ صَارَ الْمُسْلِمُونَ يَحْكُمُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ

وَمَغَارِبَهَا بِهٰذَا الْقَانُونِ ، حَتَّى إِذَا ظَهَرَ الْخِصَامُ وَالْمُجَادَلَةُ ذَهَبَتْ رِيحُهُمْ ، وَضَاقَ فَسِيحُهُمْ ، وَكَانُوا أُمَّةً مُتَمَاسِكَةً فَصَارُوا أُمَّةً مُتَخَاذِلَةً «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» .

جَاءَ الدِّينُ بِخَيْرٍ كَثِيرٍ ، وَخَيْرُ مَا جَاءَ بِهِ التَّوْحِيدُ وَالاتِّحَادُ ، فَالْمَعْبُودُ وَاحِدٌ وَالْعِبَادَةُ وَاحِدَةٌ وَالْقَانُونُ وَاحِدٌ وَالْقِبْلَةُ وَاحِدَةٌ لِسَائِرِ الْعِبَادِ ، وَيَدُ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ ، وَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةِ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ، وَالْمُؤْمِنُونَ كَالْبَنَانِ أَوْ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً ، فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَاتَّبِعُوا سَبِيلَ الرَّشَادِ ، وَلَا تَفَرَّقُوا فَتَفَرَّقَ بِكُمُ السُّبُلُ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَشْمَتَ بِكُمُ الْأَعْدَاءُ وَالْأَضْدَادُ ، وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فِي كُلِّ بِلَادٍ ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَبِيَوْمِ الْمَعَادِ ، فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمِرْصَادِ «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» .

وَعَظَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ ، فَأَوْصِنَا أَيُّهَا الْأَمِينُ الْمَأْمُونُ ، فَقَالَ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً ، وَمَا

قَوْلُهُ ﷺ بِحَدِيثِ الْأَوْهَامِ وَالظُّنُونِ . وَقَالَ أَيْضاً : عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَنَعُوذُ بِاللهِ. مِنَ الضَّلَالَاتِ وَاضْطِرَابِ الشُّئُونِ وَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، وَكَمَا تَكُونُوا يُوَلَّى عَلَيْكُمْ وَأَعْمَالُكُمْ عُمَّالُكُمْ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ «وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»

لَقَدْ فَرَضَ اللهُ لِلرُّعَاةِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ عَلَى الرَّعِيَّةِ أَجْمَعِينَ ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمُ الْعَدْلَ وَالْحُكْمَ بِالْحَقِّ وَأَنْ يَنْظُرُوا إِلَى النَّاسِ نَظَرَ الْآبَاءِ إِلَى الْبَنِينَ ، وَأَنْ يَأْخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَلَا يَتَعَدَّوْا حُدُودَ اللهِ ، مُحِلِّينَ وَمُحَرِّمِينَ ، وَآمِرِينَ وَنَاهِينَ ، وَمُطَبِّقِينَ لِمَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْقَوَانِينِ ، قَائِمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَالْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ، لَا يَرْجُونَ إِلَّا اللهَ ، وَلَا يَخْشَوْنَ إِلَّا اللهَ ، وَلَا تَأْخُذُهُمْ فِي الْحَقِّ لَوْمَةُ اللَّائِمِينَ ، فَإِنْ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ، وَلَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَدُكَّ الْبَاغِي مِنْهُمَا وَعَلَى الْبَاغِي تَدُورُ الدَّوَائِرُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ، فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) .

إِذَا عَرَفَ النَّاسُ حَقَّ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَأَخَذُوا بِالْحَلَالِ وَتَرَكُوا

الْحَرَامَ ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَمْ يَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمُخَالَفَةِ الْأَحْكَامِ ، سَادَ الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ وَحَصَلَتِ الرَّاحَةُ وَالاطْمِئْنَانُ ، وَغَبَطَ الْكُفَّارُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، وَإِذَا أُطْعِمَ الطَّعَامُ وَأُفْشِيَ السَّلَامُ وَأُطِيعَ الْإِمَامُ وَعَمَّ النِّظَامُ وَتُبُودِلَ التَّقْدِيرُ وَالاحْتِرَامُ ، عَادَ لَنَا مَجْدُنَا وَرَجَعَ عِزُّنَا وَعَظُمَ أَمْرُنَا وَذَاعَ ذِكْرُنَا ، فَلَا نَذِلُّ وَلَا نُضَامُ ، وَإِذَا تَحَكَّمَ فِينَا الْهَوَى وَتَفَرَّقَتْ بِنَا الْأَهْوَاءُ تَفَرَّقْنَا أَيْدِي سَبَأٍ ، وَكَانَ بَعْضُنَا عَوْناً عَلَى بَعْضٍ كَمَا نَرَاهُ فِي هٰذِهِ الْأَيَّامِ ، وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّا لَا نَسْتَعِينُ عَلَى أَمْرِنَا هٰذَا بِمُشْرِكٍ ، وَعَبْدُ اللهِ لَا يَسْتَعِينُ بِعَابِدِ الْأَصْنَامِ (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) .

هَلْ مِنْ سَامِعٍ مُطِيعٍ فَيَعْمَلَ بِالْقُرْآنِ ، وَهَلْ مِنْ مُجِدٍّ فِي عِبَادَةِ اللهِ وَخِدْمَةِ الْأَوْطَانِ ، وَهَلْ مِنْ أُنَاسٍ يَتَنَاجَوْنَ بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا يَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، فَنُوَحِّدَ أَمْرَنَا وَنَجْمَعَ شَمْلَنَا وَنَمِيرَ أَهْلَنَا وَنَحْفَظَ بِلَادَنَا مِنَ الاعْتِدَاءِ وَالطُّغْيَانِ ، فَصِحَّةٌ وَعِلْمٌ وَزِرَاعَةٌ ، وَتِجَارَةٌ حُرَّةٌ وَصِنَاعَةٌ نَافِعَةٌ ، وَاسْتِخْرَاجٌ لِمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَعَادِنِهَا بِلَا كَسَلٍ وَلَا وَلَا تَوَانٍ وَمَنْ كَانَ مَعَ اللهِ كَانَ اللهُ مَعَهُ بِالنُّصْرَةِ وَالْعَوْنِ فِي كُلِّ زَمَانٍ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الْإِمَامُ

رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ . وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُرْضِيهِ ، وَجَنَّبَنَا الْوُقُوعَ فِي مَعَاصِيهِ ، وَأَجَارَنَا مِنْ مُخَالَفَةِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ « إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

الخطبة الثالثة والعشرون

فِي التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي فَرَضَ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ حُسْنَ تَرْبِيَةِ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ ، وَجَعَلَ الْأَوْلَادَ وَالْأَحْفَادَ وَالزَّوْجَاتِ وَالْأُخْوَةَ الصِّغَارَ وَالْأَخَوَاتِ أَمَانَةً فِي يَدِ الْقَائِمِينَ عَلَيْهِمْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمَانَاتِ ، يُسْأَلُونَ عَنْهُمْ يَوْمَ الدِّينِ كَمَا يُسْأَلُونَ عَنْ سَائِرِ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ وَإِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ بَعْدَ الْمَمَاتِ . وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْتَغْفِرُهُ لِذُنُوبِنَا إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَأَنْ يَمْدُدْنَا بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَأَنْ يَجْعَلَ لَنَا جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَنَا أَنْهَارًا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ فَمَالَكُمْ لَا تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ جَهْرًا وَإِسْرَارًا ، وَالْمُنَزَّلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) وَالْقَائِلُ ﷺ « الْوَلَدُ مِنْ كَسْبِ الْوَالِدِ » وَبَعْضُ النَّاسِ لَا يَزِيدُهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ، اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ السَّادَاتِ ، وَالْمُنْقِذِ مِنَ الضَّلَالَاتِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْقَادَاتِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي الْعَادَاتِ وَالْعِبَادَاتِ .

عِبَادَ اللهِ ، مَنْ رُزِقَ الْمَالَ وَالْوَلَدَ فَقَدْ رُزِقَ خَيْرًا عَظِيماً ، وَمَنْ شَكَرَ اللهَ عَلَى نِعْمَتِهِ زَادَهُ مِنْهَا وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيماً ، وَمَنْ صَرَفَ نِعْمَةَ اللهِ فِي مَعْصِيَتِهِ سَلَبَهَا عَنْهُ وَأَذَاقَهُ عَذَاباً أَلِيماً ، وَمَا كَانَ اللهُ لِيُغَيِّرَ نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً ، وَمَنْ أَدَّبَ أَوْلَادَهُ وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُمْ كَانَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِ اللهِ مُسْتَوْجِباً لِلْمَزِيدِ مِنْهَا ، وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً . وَأَيُّ فَضْلٍ عَلَى الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُبَارِكَ اللهُ لَهُ فِي أَوْلَادِهِ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ .

عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ حَقٌّ وَاجِبٌ للهِ لَا تُؤَدِّيهِ إِلَّا إِذَا تَمَسَّكْتَ بِالدِّينِ ،

وَمِنْ حَقِّهِ عَلَيْكَ أَنْ تَعْبُدَهُ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَأَنْ تَقُومَ بِأَمْرِهِ فِي الْأَهْلِ وَالْبَنِينَ ، فَلَا تَتْرُكُهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ أَوْ يَتَّبِعُونَ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ مِنَ الْعُصَاةِ وَالْفَاسِقِينَ ، وَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَتْرُكَهُمْ هَمَلًا أَوْ تَضَعَ لَهُمُ الْحَبْلَ عَلَى الْغَارِبِ فَيَقُودُهُمْ إِبْلِيسُ وَتَسُوقُهُمُ الشَّيَاطِينُ ، وَمِنْ حَقِّهِمْ عَلَيْكَ أَنْ تُعَلِّمَهُمْ وَتُطْعِمَهُمْ مِنَ الْحَلَالِ الَّذِي وَرِثْتَهُ أَوْ وَصَلَ إِلَيْكَ بِكَدِّ الْيَمِينِ وَعَرَقِ الْجَبِينِ ، وَلَا تُعَلِّمُهُمْ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَتْرُكَهُمْ بِأَمْرِ الدِّينِ جَاهِلِينَ ، وَفِي الْوَاجِبِ مُقَصِّرِينَ ، وَبِالْحَرَامِ مُتَسَاهِلِينَ ، وَفِي هُوَّةِ الْفَسَادِ سَاقِطِينَ ، فَإِنَّمَا هُمْ رَعِيَّتُكَ وَأَنْتَ رَاعِيهِمُ الْمَسْئُولُ عَنْهُمْ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ لِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ، قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ؟ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ) .

بَعْضُ النَّاسِ لَا يَهُمُّهُ مِنْ بَنِيهِ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا مُوَظَّفِينَ أَوْ تُجَّارًا ، أَوْ مُحْتَرِفِينَ يَكْتَسِبُونَ الْمَالَ وَلَوْ كَانَتِ الْحِرْفَةُ طَبْلًا وَمِزْمَارًا ، وَطُنْبُورًا وَأَوْتَارًا ، وَلَا يُبَالِي بِهِمْ إِذَا جَمَعُوا الْمَالَ أَصَالِحِينَ كَانُوا أَمْ أَشْرَارًا . وَقَدِيماً قِيلَ : أَشْبِعْ وَلَدَكَ وَأَحْسِنْ أَدَبَهُ ، وَاجْمَعْ لَهُ أَدَباً وَلَا تَكْسَبْ لَهُ ذَهَباً . وَالْأَبْنَاءُ وَرَثَةُ آبَائِهِمْ طَبَائِعَ وَآثَارًا ، وَكَمَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ أَوْلَادُكَ فَكُنْ أَنْتَ إِقْبَالًا وَإِدْبَارًا ، وَإِقْلَالاً وَإِكْثَارًا ، فَإِنَّمَا الْوَلَدُ سِرُّ أَبِيهِ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا

أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) وَالْكَافِرُ لَا يَلِدُ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا إِلَّا مَنْ هَدَاهُ اللهُ ، وَذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ ، وَللهِ خَرْقُ الْعَادَاتِ .

تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ أَيُّهَا الْآبَاءُ وَلَا تَضَعُوهَا إِلَّا فِي الْأَكْفَاءِ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ ، وَاخْتِيَارُ الْأُمَّهَاتِ الصَّالِحَاتِ لِبِنَاءِ الْأُسْرَةِ الْكَرِيمَةِ وَالْعَائِلَةِ الشَّرِيفَةِ يُعَدُّ بِمَثَابَةِ الْقَوَاعِدِ وَالْأَسَاسِ ، وَالْأُمُّ مَدْرَسَةُ الْبَنِينَ الْأُولَى ، يَتَلَقَّوْنَ فِيهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَيَتَخَرَّجُونَ مِنْهَا بِمَا كُتِبَ لَهُمْ مِنْ فَائِدَةٍ أَوْ إِفْلَاسٍ ، وَمِنْ مَزِيدِ الْأَسَفِ أَنَّكَ لَا تَرَى إِلَّا سُوءَ تَرْبِيَةٍ وَقَبِيحَ تَنْشِئَةٍ وَذَهَابَ أَخْلَاقٍ وَفَسَادَ أَذْوَاقٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ، يَسْمَعُ الْوَالِدُ فَاحِشَ الْقَوْلِ مِنْ وَلَدِهِ وَيَرَاهُ عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنَ الْفَسَادِ فَلَا يُنْكِرُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ لَا يَرَى فِي صَنِيعِهِ مِنْ بَأْسٍ ، أَفَيَجُوزُ شَرْعاً أَوْ عَادَةً أَوْ عَقْلًا أَنْ نَعِيشَ كَمَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ وَلَا نُفَكِّرُ إِلاَّ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ ، يُضِيعُ مِنَّا الْخَلَفُ مَا وَرِثَهُ مِنَ السَّلَفِ ، وَنُفَضِّلُ عَادَاتِ أَعْدَائِنَا عَلَى تَقَالِيدِ آبَائِنَا ، لَقَدْ ضَعُفَ الرِّجَالُ وَكَادَ يَكُونُ الْيَأْسُ ، وَوَاللهِ مَا تَقَعُ مَسْئُولِيَّةُ الْأَبْنَاءِ إِلاَّ عَلَى كَوَاهِلِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ .

كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوِ يُمَجِّسَانِهِ ، وَهُمَا يَرْفَعَانِ الْوَلَدَ أَوْ يَضَعَانِهِ ، وَكَمَا يُرِيدَانِ يَنْشَأُ الْوَلَدُ فَقَدْ يُطَهِّرَانِهِ أَوْ يُنَجِّسَانِهِ ، وَأَخْوَفُ مَا يُخَافُ عَلَى الصَّغِيرِ سُكُوتُ مُرَبِّيهِ عَلَى قَبِيحِ فِعَالِهِ وَفُحْشِ لِسَانِهِ ، وَإِعْطَاؤُهُ مَا يُحِبُّ وَاسْتِغْرَاقُهُ فِي اللَّعِبِ وَتَفْضِيلُهُ عَلَى إِخْوَانِهِ ، وَمُرَافَقَةُ الْأَشْرَارِ فِي الشَّارِعِ وَالدَّارِ ، وَعَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُوا

وَلَكِنِ اسْأَلُوا عَنْ أَقْرَانِهِ ، وَلِلْبِيئَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا الْمَرْءُ أَثَرُهَا فِي إِسَاءَتِهِ وَإِحْسَانِه . وَمُعَلِّمُهُ النَّاصِحُ يَسْتَطِيعُ تَهْذِيبَهُ وَرَفْعَ شَأْنِهِ ، وَإِنَّمَا الطِّفْلُ شَاشَةٌ بَيْضَاءُ يَنْقُشُ الْمُرَبِّي مَا يَشَاءُ عَلَيْهَا مِنْ أَلْوَانِهِ (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ) وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ أَهْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) .

مَا بَالُ أَوْلَادِنَا لَا يَعْرِفُونَ مِنَ الدِّينِ إِلاَّ أَنَّهُ حَائِلٌ مَنِيعٌ بَيْنَ أَهْلِهِ وَبَيْنَ الْعِلْمِ وَالْمَدَنِيَّةِ وَيَظُنُّونَ أَنَّهُ لَا يَتَّفِقُ وَالسِّيَاسَةَ وَالْأُمُورَ الاجْتِمَاعِيَّةَ وَالْمَصَالِحَ الدُّنْيَوِيَّةَ . مَا بَالُهُمْ لَا يُرِيدُونَ إِلاَّ حَيَاةَ الْإِبَاحِيَّةِ . وَمُضَاهَاةَ الْأُمَمِ الْأَجْنَبِيَّةِ وَالشُّعُوبِ اللَّادِينِيَّةِ ،يَتَشَبَّهُونَ بِسَادَاتِهِمُ الْغَرْبِيِّينَ وَيُقَلِّدُونَ قَادَتَهُمُ الْأُورُبِيِّينَ فِي سَفَاسِفِ الْأُمُورِ وَالْأَخْلَاقِ الدَّنِيَّةِ . فَشُرْبُ الْخُمُورِ وَمَشْطُ الشُّعُورِ وَتَنْسِيقُ الثِّيَابِ وَرَشُّهَا بِالْعُطُورِ . وَالسُّتْرَةُ وَالْبَنْطَلُونُ وَالْقُبَّعَةُ وَحَلْقُ الذُّقُونِ ، تَعُدُّهُ النَّاشِئَةُ الْغَبِيَّةُ حَضَارَةً وَرُقِياً وَثَقَافَةً عَصْرِيَّةً ، وَمُخَالَفَتُهُ جُمُودٌ وَرَجْعِيَّةٌ . فَضَلُّوا السَّبِيلَ وَأَخْطَأُوا الطَّرِيقَ ، وَفَاتَهُمُ الدَّلِيلُ وَأَخْطَأَهُمُ التَّوْفِيقُ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَاهِلُونَ وَالْجَاهِلَاتُ . نُحِبُّ أَوْلَادَنَا وَنُرِيدُ لَهُمُ الْخَيْرَ فِي كُلِّ حِينٍ ، وَنُنْفِقُ عَلَى تَعْلِيمِهِمُ الْمَالَ الْكَثِيرَ ، حَاضِرِينَ وَغَائِبِينَ ، فَنُحْضِرُ لَهُمُ الْمُعَلِّمِينَ ، وَنُرْسِلُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْمَدَارِسِ مُبَكِّرِينَ ، وَنَبْعَثُهُمْ إِلَى الْجَامِعَاتِ وَالْكُلِّيَاتِ فِي أَقَاصِي الْبِلَادِ رَغْبَةً فِي الْعِلْمِ الَّذِي يَصِيرُونَ بِهِ أَعْضَاءَ عَامِلِينَ ، فَيَعُودُ أَكْثَرُهُمْ خَائِبِينَ ، وَعَنِ الْحَقِّ نَاكِبِينَ ، وَمَنْ فَازَ مِنْهُمْ بِشَيْءٍ خَرَجَ عَنِ الْفَضِيلَةِ وَالدِّينِ ، وَصَارَ نِقْمَةً عَلَى الْبِلَادِ وَالْأَهْلِينَ ، يَهْزَأُ

بِالْمُوَاطِنِينَ ، وَيَسْخَرُ بِالْمَسَاكِينِ . فَتَرَاهُ مِنْ ضَلَالِهِ وَسُخْفِهِ مُتَبَخْتِرًا فِي مَشْيِهِ وَشَامِخاً بِأَنْفِهِ ، يُحَاوِلُ خَرْقَ الْأَرْضِ بِرِجْلَيْهِ ، وَأَنْ يَرْفَعَ السَّمَاءَ بِيَدَيْهِ ، وَيَرَى نَفْسَهُ مِنَ الْعُظَمَاءِ وَالْأَسَاطِينِ . وَإِنَّمَا هُوَ جَاهِلٌ مَفْتُونٌ أَصَابَهُ الْجُنُونُ ، أَيْنَمَا تُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ أَشْرَفِ الْعَائِلَاتِ .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَنْ عَلَّمَ عِلْماً فَلَهُ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ» .

وَقَالَ ﷺ «مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ فَأَدَّبَهُنَّ وَزَوَّجَهُنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ» .

وَقَالَ ﷺ «مَنْ رَبَّى صَغِيرًا حَتَّى يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ لَمْ يُحَاسِبْهُ اللهُ» .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدَهُ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ» وَقَالَ أَيْضاً «اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ» وَكَانَ يَمُرُّ بِالصِّبْيَانِ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ لِيُعَلِّمَهُمُ الآدَابَ . وَكَانَ يَحْمِلُ الصِّبْيَانَ فِي صَلَاتِهِ ، وَهُوَ سَيِّدُ الْكَائِنَاتِ وَأَشْرَفُ الْمَخْلُوقَاتِ .

وَإِنَّهُ لَيَقُولُ ﷺ «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَى تَرْكِهَا لِعَشْرٍ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ ، فَيَالَهَا مِنْ أَوَامِرَ وَأَكْرِمْ بِهَا مِنْ تَعْلِيمَاتٍ . وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ

مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) .

الخطبة الرابعة والعشرون

فِي السُّفُورِ وَالْحِجَابِ

الْحَمْدُ للهِ الْعَظِيمِ شَأْنُهُ ، الْعَزِيزِ سُلْطَانُهُ ، الدَّائِمِ بِرُّهُ وَإِحْسَانُهُ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى جَعَلَ الْحَيَاءَ شُعْبَةً مِنَ الْإِيمَانِ ، وَمَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ فَنَاقِصٌ إِيمَانُهُ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ الْمَرْأَةَ بِالْحِجَابِ وَالْتِزَامِ الآدَابِ ، وَعَلَيْهَا يَقُومُ أَسَاسُ الْبَيْتِ وَبُنْيَانُهُ ، وَهِيَ مِنَ الشَّرَفِ عِنْوَانُهُ ، وَلِمَجْدِ أُسْرَتِهَا تُرْجُمَانُهُ ، وَنَعُوذُ بِهِ تَبَارَكَ اسْمُهُ أَنْ يَحِيفَ رِجَالُ زَمَانِنَا وَنُسْوَانُهُ ، عَنْ تَعَالِيمِهِ الْعَظِيمَةِ وَطَرِيقَتِهِ الْمُسْتَقِيمَةِ ، وَمَا جَاءَتْ بِهِ سُنَّةُ نَبِيِّهِ وَقُرْآنِهِ (وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَاإِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ حَفِظَ حَقَّ الْمَرْأَةِ وَأَعْلَى قَدْرَهَا ، وَجَعَلَ الْحَيَاءَ شَطْرَيْنِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، وَمَا أَسْعَدَ الْحَيَاةَ إِذَا حَفِظَتِ الْمَرْأَةُ شَطْرَهَا ،وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَصْلَحَ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرَهَا ، وَأَظْهَرَ لِلْعَالَمِينَ فَخْرَهَا ، وَدَلَّهَا عَلَى اللهِ بِمَكَارِمِ

الْأَخْلَاقِ ، وَمَا تَرَكَ خَصْلَةً مِنَ الْخَيْرِ إِلاَّ ذَكَرَهَا ، وَلَا خَصْلَةً مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ وَحَذَّرَ الْأُمَّةَ عَنْهَا وَزَجَرَهَا . اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْقَائِلِ «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ » الْحَدِيثُ . صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ عَرَفُوا مِنَ الشَّرِيعَةِ سِرَّهَا ، وَحَفِظُوا لِلنِّسَاءِ حُقُوقَهُنَّ وَأَلْزَمُوا الْمَرْأَةَ خِدْرَهَا ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، الْخَائِفِينَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ، لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ) .

أَيُّهَا النَّاسُ ، كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَهْضُومَةً مَظْلُومَةً مَعْدُودَةً عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الرِّجَالِ فِي سَقَطِ الْمَتَاعِ ، وَكَانَتْ أُورُوبَّا وَقَوَانِينُهَا الْآثِمَةُ تَسْمَحُ لِلْآبَاءِ وَالْأَزْوَاجِ أَنْ تُؤَجَّرَ الْمَرْأَةُ وَتُعَارَ وَتُشْتَرَى وَتُبَاعَ ، وَكَانَتْ شَرِيعَةُ الرُّومَانِ تَكُمُّ فَمَ الْمَرْأَةِ عَنِ الضَّحِكِ وَالْكَلَامِ وَتُلْحِقُهَا بِالْكِلَابِ وَضَوَارِي السِّبَاعِ ، وَكَانَ الْعَرَبُ يُورِثُونَهَا وَيَئِدُونَهَا صَغِيرَةً وَلَا تَحْضُرُ مَجَالِسَهُمْ وَلَا تُشَارِكُهُمْ فِي أَيِّ اجْتِمَاعٍ ، فَحِينَ جَاءَتْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ وَأَخْرَجَتِ الْمَرْأَةَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ارْتَفَعَتْ فِي إِنْسَانِيَّتِهَا غَايَةَ الْإِرْتِفَاعِ ، وَصَارَتْ مُكَلَّفَةً وَمُطْلَقَةَ التَّصَرُّفِ وَمُشَارِكَةً لِلرِّجَالِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْأَوْضَاعِ ، يُكَلِّمُهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَيُخَاطِبُهَا الْقُرْآنُ فَيُخْبِرُهَا أَنَّ عَمَلَهَا كَعَمَلِ الرِّجَالِ عِنْدَ اللهِ لَا يُضَاعُ ، وَيَحُدُّ لَهَا حُدُوداً وَيَفْرِضُ لَهَا فُرُوضاً وَيُخَفِّفُ عَنْهَا مِنَ الْأَحْكَامِ مَا تَعْجَزُ عَنْهُ رِقَّةُ الْعَوَاطِفِ وَضَعْفُ الطِّبَاعِ ، وَيَأْمُرُنَا بِحُسْنِ مُعَامَلَتِهَا وَيَقُولُ لَنَا

« إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ وَوَأْدَ الْبَنَاتِ وَمَنْعاً وَهَاتِ » وَالْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الأُمَّهَاتِ ، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ . وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا . وَكَذٰلِكَ يَرْفَعُ الإِسْلَامُ شَأْنَ الْمَرْأَةِ وَتَتْبَعُهُ الْمَدَنِيَّةُ فِي سَائِرِ الْبِقَاعِ (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) .

أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُهُ الْمَرْأَةُ بَعْدَ هٰذَا وَقَدْ نَطَقَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ بِقَوْلِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) وَأَيُّ شَيْءٍ يُرِيدُهُ أَدْعِيَاءُ الْمَدَنِيَّةِ وَأَتْبَاعُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، مِنْ تَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ وَالْخُرُوجِ بِهَا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . أَيَعُدُّونَ الْحِجَابَ وَلُبْسَ الْجِلْبَابِ هَضْماً لِحَقِّهَا وَحُكْماً بِرِقِّهَا ، وَكَذٰلِكَ يَدَّعِي كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . إِنَّ الْمُبَالَغَةَ فِي سِتْرِهَا بِالْتِزَامِ خِدْرِهَا وَكَتْمِ سِرِّهَا لَهُوَ مُنْتَهَى سَعَادَتِهَا وَغَايَةُ صَوْنِهَا عَمَّا يُرِيدُ بِهَا الْفَاحِشُ الزَّنِيمُ ، وَإِذَا اخْتَلَطَ الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ وَاجْتَمَعُوا فِي الْمَجَالِسِ وَالأَنْدِيَةِ ، وَالأَسْوَاقِ وَالْمَعَامِلِ فَعَلَيْكِ يَا دُنْيَا الْعَفَا وَعَلَى الأَخْلَاقِ . سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ . وَهَلْ أَوْقَعَ النَّاسَ فِي الْبَلَاءِ وَسَاقَهُمْ إِلَى الْفَنَاءِ إِلَّا ظُهُورُ الزِّنَا وَاخْتِلَاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْجَهْلُ مَعَ الْعَفَافِ أَبَرُّ عِنْدَ اللهِ مِنْ هٰذِهِ التَّعَالِيمِ . وَمَا تَفْسُدُ الأَخْلَاقُ فِي أُمَّةٍ إِلَّا وَسَقَطَ كِيَانُهَا وَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَالْعَذَابِ الأَلِيمِ (وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ، وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ)

كَذِبٌ وَزُورٌ مَا يَدَّعِيهِ مُحَرِّرُو الْمَرْأَةِ وَأَنْصَارُ السُّفُورِ . وَفِتْنَةٌ مَا يَسُوقُونَهَا إِلَيْهِ مِنْ مُشَارَكَةِ الرِّجَالِ فِي مُهِمَّاتِ الأُمُورِ ، فَمَا لَهُنَّ وَلِلْمُحَامَاةِ وَالْقَضَاءِ وَمَيَادِينِ الرِّيَاضَةِ وَمُسْتَحَمَّاتِ أَهْلِ الْفُجُورِ ، وَمَاذَا يَصْنَعُ الرَّجُلُ بِالْمَرْأَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بِالْمَعْرُوفِ عَلَيْهَا نُفُوذٌ وَلَوْ كَانَتْ مِنَ الْحُورِ . وَلِرَبَّاتِ الْحِجَابِ مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ فِي الأَكْوَاخِ حَيَاةٌ هِيَ أَسْعَدُ مِنْ حَيَاةِ السَّافِرَاتِ فِي الْقُصُورِ ، وَمَتَى تَكَشَّفَتِ الْمَرْأَةُ فِي الأَسْوَاقِ وَالشَّوَارِعِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ الْعَامَّةِ غَاضَ مَاؤُهَا وَذَهَبَ بَهَاؤُهَا ، فَحَلَّ بِهَا الدَّبُورُ وَوَقَعَتْ فِي الْوَيْلِ وَالثُّبُورِ ، وَإِذَا صَافَحَتْ وَمَازَحَتْ تَسَاهَلَتْ بِعِرْضِهَا وَتَسَامَحَتْ ، فَكَانَتْ عَلَيْهَا لَعْنَةُ النَّاظِرِ وَالْمَنْظُورِ ، وَكَانَتْ مُخَالِفَةً لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى فِي سُورَتَي الأَحْزَابِ وَالنُّورِ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيماً) (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

يَا أَيَّتُهَا الْمُسْلِمَةُ الْمُعْتَزَّةُ بِشَرَفِ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ هَلْ أَنْتِ عَامِلَةٌ بِأَوَامِرِ دِينِكِ وَمُتَمَسِّكَةٌ بِالْقُرْآنِ ، أَمْ أَنْتِ عَصْرِيَّةٌ سَافِرَةٌ مَرْكَبُهَا الْجَهْلُ وَقَائِدُهَا الشَّيْطَانُ ، وَرَائِدُهَا الْفِتْنَةُ وَسَائِقُهَا الْهَوَى وَمَقْصِدُهَا الْفَاحِشَةُ ، وَكَذَٰلِكَ دَأْبُ النِّسَاءِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَإِنْ كُنْتِ مُسْلِمَةً فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَمُؤْمِنَةً بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، فَلَا تُشْرِكِي بِاللهِ شَيْئاً ، وَلَا تَسْرِقِي وَلَا تَزْنِي ، وَإِيَّاكِ وَافْتِرَاءَ الْبُهْتَانِ ، فَإِنَّ الْعَيْنَ زَانِيَةٌ ،

وَالآذَانَ زَانِيَةٌ وَاللِّسَانَ زَانٍ ، وَالْقَلْبُ يَتَمَنَّى وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذٰلِكَ أَوْ أَوْ يُكَذِّبُهُ ، وَلَمْ تُؤْمَرِ الْمَرْأَةُ بِالْحِجَابِ إِلاَّ لِتُصَانَ ، وَالاخْتِلَاطُ فِتْنَةٌ ، وَالسُّفُورُ مِحْنَةٌ ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ لَعْنَةٌ ، وَنَبْذُ التَّقَالِيدِ الدِينِيَّةِ وَالْعَادَاتِ الْقَوْمِيَّةِ مِنْ ضَعْفِ الْكِيَانِ وَاحْتِقَارِ الذَّاتِ وَالاسْتِخْفَافِ بِكَرَامَةِ الْأَدْيَانِ وَالْأَوطَانِ ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) .

يَا أَيَّتُهَا الْحُرَّةُ الطَّاهِرَةُ ذَاتُ الْكَرَامَةِ وَالْعَفَافِ ، يَا سُلَالَةَ الْأَكْرَمِينَ الْأَمَاجِدِ ، وَيَا إِبْنَةَ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ ، لَا يَسْتَزِلُّكِ الشَّيْطَانُ وَالسَّافِرَاتُ الْفَاجِرَاتُ لِمُخَالَفَةِ الدِّينِ وَعَادَاتِ الآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَجَمِيلِ الْأَوْصَافِ ، وَمَا كَانَتِ النِّسَاءُ الْمُسْلِمَاتُ وَالْمُحْصَنَاتُ الْمُؤْمِنَاتُ مِنَ الْأَسْلَافِ ، إِلَّا مُدَبِّرَاتِ الْمَنَازِلِ وَمُرَبِّيَاتِ الْبَنِينَ وَعَلَيْهِنَّ مَعَ الْحِجَابِ أَمْرُ الدَّاخِلِيَّةِ وَذٰلِكَ غَايَةُ الْإِنْصَافِ ، وَمَا مِنِ امْرَأَةٍ تَعْبُدُ رَبَّهَا وَتُطِيعُ زَوْجَهَا وَتَحْفَظُ فَرْجَهَا وَتَلْزَمُ بَيْتَهَا إِلاَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا ، وَأَمَّنَهَا يَوْمَ يَفْزَعُ غَيْرُهَا وَيَخَافُ ، فَقُومِي بِمَا عَلَيْكِ وَدَعِي مَا لَيْسَ إِلَيْكِ لِيَكُونَ الْخَيْرُ فِي يَدَيْكِ ، وَلَا تُقَصِّرِي فِي الْوَاجِبِ وَلَا تُسْرِفِي فِي الطَّلَبِ ، فَإِنَّ اللهَ يَكْرَهُ أَهْلَ التَّقْصِيرِ وَالْإِسْرَافِ ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ، وَمَا جَاوَزَ شَيْءٌ حَدَّهُ إِلاَّ وَكَانَتْ نَتِيجَتُهُ الْبَخْسَ أَوِ الْإِجْحَافَ ، وَمَنْ أَمَرَ بِالْخَيْرِ وَفَعَلَهُ ، وَنَهَى عَنِ الشَّرِّ وَتَرَكَهُ ، طَمَعاً فِي الثَّوَابِ وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ حَقاً ، وَفِيهِ يَقُولُ خَفِيُّ الْأَلْطَافِ «إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَعَلَامَاتِ الْقِيَامَةِ كَثْرَةُ النِّسَاءِ وَقِلَّةُ الرِّجَالِ ، وَمِنْهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ النَّاسِ عَنِ الدِّينِ وَفَيَضَانُ الْمَالِ وَإِذَا كَثُرَتِ الْأَطْمَاعُ وَاخْتَلَفَتِ الْأَهْوَاءُ ظَهَرَتِ الْفِتْنَةُ وَشَبَّتِ الْحَرْبُ نَارَهَا بِالْقَتْلِ وَالْقِتَالِ ، فَيَمُوتُ الرِّجَالُ وَمَا يَكُونُ لِلْخَمْسِينَ امْرَأَةٍ إِلَّا الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ ، فَتَنْحَلُّ عُقَدُ الْفَضِيلَةِ غَايَةَ الِانْحِلَالِ ، وَمَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ فِتْنَةً يَخَافُهَا عَلَى أُمَّتِهِ أَضَرَّ مِنَ النِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ ، فَهُنَّ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ وَأَتْبَاعُ الدَّجَّالِ ، وَإِذَا فَقَدْنَ الْحَيَاءَ فَلَا طَاعَةَ وَلَا امْتِثَالَ ، وَلَا رَادِعَ لَهُنَّ مِنْ فِعْلٍ وَلَا مَقَالٍ ، وَمَا ضُرِبَ الْحِجَابُ إِلَّا لِصَوْنِ الْكَرَامَةِ وَالْجَمَالِ مِنْ عَبَثِ أَهْلِ الضَّلَالِ ، وَالسَّافِرَةُ مُعَرَّضَةٌ لِلشَّرِّ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ » .

رَوَى الْحَاكِمُ وَالطَّبَرَانِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ قَالَ «النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَاناً يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ » وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إِلَّا أَحْدَثَ اللهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلَاوَتَهَا فِي قَلْبِهِ » وَمَنْ يَضْبِطُ نَفْسَهُ وَيَغُضُّ بَصَرَهُ وَيَحْفَظُ فَرْجَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ إِلَّا الْمُؤْمِنُ الْخَائِفُ مِنَ اللهِ فِي سُوقِهِ وَسِرْبِهِ ، وَالْمَرْأَةُ أُحْبُولَةُ الشَّيْطَانِ يَصْطَادُ بِهَا الرَّجُلَ

فَيُهْلِكُهُ بِحُبِّهَا وَيَفْتِنُهَا بِحُبِّهِ . فَإِذَا رَأَتْهُ وَاجْتَمَعَتْ بِهِ خَرَجَتْ بَعْدُ عَن الْآدَابِ وَالْحَيَاءِ ، وَشَغَلَتْهُ بِنَفْسِهَا عَنْ دِينِهِ وَكَسْبِهِ ، وَمَا أُمِرَ النِّسَاءُ بِمُلَازَمَةِ الْبُيُوتِ ، وَأَنْ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ وَيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ إِلَّا اتِّقَاءَ الْفِتْنَةِ وَحَذَرًا مِنَ الشَّرِّ ، وَمَا أَخْطَرَ الرَّجُلَ عَلَى الْمَرْأَةِ وَمَا أَمْلَكَهَا لِلُبِّهِ «فَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ » وَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِنَّ الْبُيُوتَ إِلَّا مَعَ الْأَزْوَاجِ وَالْمَحَارِمِ ، وَمَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَتَجَاوَزُ حَدَّ اللهِ وَلَا يَقِفُ بِقُرْبِهِ «تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ : وَيْلٌ لِلرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ وَوَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ » .

وَقَالَ ﷺ « لَتَغُضُّنَّ أَبْصَارَكُمْ وَلَتَحْفَظُنَّ فُرُوجَكُمْ أَوْ لَيَكْسِفَنَّ اللهُ وُجُوهَكُمْ » وَقَالَ ﷺ لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ » وَقَالَ أَيْضاً «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا ، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا » وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ «وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَإِنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

الخطبة الخامسة والعشرون

فِي آفَاتِ اللِّسَانِ

اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَا يَقُولُ إِلَّا حَقاً ، وَلَا يَعِدُ إِلَّا صِدْقاً ، وَلَا يَأْمُرُ إِلَّا رِفْقاً ، فَعَابِدُهُ يَعِزُّ وَيَرْقَى ، وَجَاحِدُهُ يَذِلُّ وَيَشْقَى ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى تَعَبُّدًا وَرِقّاً ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَمَلاً وَنُطْقاً ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَبَارَكَ تَقْدِيرًا وَخَلْقاً ، وَجَلَّ تَدْبِيرًا وَرِزْقاً ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ الْقِيلِ وَالْقَالِ وَسُوءِ الْحَالِ وَفُضُولِ الْكَلَامِ وَفِتْنَةِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْخَلْقِ طُرًّا ، وَأَشْهَرُهُمْ ذِكْرًا وَأَرْفَعُهُمْ قَدْرًا ، وَأَعْظَمُهُمْ فَخْرًا ، وَأَكْثَرُهُمْ تَحَمُّلًا وَصَبْرًا ، وَأَجَلُّهُمْ مَكَانَةً وَأَقْدَسُهُمْ طُهْرًا ، وَأَعَفُّهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا ، وَأَطْوَعُهُمْ لِلهِ نَهْياً وَأَمْرًا ، قَدْ خَاطَبَهُ رَبُّهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى «وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ » .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْأَنَامِ ، عُنْوَانُ الشَّرَفِ وَمِسْكُ الْخِتَامِ ، وَالْقَائِلِ ﷺ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ » .

صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُولِي النُّهَى وَالْأَحْلَامِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ وَقِلَّةِ الْكَلَامِ أَفْضَلَ صَلَاةٍ وَسَلَامٍ مَا دَامَتِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَعَلَيْنَا وَمَعَهُمْ وَفِيهِمْ يَاذَا الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ» .

عِبَادَ اللهِ ، آفَةُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْفَرْجِ وَاللِّسَانِ ، وَالْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِطَعَّانٍ وَلَا مُغْتَابٍ ، وَلَا نَمَّامٍ وَلَا مُفْتَرٍ لِبُهْتَانٍ ، وَلَيْسَ بِكَذَّابٍ وَلَا زَانٍ ، وَمَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَفَخِذَيْهِ فَقَدْ فَازَ بِالْأَمَانِ وَالنَّجَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَاسْتَحَقَّ الضَّمَانَ بِالْجَنَّةِ وَالرِّضْوَانِ ، فِي قَوْلِ سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنَانَ ﷺ «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ» فَمَا أَسْهَلَ الْعَمَلَ وَمَا أَعْظَمَ الْأَجْرَ يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ» .

اَلْغِيبَةُ وَالنَّمِيمَةُ دَاءَانِ عُضَالَانِ مُنْتَشِرَانِ فِي الْأَسْوَاقِ بَيْنَ الشُّيُوخِ وَالشُّبَّانِ ، وَحَتَّى فِي بُيُوتِ اللهِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ تَسْمَعُ بَعْضَ النَّاسِ وَقَدْ أَطْلَقَ اللِّسَانَ ، فِي تَمْزِيقِ أَعْرَاضِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْغِيبَةِ وَالْبُهْتَانِ ، وَنَقْلِ الْكَلَامِ مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ بِقَصْدِ الافْتِتَانِ وَمَا يَنُمُّ وَلَا يَغْتَابُ إِلَّا خَبِيثُ النَّفْسِ أَوْ جَبَانٌ ، ثَقِيلٌ طَبْعُهُ عَلَى النَّاسِ خَفِيفٌ عَمَلُهُ فِي الْمِيزَانِ ، يَخَافُ مِنْهُ الْكَرِيمُ كَمَا يَخَافُ مِنَ الثُّعْبَانِ ، وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ اللَّئِيمُ لِأَنَّهُ شَيْطَانٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْإِخْوَانِ وَيَفْعَلُ بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْخِلَّانِ فِعْلَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ «فَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» .

النَّمَّامُ مِنَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَيُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنَ السَّحَرَةِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ ، يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ، وَيُبَاعِدُ مَا بَيْنَ الْآبَاءِ وَالْبَنِينَ ، فَقَلْبُهُ خَبِيثٌ ، وَلِسَانُهُ حُلْوُ الْحَدِيثِ ، وَطَالِعُهُ مَشْئُومٌ ، وَصَنِيعُهُ مَذْمُومٌ ، وَعَمَلُهُ مِمَّا تَعْجِزُ عَنْهُ الشَّيَاطِينُ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ، وَلَا يُصْلِحُ اللهُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ، ذُنُوبُكَ أَيُّهَا النَّمَّامُ عَظِيمَةٌ ، وَنَفْسُكَ لَئِيمَةٌ ، وَأَيَّةُ جَرِيمَةٍ هِيَ عِنْدَ اللهِ كَالنَّمِيمَةِ : فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْقِيلِ وَالْقَالِ وَفِتْنَةِ النَّمَّامِينَ ، الَّذِينَ لَا يَعِيشُونَ إِلَّا فِي الْمَاءِ الْعَكِرِ ، وَلَا تَطِيبُ لَهُمُ الْمَجَالِسُ إِلَّا بِإِغْرَاءِ الْعَدَاوَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، أُولَئِكَ هُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»

مَنْ لَوَّثَ فَاهُ بِالْكَذِبِ وَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالسِّبَابِ ، فَقَدْ أَكَلَ لُحُومَ النَّاسِ وَوَلَغَ فِي أَعْرَاضِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ الْجِيَفَ وَتَلِغُ فِي الدِّمَاءِ جَائِعَاتُ الْكِلَابِ ، وَكَمْ فِي السُّنَّةِ وَالْكِتَابِ مِنَ الْوَعِيدِ بِسُوءِ الْمَصِيرِ وَالْمَآبِ ، لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ أَوْ مَشَّاءٍ بِالنَّمِيمِ أَوْ مُفْتَرٍ كَذَّابٍ ، وَجَمِيعُ هَذِهِ الْخِصَالِ مَذْمُومَةٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْأَدْيَانِ وَخَارِجَةٌ عَنِ الْفَضِيلَةِ وَالْآدَابِ ، وَالْمُؤْسِفُ أَنَّ أَكْثَرَ الْمُتَخَلِّقِينَ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَأَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ هُمُ الْكُفَّارُ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ ، فَنَبِّئُونِي أَيُّهَا السَّامِعُونَ مِنَ الشِّيبِ وَالشَّبَابِ ، لِمَاذَا لَا نَعْمَلُ بِتَعَالِيمِ دِينِنَا وَلَا نَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِ نَبِيِّنَا ، لَقَدْ ذَهَبَ الرُّشْدُ وَالصَّوَابُ ، وَأَصْبَحْنَا نَقُولُ مَا لَا نَفْعَلُ ، وَنَشْتَغِلُ بِالْقُشُورِ وَغَيْرُنَا يَتَمَتَّعُونَ بِاللُّبَابِ «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، وَأَنِ اعْبُدُونِي هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» .

مَجَالِسُنَا فِي الْأَسْوَاقِ وَالْأَنْدِيَةِ وَالْقَهَوَاتِ وَمَبَارِزِ الْقَاتِ لَا نَسْمَعُ فِيهَا إِلَّا لَغْوًا وَتَأْثِيماً ، وَلَا نَرَى فِيهَا إِلَّا أَفَّاكاً أَثِيماً ، فَيَا لَهَا مِنْ كَلِمَاتٍ تَضِجُّ لَهَا الْأَرْضُ وَالسَّمٰوَاتُ سَفَاهَةً وَفُحْشاً ، وَأَلْسِنَةٍ تَنْهَشُ الْأَعْرَاضَ نَهْشاً ، وُجُوهٌ لَا تَسْتَحِي ، وَقُلُوبٌ لَا تَخْشَى ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَحِ فَلْيَصْنَعْ مَا شَاءَ ، فَمَا تَنْفَعُ الْعِظَاتُ وَلَا تُؤَثِّرُ الآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ فِي مَنْ مَاتَ ، آهٍ عَلَى الْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ ، وَالْأَخَوَاتِ وَالزَّوْجَاتِ مِنْ أَلْسِنَةِ السُّفَهَاءِ الْمُسْتَخِفِّينَ بِالآدَابِ وَالْكَرَامَاتِ ، الْمُتَسَاهِلِينَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ : السَّبْعُ الْمُوبِقَاتُ ، وَقَدْ عَدَّ مِنْهَا قَذْفَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» .

أَلَيْسَ مِنَ الْعَارِ أَنْ نَرَى رَجُلًا ذَا لِحْيَةٍ وَسُبْحَةٍ وَعَمَامَةٍ ، فَتَحْسَبُهُ شَيْخاً وَقُورًا ، أَوْ عَالِماً مَشْهُورًا ، حَتَّى إِذَا سَمِعْتَ كَلَامَهُ ، سَمِعْتَ خَلَاعَةً وَبَذَاءَةً ، وَثَرْثَرَةً وَلَآمَةً ، وَالْعَالِمُ قَدْ هَيَّأَ لِلسِّبَابِ أَوْرَاقَهُ وَأَقْلَامَهُ ، وَجَرَّدَ مِنْ لِسَانِهِ حُسَامَهُ ، وَأَصْحَابُ الْجَرَائِدِ يُرْسِلُونَ مِنَ الْكَلَامِ سِهَامَهُ

عَلَى الْمُصْلِحِينَ وَأَصْحَابِ الْكَرَامَةِ ، وَالأَنْذَالُ وَالسُّفَهَاءُ يَسْتَطِيلُونَ فِي أَعْرَاضِ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الاسْتِقَامَةِ ، تِلْكَ أَشْرَاطُ الْقِيَامَةِ ، فَهَلْ مِنْ تَوْبَةٍ أَوْ طَلَبٍ لِلسَّلَامَةِ قَبْلَ حُلُولِ النَّدَامَةِ «وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» وَقَالَ ﷺ «رَحِمَ اللهُ امْرَءاً قَالَ خَيْرًا فَغَنِمَ أَوْ سَكَتَ عَنْ شَرٍّ فَسَلِمَ» وَقَالَ ﷺ «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» وَقَالَ ﷺ «الرِّبَا إِثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَاباً أَدْنَاهَا مِثْلُ إِتْيَانِ الرَّجُلِ أُمَّهُ ، وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ» وَمَرَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقَبْرَيْنِ جَدِيدَيْنِ فَقَالَ «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِىءُ مِنَ الْبَوْلِ» وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «النَّمِيمَةُ وَالشَّتِيمَةُ وَالْحَمِيَّةُ فِي النَّارِ» وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» .

الخطبة السادسة والعشرون

فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْحَسَدِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ ، وَعَلَى إِحْسَانِهِ الَّذِي لَا يُحَدُّ ، صَاحِبِ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ عَلَى كُلِّ أَحَد ، عَوَّذَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ فَعَلَيْهِ الْمُعْتَمَدُ وَإِلَيْهِ الْمُسْتَنَدُ وَمِنْهُ الْمُسْتَمَدُّ ، وَلَه الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ هُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بِيَدِهِ الْفَضْلُ وَقَوْلُهُ الْفَصْلُ ، قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّحْلِ : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ، وَمِنْهُ : أَلَّا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَعَامَلُوا بِالْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ وَالزُّورِ وَالْمَطْلِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْاجَلُّ ، بَعَثَهُ رَبُّهُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ وَالدِّينِ السَّهْلِ ، فَجَاءَ بِمَا لَا يُخَالِفُ الْعَقْلَ وَلَا يُبَايِنُ صَحِيحَ النَّقْلِ ، فَأَكْرِمْ بِسَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنْ بَشِيرٍ ، وَأَعْظِمْ بِخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ نَذِيرٍ .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْكَامِلِ فِي الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ ، وَالرَّاقِي إِلَى مَعَالِي الرُّتَبِ ، وَالصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ فِي الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ ، وَالْقَائِلِ ﷺ . إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ . صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمُتَحَبِّبِينَ

إِلَى اللهِ بِأَفْضَلِ الْقُرَبِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي طَهَارَةِ الْقُلُوبِ وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ وَكَمَالِ الْأَدَبِ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ) .

عِبَادَ اللهِ : دَاءُ الْحَسَدِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَدْوَاءِ ، وَالِابْتِلَاءُ بِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْبَلْوَى ، يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى الدَّعْوَى ، وَيُبْعِدُهُ عَنِ التَّقْوَى ، وَيُرْكِبُهُ الْأَهْوَاءَ فَيَضِلُّ وَيَغْوَى ، يَضِيقُ صَدْرُهُ وَيَنْفَطِرُ قَلْبُهُ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَى أَخِيهِ . فَيُعَانِي مِنَ الْبُؤْسِ وَاللَّأْوَاءِ ، مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَثَّ مَعَهُ حُزْناً وَلَا شَكْوَى . إِلَّا إِلَى شَيْطَانِهِ الْخَبِيثِ ، وَنَفْسِهِ الْأَمَّارَةِ بِالْأَسْوَاءِ ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ، لَمْ يُحْسِنِ الْقِسْمَةَ فِي أَوْلَادِ حَوَّاءَ ، فَخَيْرُهُ قَلِيلٌ وَشَرُّهُ كَثِيرٌ ، وَلِسَانُهُ طَوِيلٌ وَنَظَرُهُ قَصِيرٌ .

قَاتَلَ اللهُ الْحَسُودَ لَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ وَلَا يُحِبُّهُ لِعِبَادِ اللهِ ، وَإِذَا رَأَى نِعْمَةَ اللهِ عَلَى عَبْدِهِ ضَاقَ بِهَا ذَرْعاً وَتَمَنَّى زَوَالَهَا عَنْهُ قَاتَلَهُ اللهُ ، وَمَا أَوْقَعَ الشَّيْطَانَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا حَسَدُهُ لِآدَمَ وَامْتِنَاعُهُ مِنَ السُّجُودِ بَعْدَ إِذْ أَمَرَهُ اللهُ ، وَمَا حَمَلَ قَابِيلَ عَلَى قَتْلِ هَابِيلَ إِلَّا حَسَدُهُ لِأَخِيهِ حِينَ تَقَبَّلَ مِنْهُ اللهُ قُرْبَانَهُ الَّذِي أَرَادَ بِهِ وَجْهَ اللهِ ، وَجَنَّتَهُ وَرِضَاهُ ، وَمَا مَنَعَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الدُّخُولِ فِي هَٰذَا الدِّينِ إِلَّا حَسَدُهُمْ لِرَسُولِ اللهِ ، وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ، أَفَلَمْ يَجِدِ اللهُ مَنْ يُرْسِلَهُ إِلَّا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ، وَمَا حَمَلَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَلَى كَرَاهَةِ الْإِسْلَامِ وَصَرْفِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كِتَابِ اللهِ وَالْإِيمَانِ بِسَيِّدِ رُسُلِهِ وَخَاتَمِ

أَنْبِيَائِهِ إِلاَّ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

الْحَسُودُ لَا يَسُودُ وَلَا يَبْلُغُ الْمَقْصُودَ ، يَقْتُلُ نَفْسَهُ بِيَدِهِ ، وَيُؤَجِّجُ فِي صَدْرِهِ نَارَ الْخُبْثِ الَّتِي لَا يَشْعُرُ بِهَا الْمَحْسُودُ ، وَلَوْ كَانَ يَمْلِكُ خَزَائِنَ الْأَرْضِ لَأَمْسَكَ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَالْإِنْسَانُ جَحُودٌ وَلِرَبِّهِ كَنُودٌ ، وَعَدُوُّ الْمَرْءِ مَنْ يَعْمَلُ بِعَمَلِهِ ، سَوَاءٌ فِي ذٰلِكَ السَّيِّدُ وَالْمَسُودُ ، وَالْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ ، وَالْوَالِدُ وَالْمَوْلُودُ ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ الْحَسَدُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الْمَنَاصِبِ الْعَالِيَةِ وَالرُّتَبِ السَّامِيَةِ فِي هٰذَا الْوُجُودِ ، وَلِكُلِّ فَضِيلَةٍ حَدٌّ مَحْدُودٌ ، إِلاَّ الْعِلْمَ فَفَضْلُهُ مَمْدُودٌ ، وَشَرَفُهُ مَشْهُودٌ ، وَلِذٰلِكَ يَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ ، وَالنَّصَارَى وَالْيَهُودُ ، وَكُلٌّ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ صَاحِبَ الْقِدْحِ الْمُعَلَّى وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ ، وَلِذٰلِكَ يَكْثُرُ الْحَسَدُ بَيْنَ أَهْلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ نِيَّاتِ الْعِبَادِ إِلاَّ رَبُّهُمُ الْمَعْبُودُ (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ)

الْحَاسِدُ لَا يَنْظُرُ إِلاَّ شَزَرًا ، وَلَا يَنْطِقُ إِلاَّ كُفْرًا ، وَلَا يُضْمِرُ إِلاَّ غَدْرًا ، وَلَا يَعْمَلُ إِلاَّ شَرًّا ، وَلَا يُدَبِّرُ إِلاَّ مَكْرًا ، ثَوْبُكَ الْجَدِيدُ لَا يُرْضِيهِ ، وَنَعْلُكَ الْبَرَّاقَةُ تُؤْذِيهِ ، وَإِذَا رَآكَ صَحِيحَ الْجِسْمِ طَلَعَتْ لَهُ الصَّفْرَاءُ ، وَعَادَاكَ سِرًّا وَجَهْرًا ، فَإِنْ كُنْتَ عَالِماً قَالَ هٰذَا جَاهِلٌ

لَا يَفْهَمُ عُرْفاً وَلَا نُكْرًا ، وَإِنْ كُنْتَ صَانِعاً لَمْ يُقِمْ لَكَ وَزْناً وَلَمْ يَعْرِفْ لَكَ قَدْرًا ، وَإِنْ كُنْتَ تَاجِرًا قَالَ هٰذَا خَائِنٌ وَسَيِّءُ الْمُعَامَلَةِ ، فَسُبْحَانَ اللهِ كَيْفَ أَنْرَى ، وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ إِنَّ الْحَاسِدَ مُيَسَّرٌ لِلْعُسْرَى لَا يَعْرِفُ حَمْدًا وَلَا شُكْرًا ، وَمَا تَنْفَعُ فِيهِ الْمَوَاعِظُ عُذْرًا وَلَا نُذْرًا (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) .

بِضَاعَةُ الشَّيْطَانِ خَمْسَةُ أَصْنَافٍ يَبِيعُهَا مِنْ قَوْمٍ مَعْرُوفِينَ ، وَهِيَ الْحَسَدُ وَأَهْلُهُ الْعُلَمَاءُ ، وَأَهْلُ الْحِرْفَةِ الْوَاحِدَةِ ، مُسْلِمِينَ وَغَيْرُ مُسْلِمِينَ ، وَالْكِبْرُ وَأَهْلُهُ الْأَنْذَالُ وَالسُّفَهَاءُ وَمَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ مِنَ الْمُحْتَقَرِينَ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَالْجَوْرُ وَأَهْلُهُ الْمُلُوكُ وَالْعُظَمَاءُ وَالْأُمَرَاءُ وَأَعْوَانُهُمْ مِنَ الْفَسَقَةِ الظَّالِمِينَ ، وَالْكَيْدُ وَأَهْلُهُ النِّسَاءُ وَالضُّعَفَاءُ مِنَ الْوُشَاةِ وَالنَّمَامِينَ ؛ وَالْخِيَانَةُ وَأَهْلُهَا التُّجَّارُ وَالسَّمَاسِرَةُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ الْحَاسِدِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ ، وَأَهْلِ الْجَوْرِ وَالْكَيْدِ وَالْخَائِنِينَ ، وَبِئْسَتِ الْبِضَاعَةُ بِضَاعَةُ الشَّيْطَانِ ، وَيَا نَدَامَةَ الْمُشْتَرِينَ ، وَفِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ ، كَمَا يَقُولُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) .

مَا فَرَّقَ النَّاسَ شِيَعاً وَلَا صَيَّرَهُمْ أَحْزَاباً مُتَبَاغِضِينَ إِلَّا الْحَسَدُ وَالْحَاسِدُونَ ، وَمَا ظَهَرَ الْخِلَافُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى ذَهَبَ مَجْدُهُمْ

وَضَعُفَ جُنْدُهُمْ وَاسْتُبِيحَ حَدُّهُمْ إِلاَّ حِينَ ظَهَرَ فِيهِمُ الْحَسَدُ وَكَثُرَ الْمُتَنَافِسُونَ ، وَاسْتَخَفَّتِ الرَّعِيَّةُ بِمُلُوكِهَا وَأُمَرَائِهَا وَخَرَجُوا عَنِ الطَّاعَةِ وَرَأَوْا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا هٰذَا لَا يَكُونُ ، وَعَزَّ عَلَى وُلَاةِ الأُمُورِ وَالرُّؤَسَاءِ أَن يَتَمَتَّعَ الرَّعِيَّةُ وَالْمَرْءُوسُونَ بِمَا رَزَقَهُمُ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَقَالُوا لَهُمْ كَيْفَ تَعِيشُونَ وَمِنْ أَيْنَ تَأْكُلُونَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُمْ . وَكَذٰلِكَ قَالَ الأَوَّلُونَ ، وَخَافَ الْقُضَاةُ وَالْفُقَهَاءُ وَالْكُتَّابُ وَالْمُدَرِّسُونَ عَلَى وَظَائِفِهِمْ الَّتِي بِهَا يَعِزُّونَ وَعَلَيْهَا يَعْتَمِدُونَ ، فَدَبَّرَ كُلٌّ مِنْهُمُ الْكَيْدَ لِصَاحِبِهِ ، وَاتَّخَذُوا الدِّينَ هُزُواً وَلَعِباً ، وَجَعَلُوا الْعَامَّةَ بِضَاعَتَهُمُ الَّتِي بِهَا يَتَّجِرُونَ ، وَفِيهَا يَبْتَاعُونَ وَيَشْتَرُونَ ، وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِياً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) . (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) .

هَوِّنْ عَلَى نَفْسِكَ أَيُّهَا الْحَاسِدُ وَاسْأَلْ مِنَ اللهِ الْجَوَادِ الْكَرِيمِ ، أَنْ يُعْطِيَكَ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ وَجُودِهِ الْعَمِيمِ ، مِثْلَ مَا أَعْطَى أَخَاكَ مِنْ صِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ وَجَاهٍ عَرِيضٍ وَمُلْكٍ كَبِيرٍ وَعِلْمٍ كَثِيرٍ وَأَوْلَادٍ بَرَرَةٍ وَمَالٍ جَسِيمٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّ فَضْلَ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ، وَطِبْ نَفْساً وَقَرَّ عَيْناً بِقِسْمَةِ اللهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ ؛ إِنَّ مِنْ عِبَادِي لَفَقِيراً وَلَوْ أَغْنَيْتُهُ لَكَفَرَ ، وَإِنَّ

مِنْهُمْ لَغَنِياً وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لَكَفَرَ . فَسُبْحَانَهُ مِنْ مَلِكٍ عَظِيمٍ وَمُدَبِّرٍ حَكِيمٍ ، وَمَصِيرُ هٰذِهِ الدُّنْيَا إِلَى الزَّوَالِ فَعَلَامَ يَتَحَاسَدُ النَّاسُ فِيهَا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَتَاعَهَا قَلِيلٌ ، وَإِنَّمَا هِيَ كَالسَّبِيلِ إِلَى نَعِيمٍ مُقِيمٍ أَوْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، فَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا يَحْمِلْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ حِقْدًا وَلَا يُضْمِرُ لَهُ غِشًّا ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

قَالَ ﷺ « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ ، لَا أَقُولُ حَالِقَةَ الشَّعْرِ وَلٰكِنْ حَالِقَةَ الدِّينِ » .

وَقَالَ ﷺ « كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا ، وَكَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ الْقَدَرَ » وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ : الْأَشَرُ ، وَالْبَطَرُ ، وَالتَّكَاثُرُ ، وَالتَّشَاحُنُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ » وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْحَسَدُ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ الْعَسَلَ » وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ هٰذَا الْكِتَابَ فَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا فَتَصَدَّقَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ » . « ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) .

الخطبة السابعة والعشرون

فِي الْكِبْرِ وَالتَّوَاضُعِ

الْحَمْدُ لِلهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ، رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَالْعَالِمِ بِكُلِّ حَالٍ ، سُبْحَانَهُ جَعَلَ التَّكَبُّرَ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْذَالِ ، وَجَعَلَ جَزَاءَ الْمُتَكَبِّرِينَ الْهَوَانَ وَالْإِذْلَالَ ، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ السَّلَاسِلُ وَالْأَغْلَالُ ، يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَتَأْخُذُهُمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ ، يَوْمَ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى تَفَرَّدَ بِالْكِبْرِ وَالْعَظَمَةِ ، وَمَنْ نَازَعَهُ فِي شَيْءٍ مِنْهُمَا قَصَمَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِيمَا نَقَضَهُ وَأَبْرَمَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي اجْتَبَاهُ فَأَكْرَمَهُ ، وَأَمَرَهُ بِإِهَانَةِ الْمُتَكَبِّرِينَ وَمِنْ شَرِّهِمْ عَصَمَهُ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْبَدْرِ الطَّالِعِ ، وَالسَّيِّدِ الْمُطَاعِ الْمُتَوَاضِعِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ بِإِحْسَانٍ يُتَابِعُ ، وَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ ، وَسَامِعٍ وَطَائِعٍ ، وَعَلَيْنَا وَمَعَهُمْ وَفِيهِمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

عِبَادَ اللهِ : مَنْ تَكَبَّرَ أَذَلَّهُ اللهُ وَمَنْ تَوَاضَعَ رَفَعَهُ اللهُ ، وَالْمُتَكَبِّرُونَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُوَرِ الذَّرِ يَطَأُهُمُ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ لِحَقَارَتِهِمْ عَلَى اللهِ ، وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ ، وَأَهْلُ النَّارِ كُلُّ جَعْظَرِيٍّ جَوَاظٍ مُسْتَكْبِرٍ ، يَظُنُّ أَنَّهُ كَرِيمٌ عَلَى اللهِ ، يَشْمَخُ بِأَنْفِهِ إِذَا تَكَلَّمَ ، وَيُجَافِي مِرْفَقَيْهِ عَنْ جَنْبَيْهِ ، وَيُقَارِبُ الْخُطَى إِذَا مَشَى مُتَطَاوِلًا عَلَى إِخْوَانِهِ مُتَرَفِّعاً عَلَى أَقْرَانِهِ ، وَهُوَ أَحْقَرُ مِنْ ذُبَابٍ ، وَأَشْأَمُ مِنْ غُرَابٍ ، وَأَذَلُّ مِنَ التُّرَابِ أَخْزَاهُ اللهُ ، وَسَوْفَ يُصْلِيهِ نَارَ جَهَنَّمَ ، وَذٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ (ذٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ، ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوى الْمُتَكَبِّرِينَ) .

وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِهِ ، يَقُولُ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) وَمِنْ تَعَالِيمِ رَبِّنَا لِهٰذِهِ الْأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ تَعَالَى «وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) وَحَاشَا الْبَشِيرَ النَّذِيرَ أَنْ يَقُولَ أَوْ يَفْعَلَ مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ مَعَ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ ، وَمَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ عَلَى النَّاسِ وَيَنْظُرُ فِي عِطْفَيْهِ وَيَتَعَاظَمُ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ إِلَّا مُتَكَبِّرٌ ، شَأْنُهُ حَقِيرٌ ، وَقَدْرُهُ صَغِيرٌ ، وَلَيْسَ بِمَحْسُوبٍ فِي عِيرٍ وَلَا نَفِيرٍ ، وَمَا لَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ تَقْدِيرٍ وَلَا حِسَابٍ لَهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ ، فَارْفِقْ بِنَفْسِكَ

يَا مِسْكِينُ وَتَدَبَّرْ كَلَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) .

الْمُتَكَبِّرُ عَدُوُّ اللهِ وَعَدُوُّ نَفْسِهِ وَعَدُوُّ النَّاسِ ، يُقَصِّرُ فِي الْوَاجِبِ وَيَدَّعِي مَا لَيْسَ فِيهِ ، وَيَتَشَدَّقُ فِي الْكَلَامِ وَيَتَأَنَّقُ فِي اللِّبَاسِ ، وَإِنَّهُ لَثَقِيلٌ فِي حَرَكَتِهِ وَسُكُونِهِ ، بَغِيضٌ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، لَا يُحْسِنُ نَهْياً وَلَا طَلَباً وَلَا الْتِمَاساً ، لَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ وَلَا يَسْتَطِيعُهُ وَلَا يَرَى أَنَّ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ فَضْلًا وَلَوْ كَانَ فِي غَايَةِ الْإِفْلَاسِ ، وَقَدْ يَمْنَعُهُ الْكِبْرُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْتِمَاسِ الرِّزْقِ لِفَسَادِ دِمَاغِهِ وَقَلْبِهِ بِعَبَثِ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) .

كَيْفَ يَتَكَبَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَوَّلُهُ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ ، وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَحْمِلُ الْعَذِرَةَ ، كَيْفَ يَتَطَاوَلُ الْخَبِيثُ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الْفَضْلِ ، وَيَزْعَمُ أَنَّهُ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ دَعِيٌّ جَاهِلٌ مَجْهُولٌ نَكِرَةٌ ، تَرَاهُ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ فَتَظُنُّهُ أَسَدًا ، ثُمَّ تَخْبُرُهُ فَلَا تَجِدُهُ إِلَّا بَقَرَةً ، قَدِ امْتَلَأَ كِبْرًا وَإِعْجَاباً بِنَفْسِهِ ، وَسُمْعَةً وَرِيَاءً وَلُؤْماً وَشَرَهاً ، هُوَ مِثْلُ الدُّخَانِ يَمْلَأُ طَبَقَاتِ الْجَوِّ وَأَصْلُهُ مِنَ الْقِمَامَاتِ الْمُنْتَشِرَةِ ، وَالْأَوْسَاخِ الْمُبَعْثَرَةِ ، وَلَوْ كَانَ مُتَوَاضِعاً لَكَانَ مِثْلَ النَّجْمِ فِي عُلُوِّهِ وَهُوَ عَلَى صَفَحَاتِ الْمَاءِ لِمَنْ نَظَرَهُ ، وَإِنَّكَ أَيُّهَا الْمُتَكَبِّرُ لَبَغِيضٌ حَتَّى عَلَى

السَّفَرَةِ ، الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ، وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى الْخَيْرِ قُلْتَ كَمَا قَالَ إِبْلِيسُ حِينَ دُعِيَ إِلَى السُّجُودِ لآدَمَ فَأَبَى ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ؟ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ، قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَأَنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ أَرْبَعِينَ عَاماً فَقَدْ تَمَّ خَلْقُهُ وَاسْتَقَامَ أَمْرُهُ ، وَنَضِجَ عَقْلُهُ ، وَكَانَ صَوَابُهُ أَكْثَرَ مِنْ خَطَئِهِ ، وَصَدَّقَ قَوْلَهُ فِعْلُهُ ، وَصَارَ مُحْتَرَماً مُهَاباً ، يُوَقِّرُهُ جِيرَانُهُ وَأَهْلُهُ ، فَإِنْ كَانَ حَلِيماً مُتَوَاضِعاً ، بَشُوشاً عَفِيفاً طَاهِرًا ، جَلَّ قَدْرُهُ وَعَظُمَ فَضْلُهُ ، وَإِنْ كَانَ سَفِيهاً مُتَكَبِّرًا قَد اجْتَمَعَ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْعُيُوبِ شَمْلُهُ ، كَانَ ذٰلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ مُخْتَالٌ فَخُورٌ ، وَجَاهِلٌ مَغْرُورٌ ، وَمَنْ خَفِيَ عَلَيْكَ أَصْلُهُ دَلَّكَ عَلَيْهِ فِعْلُهُ ، وَمَا يَسْتُرُ نَقْصَهُ بِالْكِبْرِ إِلاَّ امْرُؤٌ ذَهَبَ عَنْهُ رُشْدُهُ وَأَوْدَى بِهِ إِلَى الْهَلَاكِ جَهْلُهُ ، وَذٰلِكَ الَّذِي لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَخْسَرُ الآخِرَةَ إِلاَّ مِثْلُهُ ، كَمَا يَقُولُ تَعَالَى (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

بَعْضُ النَّاسِ يَمْنَعُهُ الْكِبْرُ عَنِ الاعْتِرَافِ بِالْجَمِيلِ وَحُسْنِ الصَّنِيعِ ، وَبَعْضُهُمْ يَمْنَعُهُ الْكِبْرُ عَنْ دُخُولِ الْمَسَاجِدِ وَحُضُورِ الْجَمَاعَاتِ مَعَ الْجَمَّالِ وَالْحَمَّالِ وَالْوَضِيعِ ، وَيَرَى أَنَّهُ أَجَلُّ وَأَسْمَى مِنْ أَنْ يَقِفَ إِلَى جَانِبِ هٰذَا الْمِسْكِينِ الَّذِي هُوَ عِنْدَ اللهِ بِمَقَامٍ رَفِيعٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَكَبَّرُ

عَنْ مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ وَمُصَاحَبَةِ الْفُضَلَاءِ وَمُرَافَقَةِ السُّعَدَاءِ ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى أَدَبٍ وَلَا قَانُونٍ وَلَا تَشْرِيعٍ ، وَأَنَّى لَهُ أَنْ يَتَجَنَّبَ الشَّرَّ وَهُوَ فِيهِ أَوْ يَفْعَلَ الْخَيْرَ وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ ، لَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ، وَرَجَعَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْوَبَالِ وَالْخُسْرَانِ الْفَظِيعِ (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) .

أَلَا وَإِنَّ الْكِبْرَ قَدْ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَيْرِ وَمُتَابَعَةِ الْأَكَابِرِ ، وَقَدْ يَحْمِلُهُ عَلَى الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَارْتِكَابِ الْمَنَاكِرِ ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُتَكَبِّرُ أَنَا خَيْرٌ مِنْ فُلَانٍ الشَّاكِرِ الذَّاكِرِ ، أَوِ الْعَالِمِ النَّاثِرِ الشَّاعِرِ ، وَهُوَ لَا يُسَاوِي فِيهِ قُصَاصَةَ الشَّعْرِ وَلَا قُلَامَةَ الْأَظَافِرِ ، وَقَدْ يَرَى وَلِأُمِّهِ الْوَيْلُ أَنَّهُ هُوَ الْبَارِزُ الظَّاهِرُ وَصَاحِبُ الْمَجْدِ وَالْمَفَاخِرِ ، وَهُوَ الذَّلِيلُ الصَّاغِرُ ، وَالشِّرِّيرُ الْفَاجِرُ ، وَفِي أَمْثَالِهِ يَقُولُ الْعَلِيمُ الْقَادِرُ ، وَالْخَبِيرُ بِأَحْوَالِ خَلْقِهِ الْأَوَّلُ مِنْهُمْ وَالآخِرُ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) .

الْمُتَكَبِّرُ الْغَنِيُّ يَزْعَمُ أَنَّهُ الْمُوَكَّلُ بِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ ، وَأَنَّهُ الْكَرِيمُ الْمُتَفَضِّلُ الْبَرُّ الْجَوَادُ ، وَالْمُتَكَبِّرُ الْفَقِيرُ الْفَقِيرُ يَزْهُو بِنَفْسِهِ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَضْدَادِ ، وَالصَّانِعُ الْمُتَكَبِّرُ يَظُنُّ أَنَّهُ الَّذِي يُدَبِّرُ حَرَكَةَ الْأَفْلَاكِ وَيَرْفَعُ لِلسَّمَاءِ الْعِمَادَ ، وَيَتَوَهَّمُ أَنَّهُ الَّذِي مَدَّ الْفَضَاءَ

وَأَجْرَى الْهَوَاءَ ، وَبَسَطَ الْأَرْضَ وَثَبَّتَهَا بِالْأَوْتَادِ ، وَالْعَالِمُ الْفَخُورُ يَحْسِبُ أَنَّهُ دَاعِيَةُ الرَّشَادِ ، وَمُنْقِذُ الْبِلَادِ مِنْ هُوَّةِ الْفَسَادِ ، وَالشَّبَابُ الْمُتَعَاظِمُ يَخَالُونَ أَنْفُسَهُمْ هُمُ الْأَفْرَادُ ، الْمُشَارُ إِلَيْهِمْ بِالْمُهِمَّاتِ فِي الْأَغْوَارِ وَالْأَنْجَادِ ، وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ إِنَّ الْمُتَكَبِّرِينَ لَا يَصْلُحُونَ لِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الْمَعَاشِ ، وَالْمَعَادِ ، وَإِنَّهُمْ لَعَاجِزُونَ عَنْ كُلِّ إِسْعَادٍ وَإِصْلَاحٍ وَإِرْشَادٍ ، فَافْعَلِ اللَّهُمَّ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَأَهْلِ الْعِنَادِ ، مَا فَعَلْتَ بِقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ، فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

الخطبة الثامنة والعشرون

فِي الصَّبْرِ وَالشَّجَاعَةِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، وَجَعَلَ الصَّبْرَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْيَقِينِ ، وَحَثَّهُمْ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ الْمُبِينِ ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) وَقَوْلِهِ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالْهِدَايَةَ إِلَى أَقْوَمِ سَبِيلٍ ،

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَمَرَنَا بِالصَّبْرِ وَوَعَدَ عَلَيْهِ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَأْمُورُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ ، وَالْقَائِلُ ﷺ : الصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ - يُرِيدُ عِنْدَ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ - وَالْمُخَاطَبُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْحَامِدِ الشَّاكِرِ وَالْمُرْشِدِ الْحَكِيمِ الصَّابِرِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي الْمَفَاخِرِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ : فَضِيلَةُ الصَّبْرِ مِنْ أَعْظَمِ الْفَضَائِلِ ، وَمَنْزِلَةُ الصَّابِرِينَ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَشْرَفِ الْمَنَازِلِ ، وَأَسْعَدُ النَّاسِ مَنْ رُزِقَ لِسَاناً ذَاكِرًا وَقَلْباً شَاكِرًا وَجَسَدًا عَلَى الْبَلَاءِ صَابِرًا ، وَذَلِكَ هُوَ الْمُؤْمِنُ الْكَامِلُ ، وَمَنْ صَبَرَ ظَفِرَ وَنَالَ مَا لَمْ تَنَلْهُ الْأَوَائِلُ ، وَمَا يَثْبُتُ فِي الْحُرُوبِ وَيَصْبِرُ فِي الْخُطُوبِ وَيَقِفُ لِمُصَارَعَةِ الْحَوَادِثِ وَالْكَوَارِثِ إِلاَّ الشُّجْعَانُ الْبَوَاسِلُ ، وَبِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ تَهُونُ الشَّدَائِدُ ، وَيُسَلِّمُ الْمُعَانِدُ ، وَتَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ ، وَيُسْتَخَفُّ بِالشُّرُورِ ، وَيَظْهَرُ الْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) .

أَثْبَتُ النَّاسِ فِي الْبَلَاءِ وَأَجْمَلُهُمْ صَبْرًا ، أَفْضَلُهُمْ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً وَأَجَلُّهُمْ قَدْرا ، وأَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ، وَفِي ذَٰلِكَ أَبْلَغُ ذِكْرًا ، وَمَا يَبْتَلِي اللهُ عَبْدَهُ بِشَيءٍ إِلاَّ لِيُطَهِّرَهُ مِنَ الذُّنُوبِ أَوْ يُعْظِمَ لَه أَجْرًا ، وَمَا يُعْرَضُ الذَّهَبُ عَلَى النارِ إلاَّ لِيَكُونَ نَضاراً بَعْدَ أَنْ كَانَ تِبْرًا ، وَمَا وَقَعَ الصَّابِرُ فِي مَكْرُوهٍ إِلاَّ وَيَسَّرَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً ، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرجاً ، وسَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرا ، وَمَنْ ضَاقَ بِالْقَدَرِ ذَرْعاً وَسَخِطَ قَضَاءَ اللهِ فَاتَهُ الْأَجْرُ وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ خُسْرًا ، واللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ (الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) .

لَقَدْ صَبَرَ نُوحٌ عَلَى قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاّ خَمْسِينَ عَاماً وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ . وَصَبَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى أَبِيهِ وَقَوْمِهِ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ ، حَتَّى قَالَ وَقَدْ يَئِسَ مِنْهُمْ : إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى اللهِ . وَكَمْ لَقِيَ مُوسَى وَهَارُونُ وَهُمَا الْكَرِيمَانِ عَلَى اللهِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ وَهُمْ أَعْدَاءُ اللهِ ، وَابْتُلِيَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فِي ذَاتِ اللهِ ، فَقَوْمٌ يَقُولُونَ فِيهِ السُّوءَ وَيَتَّهِمُونَ أُمَّهُ بِالزِّنَا ، وَقَوْمٌ يَقُولُونَ إِنَّهُ ابْنُ اللهُ . أَمَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللهِ ، فَقَدْ نَالَ مِنْهُ قَوْمُهُ وَاسْتَبَاحُوا مِنْهُ مَا حَرَّمَ اللهُ حَتَّى قَالَ لَهُ رَبُّهُ تَعَالَى : وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوكَّلْ عَلَى اللهِ ، أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ . وَكَانَ الْعُلَمَاءُ الصَّالِحُونَ

يَصْبِرُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ قَوْمِهِمْ ، وَيَتَحَمَّلُونَ مِنْ سُفَهَائِهِمْ مَا يَقُولُونَ ، وَإِذَا نُسِبَ إِلَيْهِمْ مَا يَكْرَهُونَ ، قَالُوا كَمَا قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) .

إِذَا صَبَرَ الْعَالِمُ عَلَى الْقِيَامِ بِمُهِمَّتِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَقَدْ بَرِئَتْ ذِمَّتُهُ وَأُدِّيَتْ رِسَالَتُهُ وَإِنْ غَضِبَ الشَّيْطَانُ وَأَهْلُ الطُّغْيَانِ ، وَإِذَا صَبَرَ الْمُقَاتِلُ فِي الْمَيْدَانِ فَتَحَ الْحُصُونَ وَالْمَعَاقِلَ وَصَرَعَ الْأَقْرَانَ ، وَإِذَا وَإِذَا صَبَرَ الْفُقَرَاءُ عَلَى حَالِهِمْ رَزَقَهُمُ اللهُ الْأَجْرَ وَالْقَنَاعَةَ وَالتَّفَرُّغَ لِطَاعَتِهِ وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ ، وَإِذَا صَبَرَ الْمَرِيضُ وَفَعَلَ مَا يَلْزَمُ عُجِّلَ لَهُ الشِّفَاءُ وَفَازَ مِنَ اللهِ بِالرِّضْوَانِ وَنَعِيمِ الْجِنَانِ ، وَالْوَالِدُ إِذَا صَبَرَ عَلَى حُسْنِ تَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِ وَالْعِنَايَةِ بِهِمْ نَالَ مِنْهُمُ الْبِرَّ وَالْإِحْسَانَ ، وَإِذَا صَبَرَ الطَّبِيبُ عَلَى مُعَالَجَةِ الْمَرِيضِ وَعَامَلَهُ بِالرِّفْقِ وَالْحَنَانِ فَقَدْ خَدَمَ الْأَوْطَانَ وَأَدَّى مَا عَلَيْهِ لِبَنِي الْإِنْسَانِ (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ) .

فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ يُنْصَبُ الْمِيزَانُ ، وَيَجِدُ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا قَدَّمَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي دِيوَانٍ إِلَّا الصَّابِرِينَ عَلَى الْمَصَائِبِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَبْدَانِ فَيَتَجَلَّى لَهُمُ اللهُ بِالرَّحْمَةِ وَالْحَنَانِ ثُمَّ يَصُبُّ عَلَيْهِمُ الثَّوَابَ صَبّاً ، وَيَقُولُ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ وَلَكُمْ عَلَيَّ الْجَنَّةَ وَقَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ جَزَاءً بِمَا صَبَرْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الِامْتِحَانِ ، فَيَغْبِطُهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ ، وَيَقُولُونَ يَا لَيْتَهَا قُطِّعَتْ أَجْسَادُنَا بِالْمَقَارِيضِ ، لِمَا يَرَوْنَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَى الصَّابِرِينَ ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ

عَنْ سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنَانٍ : وَمَا يُلَقَّاهَا إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إلاَّ ذُو حَظٍ عَظِيمٍ يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ، اَلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : ينقَسِمُ الصَّبْرُ إلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : صَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ مِنْ صلَاةٍ وزَكَاةٍ وصِيَامٍ وَقِيَامٍ ، وَصَبْرٌ على الْمُصِيبَةِ فِي الأَهْلِ والأَجْسَامِ ، وَصبْرٌ عَنِ الْمَعْصِيةِ بِتَرْكِ مَا تَشْتَهِيهِ النَّفْس مِنْ سَائِرِ أنْواعِ الْحَرَامِ . وَأَفْضَلُ الصَّبْرِ مَا كَانَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى وَمَعَهُ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ لِمَنْ يقُولُ تَعَالَى (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ والإِكْرَامِ) وَمِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ أَنْ تَدفَعَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَتَعْفُوَ عَنْ من ظَلَمَكَ وَتُعْرِضَ عَنْ مَنْ شَتَمَكَ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى الانْتِقَامِ (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ولَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ، وَاصْبِرْ ومَا صَبْرُكَ إلاَّ بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) .

صَبْرُكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ يَوْمَ الْفِتْنَةِ وَثَبَاتُكَ عِنْدَ الْمِحْنَةِ أَمْرٌ يَهُونُ ، وَلَكِنْ صَبْرُكَ عِنْدَ فَسَادِ الزَّمَانِ وَإِعْرَاضِ النَّاسِ عَنِ الأَدْيَانِ أَصْعَبُ مَا يَكُونُ ، وَالْقَابِضُ عَلَى دِينِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ حِينَ يُوصَفُ الْكُفَّارُ وَالْعُصَاةُ بِالْعَقْلِ وَالدَّهَاءِ وَيُوصَفُ الْمُؤْمِنونَ الأَتْقِيَاءُ بِالْبَلَادَةِ وَالتَّغْفِيلِ وَالْجُنُونِ . وُقُوفُكَ يَوْمَئِذٍ عِنْدَ حُدُودِ اللهِ وَصَبْرُكَ

عَلَى أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ دَلِيلٌ أَنَّكَ مِنَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فَاصْبِرْ تُؤْجَرْ ، وَأَبْشِرْ بِمَعِيَّةِ اللهِ وَحُسْنِ رِعَايَتِهِ وَإِنْ خَالَفَكَ النَّاسُ أَجْمَعُونَ قَالَ اللهُ تَعَالَى (إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ» وَقَالَ ﷺ «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا غَمٍّ وَلَا أَذَىً حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» وَقَالَ أَيْضاً «مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ بِمَالِهِ أَوْ فِي نَفْسِهِ فَكَتَمَهَا وَلَمْ يَشْكُهَا لِلنَّاسِ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ» وَقَالَ ﷺ «مَنْ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ ، وَظُلِمَ فَغَفَرَ ، ثُمَّ سَكَتَ ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَهُ قَالَ : أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ» وَكَذَٰلِكَ يَقُولُ اللهُ فِي مَدْحِ الصَّابِرِينَ) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الصَّابِرِينَ ، الَّذِينَ هُمْ بِاللهِ مُعْتَصِمُونَ ، وَلِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ مُسْتَسْلِمُونَ وَمُسَلِّمُونَ (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) .

الخطبة التاسعة والعشرون

فِي حُسْنِ الْجِوَارِ وَحُقُوقِ الْجَارِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَنَهَانَا عَنِ الْعُقُوقِ ، وَجَعَلَ حَقَّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ آكَدِ الْحُقُوقِ ، وَجَعَلَ لِلْجَارِ حَقاً عَلَى جَارِهِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَبِهِ الْوُثُوقُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ الْخَالِقُ وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ مَخْلُوقٌ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّاطِقِ بِأَفْضَلِ مَنْطُوقٍ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى صَحْبِهِ الْمُؤَدِّينَ لِلْحُقُوقِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ سَابِقٍ وَمَسْبُوقٍ .

عِبَادَ اللهِ : حَقُّ الْجَارِ عَلَى جَارِهِ مُؤَكَّدٌ بِالْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ ، وَمَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِي مُحَمَّدًا ﷺ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ سَيُشْرِكُهُ فِي الْمَوَارِيثِ . وَلَا يُسِيءُ الْجِوَارَ وَيُؤْذِي الْجَارَ إِلَّا لَئِيمٌ وَخَبِيثٌ ، غَمَّازٌ هَمَّازٌ لَمَّازٌ مَنَّاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ ، بِكُلِّ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ يَعِيثُ ، سَيْرُهُ فِي الْخَيْرِ بَطِيءٌ وَسَيْرُهُ فِي الشَّرِّ حَثِيثٌ ، وَفِيهِ يَقُولُ ﷺ «وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ ، مَنْ هُوَ ؟ قَالَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ . قَالُوا : وَمَا بَوَائِقُهُ ؟ قَالَ شَرُّهُ » .

كَانَ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ يَحْمُونَ الذِّمَارَ ، وَيَتَفَاخَرُونَ بِحُسْنِ الْجِوَارِ . وَعَلَى قَدْرِ الْجَارِ يَكُونُ ثَمَنُ الدَّارِ . وَالْإِسْلَامُ يَأْمُرُ بِحُسْنِ الْمُجَاوَرَةِ ولَوْ مَعَ الْكُفَّارِ . وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ . وَتَبَاعَدَ عَنْهُ مَنْ يَعْرِفُهُ تَجَنُّباً لِضُرِّهِ . وَأَخْبَثُ الْجِيرانِ مَنْ يَتَتَبَّعُ الْعَثَرَاتِ . وَيَتَطَلَّعُ إِلَى الْعَوْرَاتِ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ . وَلَيْسَ بِمَأْمُونٍ عَلَى دِينٍ وَلَا نَفْسٍ وَلَا أَهْلٍ وَلَا مَالٍ . وَلَا يُمَيِّزُ مَنْ يُدَانِيهِ بَيْنَ عُرْفِهِ وَنُكْرِهِ . قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ . وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ . وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ . والْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» .

عَارٌ عَلَيْكَ أَيهَا الْمُسْلِمُ أَنْ تَبِيتَ تَاخِماً شَبْعَان . وَجَارُكَ طَاوٍ جُوعَانُ . وَعَارٌ عَلَيْكَ أَنْ تَلْبَسَ الْجَدِيدَ وَتَبْخَلَ بِمَا أَبْلَيْتَ مِنْ ثِيَابِكَ عَلَى عُرَاةِ الْجِيرَانِ . وَعَارٌ عَلَيْكَ أَنْ تَتَمَتَّعَ بِالطَّيِّبَاتِ مِنْ مَشْمُومٍ وَمَطْعُومٍ وَجِيرَانُكَ يَشْتَهُونَ الْعِظَامَ وَكِسَرَ الطَّعَامِ . وَأَنْتَ تَعْلَمُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ «أَلَا لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ» وَأَنَّهُ قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَهَّدْ جِيرَانَكَ».

كَيْفَ يَلِيقُ بِكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ أَنْ تُقِيمَ فِي بَيْتِكَ الْأَفْرَاحَ ، وَفِي

الْبَيْتِ الَّذِي بِإِزَائِكَ مَآتِمُ الْمَوْتِ وَالْأَتْرَاحِ . هَلْ تَجَرَّدْتَ مِنَ الْعَوَاطِفِ وَالشُّعُورِ . وَهَلْ نَسِيتَ أَوَامِرَ الدِّينِ وَعَادَاتِ آبَائِكَ الْأَكْرَمِينَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ . إِنَّ مِنْ حَقِّ جَارِكَ عَلَيْكَ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيتَهُ ، وَأَنْ تَعُودَهُ إِذَا مَرِضَ ، وَتُشَيِّعَهُ إِذَا مَاتَ ، وَتَكُونُ لِأَوْلَادِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَمَا كَانَ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ ، وَأَنْ تَقِفَ إِلَى جَانِبِهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ . وَفِي الْمَثَلِ السَّائِرِ «مَنْ فَاتَهُ نَفْعُ إِخْوَانِهِ ، فَلَا يَفُوتَنَّهُ نَفْعُ جِيرَانِهِ» وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ» .

حَرَامٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ أَنْ تَنْظُرَ فِي بَيْتِ جَارِكَ وَهُوَ غَافِلٌ أَوْ تَخُونَهُ فِي أَهْلِهِ ، وَمَنْ نَظَرَ فِي بَيْتِ جَارِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ مَلَأَ اللهُ عَيْنَهُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ . وَحَرَامٌ عَلَيْكَ أَنْ تَسْمَعَ مَا يَقُولُ فِي بَيْتِهِ فَتَكُونُ جَاسُوساً لَا يَأْمَنُكَ عَلَى قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَإِذَا عَجَزْتَ عَنْ بِرِّ جَارِكَ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَالِاعْتِرَافِ بِفَضْلِهِ ، فَكُفَّ أَذَاكَ عَنْهُ وَلَا تَضُرَّهُ وَدَعْهُ يَسْتَرِيحُ فِي مَنْزِلِهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِنِ اسْتَشَارَكَ فَأَشِرْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا كَانَ مَظْلُوماً فَانْصُرْهُ أَوْ ظَالِماً فَاقْبِضْ عَلَى يَدَيْهِ ، وَإِنْ أَحْسَنَ فَاشْكُرْهُ ، وَإِنْ أَسَاءَ فَاعْفُ عَنْهُ ، وَإِنِ ارْتَكَبَ الْفَسَادَ فَلَا تُقِرَّهُ عَلَيْهِ ، فَرُبَّ جَارٍ مُتَعَلِّقٍ بِجَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ يَا رَبِّ إِنَّ هٰذَا قَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونِي وَمَنَعَنِي مَعْرُوفَهُ ، وَرَآنِي عَلَى الشَّرِّ فَلَمْ يَنْهَنِي عَنْهُ «وَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ فُلَانَةَ تَذْكُرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصِيَامِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا ، قَالَ هِيَ فِي النَّارِ ، قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ تَذْكُرُ

مِنْ قِلَّةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَأَنَّها تَتَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقْطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا ، قَالَ هِيَ فِي الْجَنَّةِ » .

أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ : الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ . وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ : الْجَارُ السُّوءُ ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ . وَاللهُ تَعَالَى يُحِبُّ جَارًا صَبَرَ عَلَى أَذِيَّةِ جَارِهِ حَتَّى يَكْفِيهِ اللهُ إِيَّاهُ بِتَحَوُّلٍ أَوْ مَوْتٍ . وَمِنْ أَوَّلِ مَا يَقَعُ فِيهِ فَصْلُ الْقَضَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُصُومَةُ الْجِيرَانِ . وَمِنَ الْحَمَاقَةِ وَالْخَرَقِ وَضَعْفِ الرَّأْيِ تَرَافُعُ النَّاسِ إِلَى الْحُكَّامِ فِيمَا يَقَعُ عَادَةً بَيْنَ الْجِيرَانِ ، مِنْ خُصُومَاتِ النِّسَاءِ وَمُشَاجَرَاتِ الصِّبْيَانِ . وَمِمَّا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَهْيُهُ عَنْ إِطَالَةِ الْبُنْيَانِ ، إِذَا كَانَ فِي ذٰلِكَ شَيْءٌ مِنَ الْأَذَى كَسَدِّ الْهَوَاءِ وَالْإِشْرَافِ عَلَى مَنْ يُدَانِيكَ فِي الْمَكَانِ . وَلَقَدْ كَانَ يَقُولُ ﷺ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ ، فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ» وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِناً ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِماً ، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ » .

بَعْضُ النَّاسِ لَا يُبَالِي بِغَيْرِهِ إِذَا تَمَّتْ لَهُ رَاحَتُهُ ، وَلَا يَهُمُّهُ أَنْ يَكُونَ عِبَادُ اللهِ كُلُّهُمْ سَاخِطِينَ عَلَيْهِ وَأَنْ تُدَنَّسَ سَاحَتُهُ ، مَا دَامَ يَنَالُ قَصْدَهُ وَيَصِلُ إِلَى مُرَادِهِ وَيَتَمَتَّعُ بِشَهَوَاتِهِ ، وَتَحْسُنُ لَهُ حَالَتُهُ ، وَلَوْ كَانَ فِي ذٰلِكَ هَلَاكُ غَيْرِهِ وَتَرْكُ دِينِهِ وَخُرُوجُهُ عَنِ الشَّرَفِ وَالْمُرُوءَةِ ، وَلِذٰلِكَ

تَرَاهُ بَغِيضاً فِي إِخْوَانِهِ مَمْقُوتاً فِي جِيرَانِهِ ، وَخَفِيفاً فِي مِيزَانِهِ وَسَخِيفاً عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُهُ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ . وَمِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّ اللهَ قَسَّمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَّمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ ، وإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ ، فَمَنْ أَعْطَاهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْلَمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» .

جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ خِيَارِ خَلْقِهِ ، وَبَارَكَ لِي وَلَكُمْ فِي الطَّيِّبَاتِ مِنْ رِزْقِهِ ، وَأَجَارَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَذِيَّةِ الْجَارِ وَالتَّهَاوُنِ بِحَقِّهِ آمِينَ (الآيَةُ) «وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ، وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ، وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُوراً» .

الخطبة الثلاثون

فِي طَاعَةِ الْوَالِدَيْنِ وَبِرِّهِمَا

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا وَاخْتَارَنَا وَاجْتَبَانَا ، وَمِنْ خَلْقِهِ اصْطَفَانَا تَفَضُّلًا مِنْهُ وَامْتِنَاناً ، وَأَنْزَلَ قُرْآناً ، هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيَاناً ، وَحِكَماً

بَالِغَةً وَفُرْقَاناً . وَقَالَ تَعَالَى «وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً » .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَهُوَ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَوْجَبَ طَاعَةَ الْوَالِدَيْنِ وَحَرَّمَ عِصْيَانَهُمَا وَقَهْرَهُمَا . وَقَالَ تَعَالَى (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا) وَأَدَّبَنَا لَهُمَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا) . وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْعُظَمَاءِ وَأَشْرَفُ الْكُرَمَاءِ وَأَفْضَلُ مِنْ تَحْتَ السَّمَاءِ ، وَالْقَائِلُ ﷺ «الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ » .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُرْشِدِ الْعَامِّ ، إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ وَمِسْكِ الْخِتَامِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلَ صَلَاةٍ وَسَلَامٍ .

عِبَادَ اللهِ : بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُم أَبْنَاؤُكُمْ ، وَعِفُّوا عَنْ نِسَاءِ النَّاسِ تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ سَخَطَ اللهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ ، وَأَنَّ رِضَاءَهُ لَا يَكُونُ إِلاَّ إِذَا رَضِيَ عَنْكُمْ آبَاؤُكُمْ ، وَلَا شَيْءَ يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ وَيُبَارِكُ فِي الرِّزْقِ مِثْلُ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَعِنْدَ اللهِ آجَالُكُمْ وَأَسْمَاؤُكُمْ ، وَقَدْ أُمِرْتُمْ بِمَا أُمِرَتْ بِهِ أَنْبِيَاؤُكُمْ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ وَقَدْ أُمِرَ بِبِرِّ وَالِدَيْهِ ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي مُحْكَمِ الْآيَاتِ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ،

وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً ، وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيّاً) وَقَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِقَوْمِهِ (إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ (سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) وَقَالَ نُوحٌ (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)

ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : مُدْمِنُ الْخَمْرِ . وَالْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ . وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ الْخُبْثَ فِي أَهْلِهِ ، وَمَنْ عَقَّ وَالِدَهُ عَقَّهُ أَوْلَادُهُ ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ ، وَلَا تُجَازَى عَلَى الشَّرِّ إِلَّا بِمِثْلِهِ . وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ، وَيَا لَطُولِ عَنَائِهَا مِنْ وَضْعِهِ وَحَمْلِهِ . فَيَا مُؤْمِناً بِاللهِ وَمُصَدِّقاً بِثَوَابِهِ وَفَضْلِهِ ، وَعِقَابِهِ وَعَدْلِهِ ، هَلَّا امْتَثَلْتَ أَمْرَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَعَلَى لِسَانِ خَاتَمِ رُسُلِهِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ « إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ ، وَمَنْعاً وَهَاتِ »

كَيْفَ تُعَامِلُ أُمَّكَ بِالْعُقُوقِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ ، وَقَدْ حَمَلَتْكَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ حَمْلًا ثَقِيلًا ، وَحِينَ وِلَادَتِهَا تُقَاسِي بِوَضْعِكَ أَلَماً شَدِيدًا وَعَذَاباً وَبِيلًا . وَقَدْ أَرْضَعَتْكَ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ وَكَانَ صَبْرُهَا عَلَيْكَ صَبْرًا جَمِيلاً . فَكَانَتْ تَجُوعُ لِتَشْبَعَ أَنْتَ . وَتَسْهَرُ لِتَنَامَ أَنْتَ ، وَتَتْعَبُ لِتَسْتَرِيحَ أَنْتَ مَا اسْتَطَاعَتْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً ، فَطَعَامُكَ دَرُّهَا ، وَبَيْتُكَ حِجْرُهَا ، وَمَرْكَبُكَ ظَهْرُهَا ، وَمَا تَعُدُّ بُكَاءَكَ إِلَّا تَسْبِيحاً وَتَهْلِيلاً ، تَحِنُّ إِلَيْكَ

وَتَهْوَاكَ ، وَتُحِيطُكَ وَتَرْعَاكَ ، وَإِذَا مِتَّ أَوْ غِبْتَ عَنْهَا كَرِهَتْ كُلَّ شَيْءٍ سِوَاكَ ، وَقَدْ شَغَلَتْ بِكَ قَلْبَهَا ، وَجَعَلَتْ عَلَيْكَ رَبَّهَا حافِظاً وَوَكِيلاً ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَعُقَّهَا أَوْ تُضِيعَ حقَّهَا فتكونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فِي حَياتِك وَيوْمَ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَت وَكَانَ وَعْدُ رَبِّكَ مَفْعُولاً (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ، وإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً) وَهٰكَذَا جَاءَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الآيَاتِ .

أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُطِيعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ ويَعُقَّ أُمَّهُ ، وَيَبَرَّ صَدِيقَهُ وَيَجْفُوَ أَبَاهُ ، وَمِنْ شَقَاوَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُحْسِنَ إِلَى أَعْدَائِهِ وَيُسِيءَ إِلَى مَنْ يُحِبُّهُ وَيَهْوَاهُ ، وَلَا مِنَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ اللهِ كَمِنَّةِ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ الَّذِي كَانَ سَبَباً فِي وُجُودِهِ وَمَحْيَاهُ ، وَبِعَطْفِهِ وَحَنَانِهِ عَلَيْهِ رَبَّاهُ وَأَطْعَمَهُ وَأَسْقَاهُ . وَإِذَا تَرَعْرَعَ الطِّفْلُ وَشَبَّ تَمَنَّى لِوَالِدَيْهِ الْمَوْتَ وَهُمَا يَتَمَنَّيَانِ لَهُ الْحَيَاةَ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لعَنَ وَالِدَيْهِ ، أَوْ لَعَنَهُ وَالِدَاهُ ، وَقَبَّحَ اللهُ مَنْ لَا يَبَرُّ أُمَّهُ وَلَا يَعْرِفُ حَقَّهَا وَأَذَلَّهُ وَأَخْزَاهُ . وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ «كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللهُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّ اللهَ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ» .

كَثِيرٌ مِنَ الْأُمَّهَاتِ الْيَوْمَ تَرْضَى مِنَ الْبِرِّ بِكَفِّ الْأَذَى عَنْهَا وَبِطَيِّبِ الْكَلَامِ وَتَسْأَلُ رَبَّهَا كُلَّ خَيْرٍ لِأَوْلَادِهَا الَّذِينَ لَا يُرْضُونَهَا بِشَيْءٍ غَيْرِ السُّكُوتِ وَالِابْتِسَامِ ، وَرُبَّ صَابِرَةٍ عَلَى قِلَّةِ ذَاتِ يَدِهَا وَمَوْتِ زَوْجِهَا

وكَفَالَةِ الْأَيْتَامِ ، وَسَاعِيَةٍ فِي تَحْصِيلِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَلابِسِ وَالطَّعَامِ ، وَمِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ قَدْ رَضِيَتْ أَنْ تَعِيشَ خَادِمَةً فِي بُيُوتِ بَعْضِ اللِّئَامِ ، لِغَسْلِ الثِّيَابِ وَطَيِّ الْفِرَاشِ ، وَكَنْسِ الْكَنِيفِ وَالْحَمَّامِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْوَلَدُ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ، تَكَبَّرَ عَلَيْهَا وَأَعْرَضَ عَنْهَا ، وَأَنْفَقَ مَا لَدَيْهِ فِي الْحَانَاتِ وَبُيُوتِ الْمُومِسَاتِ .

أُمُّكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ تَسْعَى عَلَيْكَ وَتَعُولُكَ صَغِيرًا وَكَبِيرًا ، وَأَنْتَ تُهِينُهَا غَنِيّاً ، وَتُكَلِّفُهَا نَفْسَكَ وَأَوْلَادَكَ إِنْ كُنْتَ فَقِيرًا ، وَقَدْ تَجُودُ عَلَيْهَا بِشَيْءٍ قَلِيلٍ تَمُنُّ بِهِ عَلَيْهَا وَتَعُدُّهُ شَيْئاً كَثِيرًا ، وَرُبَّ عَجُوزٍ فَانِيَةٍ وَشَابَّةٍ غَانِيَةٍ قَدْ يَئِسَتْ مِنَ الْحَيَاةِ وَأَظْلَمَ الدَّهْرُ فِي عَيْنَيْهَا وَلَمْ يَتْرُكْ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيرًا ، فَلَا تَرَاهَا إِلَّا عَارِيَةً ، وَلَا تَسْمَعُهَا إِلَّا بَاكِيَةً ، تَكَادُ تَمُوتُ تَغَيُّظاً وَزَفِيرًا ، كَانَتْ تَأْمُلُ بِرَّ أَوْلَادِهَا وَتَنْتَظِرُ مِنْهُمْ جَزَاءاً وَشُكُوراً ، وَكَانَتْ تُعِدُّهُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْخُطُوبِ حِجَاباً مَسْتُوراً ، وَلٰكِنَّهُمْ تَرَكُوهَا وَشَأْنَهَا وَلَمْ يُبَالُوا بِحَقِّهَا وَشَغَلَتْهُمُ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ وَالزَّوْجَاتُ .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَوْ أَحَدَهُمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «الْكَبَائِرُ : الْإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ وَقَالَ ﷺ «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ، قَالُوا يا رَسُولَ اللهِ وَهَلْ يَشْتِمِ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ نَعَمْ ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ » وَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ لَهُ : أَحَيٌّ وَالِدَاكَ ؟ قَالَ نَعَمْ ،

قَالَ : فَفِيهِما فَجَاهِدْ » وَقَالَ آخَرُ «مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي يَا رَسُولَ الله ؟ فَقَالَ أُمُّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ أُمُّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ أُمُّكَ ، قَال ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ أَبُوكَ » فَاسْمَعُوا يَا عِبَادَ الله كَلاَمَ الله وَكَلاَمَ رَسُولِ الله ، وَتُوبُوا إِلَى الله جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، فَإِنَّهُ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحاً فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ . جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْخِيَارِ الْبَرَرَةِ ، وَجَنَّبَنِي وَإِيَّاكُمْ سَبِيلَ الْفَجَرَةِ ، وَتَغَمَّدَنَا جَمِيعاً بِوَاسِعِ الْمَغْفِرَةِ (الآيَةُ مِنْ سُورَةِ الإِسْرَاءِ) «وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً . رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورا » .

الخطبة الحادية والثلاثون

فِي مَدْحِ الصِّدْقِ وذَمِّ الْكَذِبِ

الْحَمْدُ للهِ الصَّادِقِ فِي قِيلِهِ ، والْهَادِي إِلَى سَبِيلِهِ ، ومَادِحِ الصَّادِقِينَ عَلَى لِسَانِ رسُولِهِ وواعِدِهِمْ بِالْخَيْرِ فِي مُحكَمِ تَنْزِيلِهِ ، وَالْعَالِمِ بِمُجْمَلِ الْقَوْلِ وَتَفْصِيلِهِ ، والْقَائِلِ ومَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ فِي قِيلِهِ (إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي من هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)

نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَبَّبَ الصِّدْقَ إِلَى النُّفُوسِ الْكَرِيمَةِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَرَّهَ الْكَذِبَ إِلَى الطِّبَاعِ الصَّحِيحَةِ وَالأَذْوَاقِ السَّلِيمَةِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَاحِبُ الْمَقَامِ الرَّفِيعِ وَالْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ ، وَالصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ فِي حَدِيثِهِ وَالْمَقْبُولَةُ تَعَالِيمُهُ .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الآمِرِ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَكَرِيمَةٍ ، وَالنَّاهِي عَنْ كُلِّ خَلِيقَةٍ ذَمِيمَةٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لِطَرِيقَتِهِ الْمُسْتَقِيمَةِ (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ) .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاتَّصِفُوا بِصِفَاتِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الصِّدْقَ مِنْ صِفَاتِهِ الْعَلِيَّةِ الْقَائِمَةِ بِذَاتِهِ ، وَأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْمُرْسَلِينَ ، وَاللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ، وَمَا بَعَثَ فِي أُمَّةٍ مِن نَذِيرٍ إِلاَّ وكَانَ أَصْدَقَهُمْ فِي حَدِيثِهِ وَسَائِرِ تَصَرُّفَاتِهِ ، وكَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي قَوْمِهِ مَعْرُوفاً بِالصَّادِقِ الأَمِينِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وآيَاتِهِ ، وَعِبَرِهِ وعِظَاتِهِ ، فَلَما جَاءَهمْ بِالْحَقِّ اسْتَحَبوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى وَاتَّبَعُوا الشَّيْطَانَ وَخُطُوَاتِهِ (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) .

صِدْقُ الْحَدِيثِ ، وَحِفْظُ الأَمَانَةِ ، وَعِفَّةُ النَّفْسِ ، وَالْقَنَاعَةُ بِالْمقسُومِ مِن صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْكَذِبُ والْخِيَانَةُ والْحِرْصُ والطَّمَعُ

الْخَبِيثُ مِنْ عَلَامَاتِ الْمُنَافِقِينَ (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) وَهُوَ مِنْ أَتْبَاعِ الشَّيَاطِينِ ، قَدِ اشْتَرى الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ، وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ، وَالْعَاجِلَ بِالْآجِلِ ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ فَكَانَ مِنَ الْمَارِقِينَ ، وَبِظُلْمِهِ وَافْتِرَائِهِ الْكَذِب قَدْ خَرجَ مِنَ الْمُخَاطَبِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مع الصَّادِقِينَ) . وَالْفَاجِرُ الْخَبِيثُ الْكَاذِبُ فِي قَوْلِهِ وفِعْلِهِ مَحْسُوبٌ مِنَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ، وَبَعِيدٌ عَنِ الاتِّصَافِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُون مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) .

أَلَيْسَ مِنَ الْعَارِ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ ، أَنْ يَصْدُقَ غَيْرُكُمْ وَأَنْتُمْ تَكْذِبُونَ ، أَوَ لَيْسَ مِنَ الْفَضِيحَةِ أَنْ يَتَخَلَّقَ غَيْرُكُمْ بِالْفَضَائِلِ وَأَنْتُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ، وَكَيْفَ تَرْضَى أَيُّهَا الْمُسْلِمُ نِسْبَةَ الشَّرِّ إِلَى دِينِكَ وَأَنْ يَخُوضَ فِيهِ بِالْبَاطِلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ، وَمَنِ الَّذِي أَبَاحَ لَكَ أَنْ يَأْمَنَكَ الْكَافِرُ أَوْ يُصَدِّقَكَ الْفَاجِرُ ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَ ذٰلِكَ تَكْذِبُ وَتَخُونُ ، وَهَلْ غَيَّرَ الدِّينَ إِلاَّ بَنُوهُ ، وَهَلْ شَوَّهَ سُمْعَةَ الْإِسْلَامِ إِلاَّ الْمُسْلِمُونَ ، إِذَا نَظَرَ الْأَعْدَاءُ إِلَى دِينِنَا رَأَوْهُ دِيناً حَسَناً ، وَإِذَا نَظَرُوا إِلَيْنَا رَأَوْا أَنَّنَا عَنْهُ مَائِلُونَ ، وَبِضِدِّ تَعَالِيمِهِ مُتَخَلِّقُونَ ، وَقَدْ شَغَلَتْنَا عَنْهُ دُنْيَانَا ، وَصَرَفَنَا عَنْهُ الْمَالُ وَالنِّسَاءُ وَالْبَنُونَ (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةَ

وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ، ذٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا واللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) .

لَقَدْ كَذَبَ الشَّيْطَانُ حِينَ قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ تَعَالَى : اخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَأَنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . وَكَذَبَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِي قَوْلِهِمْ : نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، فَأَخْزَاهُمُ اللهُ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) وَصَدَقَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وَجَاءَ قَوْمٌ يُجَادِلُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَقَالَ اللهُ فِيهِمْ (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) .

وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ «تَحَرَّوا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ الْهَلَكَةَ فِيهِ ، فَإِنَّ فِيهِ النَّجَاةَ » فَهَنِيئاً لَكُمْ أَيُّهَا الصَّادِقُونَ وَأَهْلَ الْيَقِينِ (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) إِذَا صَدَقَ الْعَالِمُ فِي تَعْلِيمِهِ وَأَخْلَصَ فِي وَعْظِهِ وَإِرْشَادِهِ وَأَرَادَ بِذٰلِكَ وَجْهَ اللهِ ، ظَهَرَ أَثَرُهُ وَعَمَّ نَفْعُهُ وَاسْتُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ ، ثُمَّ التَّوْفِيقُ وَالْهِدَايَةُ بِيَدِ اللهِ ، وَإِذَا صَدَقَ الْحَاكِمُ وَالْمُدَّعِي وَالشَّاهِدُ سَادَ الْأَمْنُ وَصَلَحَتِ الْبِلَادُ وَقُطِعَ دَابِرُ الْفَسَادِ ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ » وَإِذَا صَدَقَ الصَّانِعُ فِي

صَنْعَتِهِ وَالتَّاجِرُ فِي مُعَامَلَتِهِ كَانَ تَقِيّاً ثِقَةً شَرِيفاً مَأْمُوناً عِنْدَ الْخَلْقِ وَعِنْدَ اللهِ ، وَالْبَيِّعانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا . وَهَكَذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ . «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» .

لَوْ كُنْتَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ صَادِقاً فِي عِبَادَتِكَ لَظَهَرَ أَثَرُهَا عَلَيْكَ فِي مُحَارَبَةِ الْعُصَاةِ وَالْفُسَّاقِ وَلَوْ كُنْتَ صَادِقاً فِي أَمْرِكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِكَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَكُنْتَ مِثَالاً صَالِحاً وَقُدْوَةً حَسَنَةً لِلنَّاسِ فِي مَعَالِي الْأُمُورِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَلَوْ كُنْتَ صَادِقاً فِي مَعَامَلَتِكَ لَكُنْتَ أَمِيناً مُعْتَبَرًا وَلَكَانَتْ سُمْعَتُكَ حَسَنَةً وَشُهْرَتُكَ طَيِّبَةً فِي الْبُنُوكِ وَالْأَسْوَاقِ ، وَلَوْ كُنْتَ صَادِقاً فِي بَيْعِكَ وَشِرَائِكَ وَأَخْذِكَ وَعَطَائِكَ وَفِي جَمِيعِ مُعَامَلَتِكَ لَكُنْتَ كَرِيمَ الطَّلْعَةِ مَيْمُونَ الصَّفْقَةِ مُبَارَكَ الْأَرْزَاقِ ،فَأَيْنَ الصِّدْقُ وَالصَّادِقُونَ ، وَأَيْنَ الْأَمَانَةُ وَالْأُمَنَاءُ ، يَا أَهْلَ الْخِيَانَةِ وَافْتِرَاءِ الْكَذِبِ والِاخْتِلَاقِ (قُلْ يَاعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

إِذَا ذَهَبَ الصِّدْقُ مِنَ النَّاسِ اشْتَبَهَ الْمُسْلِمُ بِالْكَافِرِ وَالْبَرُّ بِالْفَاجِرِ ، وَظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ مِنَ الْمُوبِقَاتِ وَالْكَبَائِرِ ، فَالْمَرْأَةُ تَخُونُ زَوْجَهَا وَتُدَنِّسُ عِرْضَهُ وَتَفْعَلُ فِي بَيْتِهِ الْمَنَاكِرَ ، وَالْوَلَدُ يَعْبَثُ بِمَالِ أَبِيهِ وَيَصْرِفُهُ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالْخَمْرِ

وَالْمَيْسِرِ ، وَيَا شَقَاوَةَ الْخَمَّارِ وَالْمُقَامِرِ ، وَإِذَا فَشَا الْكَذِبُ وَتَخَلَّقَ بِهِ الْأَكَابِرُ وَالْأَصَاغِرُ ، تُوُدِّعَ مِنْهُمْ وَلَمْ يُبَالِ اللهُ بِعَالِمٍ مِنْهُمْ وَلَا جَاهِلٍ ، وَلَا مَأْمُورٍ وَلَا آمِرٍ وَلَا غَنِيٍّ وَلَا فَقِيرٍ ، وَلَا صَانِعٍ وَلَا تَاجِرٍ (أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ، جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ) .

أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» وَثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ غَدًا : شَيْخٌ زَانٍ ، وَرَجُلٌ اتَّخَذَ الْأَيْمَانَ بِضَاعَةً يَحْلِفُ فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ ، وَفَقِيرٌ مُخْتَالٌ يَزْهُو» كَذٰلِكَ قَالَهُ سَيِّدُ الْبَشَرِ . فَعَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً أَبَرَّ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ،وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً ، وَذٰلِكَ فِي صَحِيحِ الْخَبَرِ ، وَكَمَا يَكُونُ الْعَبْدُ عِنْدَ اللهِ صَادِقاً أَوْ كَاذِباً فَكَذٰلِكَ يَكُونُ عِنْدَ أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ ، وَإِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرْ (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) .

جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ، وَجَنَّبَنَا وَإِيَّاكُمْ مَوَارِدَ الظَّالِمِينَ ،

وَأَجَارَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ وَحِنْثِ الْيَمِينِ (الْآيَةُ) قَالَ اللهُ تَعَالَى (هٰذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

الخطبة الثانية والثلاثون

فِي مَدْحِ الْأَمَانَةِ وَذَمِّ الْخِيَانَةِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الْأَمَانَةَ حِمْلاً ثَقِيلاً ، لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا الْإِنْسَانُ لِأَنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ، وَمَدَحَ الْقَائِمِينَ بِأَمَانَاتِهِمْ وَالْمُوفِينَ بِعَهْدِ اللهِ ، فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ ثَنَاءً جَمِيلاً ، وَذَمَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَآيَاتِهِ ثَمَناً قَلِيلاً (وَهُوَ اللهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَبِرَّهُ وَإِحْسَانَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَمَرَنَا بِحِفْظِ الْأَمَانَةِ وَنَهَانَا عَنِ الْخِيَانَةِ .

وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِخَيْرِ شَرِيعَةٍ وَأَفْضَلِ دِيَانَةٍ ، وَالْقَائِلُ ﷺ : اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ . وَحَاشَا رَسُول

الله ﷺ أَنْ يَظْلِمَ أَوْ يَخُونَ .

اللهُم فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمدٍ الْمُنْجِزِ وَعْدَهُ ، وَالْمُوفي بِعَهْدِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَلَى التابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إن أَولَ مَا يُرْفَعُ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ الْأَمَانَةُ ، وَآخِرُ مَا يَبْقَى فِيهِمُ الصَّلَاةُ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَإِنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتى الزَّكَاةَ ، فَالْخَائِنُ مَبْغُوضٌ عِنْدَ اللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، مُتَهَاوِنٌ بِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، قَبِيحُ الْمُعَاشَرَةِ ، سَيِّءُ الْمُعَامَلَةِ ، مَنْزُوعُ الْبَرَكَةِ فِي بَيْعِهِ وَشِرَاهُ ، حَلَّافٌ مَهِينٌ ، مُسْتَخِفٌ بِالْيَمِينِ ، يَقُولُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَا وَاللهِ وَبَلَى وَاللهِ (اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، حِفْظُ أَمَانَةٍ ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ » فَاعْتَبِرُوا يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ . وَآيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ « إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ » وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ ، فَيُقَالُ هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ ، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا ، وَمَنْ شَهَرَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَإِنْ أَكْثَرَ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ (يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) .

المُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ لَا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ ، وَالْمُسْلِمُ الصَّادِقُ فِي إِسْلَامِهِ لَيْسَ بِغَشَّاشٍ وَلَا خَدَّاعٍ ، وَلَيْسَ بِخِبٍ وَلَا بَخِيلٍ ، وَالتَّاجِرُ الأَمِينُ يُبَارَكُ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُصَدِّقُهُ السِّمْسَارُ وَالْعَمِيلُ ، وَالْخَائِنُ لَا يَمُوتُ إِلاَّ فَقِيرًا ذَلِيلًا مَدْيُوناً وَلَوْ كَانَ ذَا جَاه عَرِيضٍ وَمَالٍ جَزِيلٍ (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) .

أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ ، وَاتَّقِ اللهَ وَأَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى أَهْلِهَا وَلَا تُعَامِلْ بِالْخِيَانَةِ أَصْحَابَكَ وَإِخْوَانَكَ ، وَلَا يَحْمِلَنَّكَ حُبُّ دُنْيَاكَ عَلَى مُخَالَفَةِ الْقُرْآنِ وَأَنْ تَغُشَّ مُوَاطِنِيكَ وَجِيرَانَكَ ، وَرَاقِبِ اللهَ فِي عَدِّكَ وَذَرْعِكَ وَتَفَقَّدْ مِكْيَالَكَ وَمِيزَانَكَ ، وَعَامِلِ النَّاسَ بِمِثْلِ مَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ بِهِ ، وَكُفَّ عَنِ النَّاسِ ظُلْمَكَ وَعُدْوَانَكَ ، فالسارِقُ وَالْغَاصِبُ أَشْرَفُ مِنْكَ يَا بَائِعاً بِالْخِيَانَةِ شَرَفَكَ وَإِيمَانَكَ ، أَوَ مَا قَرَأْتَ قَوْلَ رَبِّكَ فِي عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) .

ثَلَاثٌ مُتَعَلِّقَاتٌ بِالْعَرْشِ «الرَّحِمُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي بِكَ فَلَا أُقْطَعُ ، وَالأَمَانَةُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي بِكَ فَلَا أُخَانُ ، وَالنِّعْمَةُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي بِكَ فَلَا أُكْفَرَ » وَإِذَا كَانَتِ الأَمَانَةُ تَسْتَعِيذُ بِرَبِّهَا مِنْ خِيَانَتِهَا فَكَيْفَ تُضَيِّعُهَا يَا خَائِفاً مِنْ عَذَابِ رَبِّهِ الأَكْبَرِ ، وَكُلُّ ذِي أَمَانَةٍ مَسْئُولٌ عَنْ أَمَانَتِهِ مُحَاسَبٌ عَلَيْهَا يَوْمَ يَقُولُ (أَيْنَ الْمَفَرُّ ، كَلاَّ لَا وَزَرَ ، إِلَى

رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) .

فَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا أَمِينَةٌ ، وَالْوَلَدُ فِي مَالِ أَبِيهِ أَمِينٌ ، وَكَذَلِكَ الأَجِيرُ أَمِينٌ مَسْئُولٌ بَيْنَ يَدَي اللهِ لِمَنِ اسْتَأْجَرَ ، وَالْحَاكِمُ عِنْدَ الْقَضَاءِ أَمِينٌ فِيمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ، وَالْعَالِمُ وَالْجُنْدِيُّ وَالْكَاتِبُ وَالْحَارِسُ أَهْلُ أَمَانَاتٍ يُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْمَحْشَرِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

هَلْ تَعْرِفُ أَيُّهَا الْحَاكِمُ مُرَادَ اللهِ مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً) وَهَلْ عَرَفْتَ أَيُّهَا الْمُحَامِي قَوْلَهُ تَعَالَى (وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً) وَهَلْ فَهِمْتَ يَا شَاهِدَ الزُّورِ وَآكِلَ الرِّشْوَةِ وَخَائِنَ الأُمَّةِ وَالْحُكُومَةِ قَوْلَهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً) وَهَلَّا امْتَثَلْتَ أَيُّهَا الْوَدِيعُ الَّذِي وَثِقَ بِهِ النَّاسُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَلَمْ يَزَلْ قَائِلاً عَلِيماً وَآمِرًا حَكِيماً (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيرًا) وَقَوْلَهُ تَعَالَى «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً) (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ

تـأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذٰلِك بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) .

يَا عُلَمَاءَ الدِّينِ : أَنْتُمْ أُمَنَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ عَلَى شَرِيعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَيَا أَيُّهَا الْمُعَلِّمُونَ أَنْتُمْ أُمَنَاءُ اللهِ وَأُمَّتِكُمْ عَلَى الْبَنَاتِ وَالْبَنِينَ ، وَيَا أَيُّهَا الْعُمَّالُ وَالصُّنَّاعُ أَنْتُمُ الأُمَنَاءُ لِلرَّأْسَمَالِيِّينَ ، وَيَا ذَوِي الأَمْوَالِ أَنْتُمُ الأُمَنَاءُ عَلَى مُلْكِ الْيَمِينِ ، وَوُكَلاءُ اللهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَيَا ذَوِي الطِّبِّ أَنْتُمُ الأُمَنَاءُ عَلَى الْمَرْضَى وَالْمُصَابِينَ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ يَوْمَ الدِّينِ (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) .

جَمِيعُ مَا أَمَرَكَ اللهُ بِهِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ أَوْ نَهَاكَ عَنْهُ مِنَ التَّكَالِيفِ فَأَنْتَ عَلَيْهِ مَأْمُونٌ ، وَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْوُضُوءُ وَالْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ أَمَانَاتٌ يَا مُسْلِمُونَ ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي سِرِّكُمْ وَجَهْرِكُمْ إِنَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ، وَمَا أَشَدَّ غَضَبَ اللهِ عَلَى الَّذِينَ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَأْمُرُونَ وَلَا يَأْتَمِرُونَ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَا يَنْتَهُونَ ، وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْهُمْ أَنْ أَكُونَ ، فَإِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) .
لْحَدِيثُ عَنْ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ

أَقْوَامٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ ، وَيَنْذُورُنَ وَلَا يُوفُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْقَائِمِينَ بِأَمْرِهِ وَالْمُمْتَثِلِينَ لِنَهْيِهِ وَأَمْرِهِ ، وَأَجَارَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ وَشَرِّهِ ، آمِينَ . (الآيَةُ) «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ، لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيماً» .

الخطبة الثالثة والثلاثون

فَضْلُ الْعِلْمِ وَالْحَثُّ عَلَى تَحْصِيلِهِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، وَأَحْكَمَ كُلَّ شَيْءٍ وَحَكَمَ فِيهِ وَتَبَارَكَ اللهُ أَحْكَاماً وَحُكْماً ، سُبْحَانَهُ شَرَّعَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ، وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً ، شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ وَإِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (وَتِلْكَ

الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ) نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَفَضْلُهُ كَبِيرٌ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَإِحْسَانُهُ كَثِيرٌ ، وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ مِنَ التَّقْصِيرِ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ ، قَالَ تَعَالَى «يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُون خَبِيرٌ» . وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ ، وَالْمُوحَى إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى «وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ» : وَقَوْلِهِ تَعَالَى «وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْأَمِينِ ، وَسَيِّدِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ، بَعَثَهُ اللهُ فِي الْأُمِّيِّينَ ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، وَقَالَ لَهُمْ «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ «وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» .

عِبَادَ اللهِ : طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ كَتَبَهَا اللهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ . وَأَمَرَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْعَمَلِ ، فَقَالَ تَعَالَى «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» وَمَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ فَلَا دِينَ

لَهُ وَلَا عَقْلَ لَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْحَيَوَانَاتِ ، وَهُوَ غَيْرُ مَعْدُودٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا عَاشَ ، وَغَيْرُ مَفْقُودٍ فِيهِمْ إِذَا مَاتَ ، وَاللهُ يَرْفَعُ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ، وَيَضَعُ الْجَهْلَ وَأَهْلَهُ وَلَا يُبَالِي بِهِمْ فِي أَيِ وَادٍ هَلَكُوا ، كَمَا تَدُلُّ عَلَى ذٰلِكَ الْأَحَادِيثُ وَالآيَاتُ ، وَإِنْ أَعْجَبَتْكَ مِنَ الْجَاهِلِ صُورَتُهُ وَثِيَابُهُ فَإِنَّهُ عِنْدَ اللهِ بِأَسْوَإِ الْحَالَاتِ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّوَرِ وَالْأَجْسَامِ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى الْأَعْمَالِ وَالْقُلُوبِ وَالنِّيَّاتِ ، وَكُلُّ عَمَلٍ وَنِيَّةٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَهُوَ رَدٌّ عَلَى صَاحِبِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ «أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » .

الْعَالِمُ لَا يَدِينُ اللهَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَعْبُدُهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ ، وَالْعَالِمُ لَا يَأْخُذُ إِلَّا بِالدَّلِيلِ وَلَا يَسِيرُ إِلَّا عَلَى أَوْضَحِ سَبِيلٍ ، وَلِذٰلِكَ يَقْبَلُ مِنْهُ الْقَلِيلَ ، وَيُضَاعِفُ لَهُ أَجْرَ مَا تَرَكَ وَمَا صَنَعَ ، وَالْجَاهِلُ يَدِينُ اللهَ بِالْبَاطِلِ ، وَيَعْبُدُهُ بِالْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ ، يُجِيبُ كُلَّ نَاعِقٍ ، وَيَتَّبِعُ كُلَّ مَارِقٍ ، وَإِذَا دَعَاهُ الشَّيْطَانُ إِلَى شَيْءٍ اسْتَمَعَ وَاتَّبَعَ ، وَالْجَاهِلُ يَعْمَلُ كَثِيرًا ، وَلَا يَسْتَفِيدُ إِلَّا قَلِيلاً ، وَيَضَعُ الْأُمُورَ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا ، وَيَضُرُّ نَفْسَهُ وَقَلِيلاً مَا يَنْفَعُ ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ الْعَابِدِ عَلَى الْجَاهِلِ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِذَا طَلَعَ ، وَتَمَّ نُورُهُ وَسَطَعَ ، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي

جحرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ » فَهَنِيئاً لَكَ أَيُّهَا الْعَالِمُ مَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ مِنَ الْخَيْرِ إذا كُنت ذَا عَمَلٍ صَالِحٍ وَزُهْدٍ وَوَرَعٍ «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِروا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » .

لَقَدْ وَصَفَ اللهُ نَفْسَهُ بِالْعِلْمِ فَقَالَ تَعَالَى «وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ » وَقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ «سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ » وَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً » وَكَذٰلِكَ قِيلَ لِكُلِّ مَلَكٍ كَرِيمٍ وَرَسُولٍ عَظِيمٍ . وَالْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ بِحُسْنِ الاسْتِقَامَةِ وَحِكْمَةِ التَّعْلِيمِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، كَمَا صَحَّ ذٰلِكَ عَنِ الْمُرْشِدِ الْحَكِيمِ ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَقَالَ ﷺ «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلاَّ أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ كَانَ لَهُ أَجْرُ حَاجٍ تَامٌّ حَجُّهُ » «وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » وَمَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ، وَمَنِ ازْدَادَ عِلْماً وَلَمْ يَزْدَدْ هُدًى لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلاَّ بُعْدًا ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ

ذي لِسَانٍ عَلِيمٍ وَقَلْبٍ أَثِيمٍ «أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» .

كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَيُنْفِقُونَ عَلَى جَمْعِهِ وَنَشْرِهِ الْمَالَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَشْتَرِي الْكِتَابَ أَوْ يَسْتَنْسِخُهُ بِمِئَاتِ الدَّرَاهِمِ أَوِ الدَّنَانِيرِ ، وَكَانَتِ الْمَسَاجِدُ وَالْمَدَارِسُ وَالْأَرْبِطَةُ تَغُصُّ بِالْعُلَمَاءِ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ، وَمُبْتَدِىءٍ وَنِحْرِيرٍ ، وَكَانَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ غَايَةُ الاحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ ، لَا يَأْخُذُونَ إِلَّا بِرَأْيِهِمْ ، وَلَا يَبُتُّونَ فِي الْأَمْرِ إِلَّا بَعْدَ مُشَاوَرَتِهِمْ ، فَنِعْمَ الْمُسْتَشَارُ وَنِعْمَ الْمُسْتَشِيرُ ، وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ خَلِيفَةٍ أَوْ وَزِيرٍ ، أَوْ قَائِدٍ أَوْ أَمِيرٍ ، فَعَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنَ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَسَلَامَةِ التَّفْكِيرِ ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يُدِيرُ الْأُمُورَ وَيَتَّقِي الْمَحْذُورَ بِسَدِّ الثُّغُورِ وَالْإِيقَاعِ بِكُلِّ فَاجِرٍ وَشِرِّيرٍ ، فَشَأْنُ الْجَاهِلِ حَقِيرٌ ، وَنَظَرُهُ قَصِيرٌ ، وَهُوَ سَيِّءُ التَّدْبِيرِ ، وَإِنْ كَانَ ثَوْبُهُ وَالسَّرِيرُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ ، وَمَا ظَهَرَ الْجَهْلُ فِي أُمَّةٍ شَأْنُهَا خَطِيرٌ وَأَمْرُهَا كَبِيرٌ ، إِلَّا تَهَدَّمَ بُنْيَانُهَا ، وَتَزَعْزَعَتْ أَرْكَانُهَا ، وَحَلَّ بِهَا الْخَرَابُ وَالتَّدْمِيرُ ، وَكَفَى بِمَا نُشَاهِدُهُ دَلِيلاً عَلَى صِدْقِ مَا نَقُولُ وَالنَّاقِدُ بَصِيرٌ (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ) .

لَيْسَ الْعِلْمُ كُلُّهُ أَنْ تَعْرِفَ الطَّهَارَةَ وَالصَّلَاةَ وَالْحَجَّ وَالزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ ، وَلَكِنَّهُ ذَلِكَ وَمَعْرِفَةُ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ

وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَلَيْسَ غَرَضُنَا مِنَ التَّعْلِيمِ أَنْ يَتَخَرَّجَ مِنْ مَدَارِسِنَا وَمَسَاجِدِنَا مُعَلِّمُ الصِّبْيَانِ وَالْمُؤَذِّنُ وَالإِمَامُ ، وَلَكِنَّهُ ذَلِكَ وَأَنْ يَكُونَ فِي عُلَمَائِنَا الصَّانِعُ وَالطَّبِيبُ ، وَالتَّاجِرُ وَالْجُنْدِيُّ ، وَالْقَاضِي وَالْخَطِيبُ وَالشَّاعِرُ الْمُجِيدُ ، وَالنَّاثِرُ الأَدِيبُ ، وَالصَّالِحُ لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، وَالْعُضْوُ الْعَامِلُ فِي جِسْمِ أُمَّتِهِ الَّتِي تَعْتَزُّ بِكِتَابِهَا الْقُرْآنِ وَتَفْتَخِرُ بِدِينِهَا الإِسْلَامِ ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنَ الْقَوَانِينِ وَالأَحْكَامِ ، وَمُخْتَلِفِ الْعُلُومِ الَّتِي بِهَا تَسْتَقِيمُ الْمَدَنِيَّةُ وَيَسُودُ النِّظَامُ ، وَفِي كِتَابِ اللهِ مَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْفَقِيهُ وَالْفَلَكِيُّ ، وَالْمُؤَرِّخُ وَاللُّغَوِيُّ وَالْفَيْلَسُوفُ وَالْمَنْطِقِيُّ ، وَالْمُهَنْدِسُ وَالْجُغْرَافِيُّ ، وَالنَّبَاتِيُّ وَالْقَانُونِيُّ ، وَعُلَمَاءُ النَّفْسِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مِنْ عَرَبٍ وَأَعْجَامٍ «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُم إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» .

الدِّينُ الصَّحِيحُ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالْعِلْمِ وَيَحُثُّهُمْ عَلَيْهِ ، وَيَجْعَلُهُ شَرْطَ الْعِبَادَةِ وَقِوَامَ الْمُلْكِ وَالْعُمْرَانِ ، وَيُرَغِّبُ فِي الْعِنَايَةِ بِهِ وَالإِنْفَاقِ عَلَيْهِ وَمُعَاوَنَةِ أَهْلِهِ فِي كُل زَمَانٍ ، وَقَدِيماً كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَبْنُون الْمَعَاهِدَ وَالْمَدارِسَ وَيَقِفُون عَليْهَا الْعَقَارَ وَالْكُتُبَ وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَذٰلِك مِن أَعظَمِ الإِحْسَانِ ، وَأَوْقَافُهُمْ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْيَمَنِ وَالْعِرَاقِ وَالْهِند عَلَى الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى بِحُسْبَانٍ ، وَهٰذِهِ الأُمَمُ الْعَظِيمَةُ تُخَصِّصُ مِنْ مَالِيَّةِ الدَّوْلَةِ الْمَلَايِينَ لِنَشْرِ الْعُلُومِ وَتَعْمِيمِ الْعِرْفَانِ ، وَنَحْنُ لَا نَجُودُ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ بِفَلْسٍ وَلَا نَتَأَثَّرُ بِمَا نُعَانِيهِ مِنْ أَلَمِ

الْجَهْلِ وَالْمَالُ عِنْدَنَا كَثِيرٌ ، وَلَكِنْ بُلِينَا بِالْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ ، وَقِلَّةِ الاهْتِمَامِ وَضَعْفِ الإِيمَانِ . وَحَاجَتُنَا إِلَى الْعِلْمِ مَاسَّةٌ وَأَشَدُّ مَا يَكُونُ إِلَى عُلُومِ الأَدْيَانِ ، الَّتِي بِهَا يُعْرَفُ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَالصَّحِيحُ مِنَ الْفَاسِدِ ، وَبِهَا تَقُومُ الأَخْلَاقُ وَيَعُمُّ الأَمَانُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الاشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا عَنِ الآخِرَةِ ، وَمُمَاثَلَةِ الَّذِينَ يَذُمُّهُمُ اللهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ» .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ فِقْهٍ فِي دِينٍ ، وَلَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ» وَقَالَ ﷺ «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» وَقَالَ ﷺ «إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ» وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْخَيْرِ وَلَا خَيْرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ» وَقَالَ أَيْضاً «مَنْ تَعَلَّمَ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ أُعْطِيَ ثَوَابَ سَبْعِينَ صِدِّيقاً» (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ، قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) .

الخطبة الرابعة والثلاثون

فِي تَعْلِيمِ الْمَرْأَةِ وَالْعِنَايَةِ بِهَا

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي بَيَّنَ السُّبُلَ ، وَأَرْشَدَنَا بِالرُّسُلِ ، وَرَفَعَنَا بِالْقُرْآنِ إِلَى أَعْلَى الْمُثُلِ ، (وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ))سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ جَعَلَ الرِّجَالَ قَوَّامِينَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَى كَافَّةِ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَبَيَّنَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَالسُّنَّةَ وَالْفَرْضَ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَحُسْنِ الْوَعْظِ (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ، وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ، وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ، فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ، وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ ، وَصَحَابَتِهِ الْأَخْيَارِ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ « أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا عَبَثاً ، وَلَا لِتَعِيشُوا فِيهَا عِيشَةَ الْخُبَثَاءِ وَلَٰكِنَّكُمْ خُلَفَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ وَأَنْتُمُ الْوُرَثَاءُ ، فَسِيرُوا إِلَيْهِ بِأَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ سَيْرًا حَثِيثاً (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) .

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، مَا خَلَقَ اللهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُوهُ ، وَلَا جَعَلَ النَّارَ جَزَاءَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا لِتُوَحِّدُوهُ ، وَلَا أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ إِلَّا لِتَشْكُرُوهُ وَتَحْمَدُوهُ ، وَلَا عَرَّفَكُمْ آلَاءَهُ إِلَّا لِتُعَظِّمُوهُ وَتُمَجِّدُوهُ (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ) .

أَلَا وَإِنَّ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ أَنْ تَحُثُّوا عَلَيْهَا نِسَاءَكُمْ وَأَنْ تُلْزِمُوا بِهَا بَنَاتِكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ ، وَأَنْ تَدْعُوا إِلَيْهَا أَصْهَارَكُمْ وَأَقْرِبَاءَكُمْ ، وَتُحَرِّضُوا عَلَيْهَا جِيرَانَكُمْ وَأُجَرَاءَكُمْ ، وَلَا تُقِرُّوهُمْ عَلَى الْمُنْكَرِ إِذَا فَعَلُوهُ فَتَشْمَلُكُمْ هٰذِهِ الْآيَةُ (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) .

كُلُّ امْرِئٍ مَسْئُولٌ مُحَاسَبٌ عَنْ نَفْسِهِ وَابْنِهِ وَابْنَتِهِ ، وَزَوْجَتِهِ وَخَادِمِهِ وَأُخْتِهِ ، وَجَمِيعِ مَنْ فِي وِلَايَتِهِ ، أَلَا وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا

النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) .

يَا عَبْدَ اللهِ : كَيْفَ تَرَى نِسَاءَكَ يَسْرَحْنَ فِي الشَّرِّ وَيَمْرَحْنَ ، وَيُغْلِقْنَ أَبْوَابَ الْمَعْرُوفِ وَلِأَبْوَابِ الْمُنْكَرِ يَفْتَحْنَ ، وَيَغُصْنَ فِي مُسْتَنْقَعَاتِ الذُّنُوبِ وَيَسْبَحْنَ ، وَهُنَّ يَضْحَكْنَ لِذَلِكَ وَيَفْرَحْنَ ، وَأَنْتَ لَا تُبْدِي وَلَا تُعِيدُ ، وَلَا تَدْرِي بِمَا يَكُونُ ، وَأَهْلُكَ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ .

مَاذَا يَكُونُ مِنِ اخْتِلَاطِ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ ؟ وَحُضُورِهِنَّ الْحَفَلَاتِ وَدُورِ السِّينَمَا وَمَسَارِحِ التَّمْثِيلِ ، مَاذَا يَصِيرُ مِنَ الْمَرْأَةِ إِذَا رَكِبَتْ رَأْسَهَا وَاتَّبَعَتْ هَوَاهَا فَضَلَّتْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ . يَا وَيْلَهَا مِنْ هَذِهِ الْمَدَنِيَّةِ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الْأَبَاطِيلِ ، وَالْوَيْلُ وَالثُّبُورُ لِمَنْ يُقِرُّهَا عَلَى مُخَالَفَةِ التَّنْزِيلِ وَمُرَاعَاةِ الْجَمِيلِ (أُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) .

مَنْ لِصَلَاحِ الْبَيْتِ وَسَعَادَةِ الزَّوْجِ وَتَرْبِيَةِ الْبَنِينَ ، مَنْ يَكُونُ الْفَرْدُ فِي الْمُجْتَمَعِ الصَّالِحِ لِلدُّنْيَا وَالدِّينِ ، إِذَا فَسَدَتْ أَخْلَاقُ الْمَرْأَةِ وَلَعِبَتْ بِهَا الشَّيَاطِينُ ، فَهِيَ لَا تَهْتَمُّ إِلَّا بِمَلْبَسِهَا الرَّزِينِ ، وَثَوْبِهَا الثَّمِينِ ، وَمُخْتَلِفِ الْأَصْبَاغِ وَالتَّلْوِينِ (وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ، قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) .

هُتِكَ الْحِجَابَ ، وَرُفِعَ النِّقَابُ ، وَوُضِعَ الْجِلْبَابُ ، وَافْتَرَسَتِ الْمَرْأَةَ كِلَابُ الْبَشَرِيَّةِ وَالذِّئَابُ ، وَدَعَاهَا إِلَى الشَّرِّ كُلُّ خَبِيثٍ دَجَّالٍ كَذَّابٍ ، لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) .

كَيْفَ تَسْمَعُ الْبَنَاتُ وَالْأُمَّهَاتُ وَهُنَّ يُغَنِّينَ فِي الشَّوَارِعِ وَالدُّورِ ، بِقَصَائِدِ الْفُحْشِ وَالْخَلَاعَةِ وَالْفُجُورِ ، وَأَنْتَ يَا مَغْرُورُ ، لَا تَتَحَرَّكُ لِذَٰلِكَ وَلَا تَثُورُ ، وَلَا تُبَالِي بِمَا يَجُرُّ إِلَيْهِ مِنْ حُبِّ السُّفُورِ ، وَشُرْبِ الْخُمُورِ ، وَفَسَادِ الْمَعْمُورِ ، كَأَنَّكَ مَيِّتٌ أَوْ فَاقِدُ الشُّعُورِ (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) .

مَا لِهَٰذِهِ الْمَرْأَةِ لَا تَعْرِفُ شَيْئاً عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَلَا تَفْهَمُ مَعْنَى الصَّلَاةِ وَالصِّيامِ ، وَلَا أَيَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَهَمُّكَ مِنْهَا نَفْسُكَ وَأَنْ تُجِيدَ لَكَ التَّصْبِينَ وَطَبْخَ الطَّعَامِ ، إِنَّ هٰذَا لَغَايَةُ الْإِجْرَامِ ، وَجِمَاعُ الْآثَامِ ، وَخُرُوجٌ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » .

عَلِّمُوا هٰذِهِ الْجَاهِلَةَ الْمِسْكِينَةَ وَهَذِّبُوهَا ، وَبِآدَابِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ أَدِّبُوهَا ، وَعَلَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَجَمِيلِ الصِّفَاتِ دَرِّبُوها ، أَمَّا هٰذِهِ الْعَادَاتُ وَالتَّقَالِيدُ الْأَجْنَبِيَّةُ فَحَارِبُوهَا وَابْتَعِدُوا عَنْهَا وَلَا تَقْرَبُوهَا ، فَإِنَّمَا جَاءَ بِهَا الَّذِينَ (إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا

نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ » .

الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ رَبَّنَا اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ، وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ، رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا وَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) .

الخطبة الخامسة والثلاثون

فِي الزَّارِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي حَفِظَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَنَزَغَاتِ الْمُضِلِّينَ ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِإِبْلِيسَ اللَّعِينِ سُلْطَانًا عَلَى عِبَادِهِ

الْمُخْلِصِينَ ، مَنِ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِهِ أَعَاذَهُ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ(وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ، حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ، وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُون) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ الْجَوَادُ الْحَلِيمُ ، وَنَسْأَلُهُ الْإِيمَانَ وَالتَّسْلِيمَ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، قَالَ تَعَالَى «وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالسَّيِّدُ السَّنَدُ الْعَظِيمُ ، وَالْمُنْزَلُ عَلَيْهِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ؟ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ، يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُون » .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد الْقَائِلِ «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ » وَالْقَائِلِ ﷺ «الشَّيْطَانُ يَلْتَقِمُ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ عِنْدَهُ وَإِذَا نَسِيَ اللهَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ » فَبِئْسَ اللَّاقِمُ وَبِئْسَ الْمُلْتَقَمُ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَخَيْرَ نَاطِقٍ بِالْآيَاتِ وَالْحِكَمِ ، وَعَلَى آلِكَ وَأَصْحَابِكَ السَّالِكِينَ مَنْهَج

دِينِكَ الأَقْوَمِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي فِعْلِ الْوَاجِبِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمِ (أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ، وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) .

عِبَادَ اللهِ : مَرَضُ الزَّارِ مُنْتَشِرٌ فِي نِسَاءِ الْبِلَادِ وَرِجَالِهَا ، وَالأَوْهَامُ تَعْبَثُ بِعُقُولِ النَّاسِ وَأَمْوَالِهَا ، وَالشَّيَاطِينُ تَلْعَبُ بِفَسَقَةِ الأُمَّةِ وَجُهَّالِهَا ، فَهِيَ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ حَرَامِ الشَّرِيعَةِ وَحَلَالِهَا ، وَلِذَٰلِكَ نَصَبَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ شِبَاكَ الْفِتْنَةِ وَأَوْقَعَهُمْ فِي حِبَالِهَا ، وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِمْ بِأَهْلِ الْخُرَافَاتِ وَضَلَالِهَا ، وَكُتَّابِ الْحُرُوزِ وَالتَّمَائِمِ وَدُعَاةِ الشَّعْوَذَةِ وَعُمَّالِهَا ، فَحَسَّنُوا الْقَبِيحَ وَقَبَّحُوا الْحَسَنَ ، وَضَلَّلُوا الأُمَّةَ فِي عَقَائِدِهَا وَأَقْوَالِهَا وَأَفْعَالِهَا (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) .

بَعْضُ النَّاسِ يُصَابُ بِمَرَضٍ عَصَبِيٍّ خَبِيثٍ ، فَيَتَوَهَّمُ أَنَّهُ الزَّارُ ، وَهُوَ نَتِيجَةُ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَعَدَمِ الرِّيَاضَةِ وَالانْحِبَاسِ فِي الدَّارِ ، وَبَعْضُهُ يَنْشَأُ مِنَ الْمُبَاهَاةِ وَالْمُفَاخَرَاتِ الَّتِي تُمَكِّنُ الشَّيَاطِينَ مِنَ النُّفُوسِ الضَّعِيفَةِ وَالْعُقُولِ السَّخِيفَةِ ، فَبِئْسَتِ الْمُبَاهَاةُ وَبِئْسَ الافْتِخَارُ ، وَلِلأَطِبَّاءِ بِعِلَاجِ هَٰذَا الدَّاءِ الْعُضَالِ مَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ وَلَهُمْ بِهِ تَمَامُ الاخْتِبَارِ ، فَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يَكُونُ دَوَاءُ الْمَرِيضِ عَلَى يَدِ امْرَأَةٍ جَاهِلَةٍ لَا تَعْرِفُ إِلاَّ الطَّبْلَ وَالْمِزْمَارَ ، وَرَفْعَ عَقِيرَتِهَا بِالأَشْعَارِ . تَسْتَغِيثُ بِالشَّيَاطِينِ

وَالْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ الشِّرِّيرَةِ ، فَلَهَا وَلِمَنْ تُداوِيهِ وَتُنَادِيهِ النَّارُ وَبِئْسَ الْقَرَارُ (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) .

إِذَا فَتَحَ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ الشُّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ وَالتَّخَيُّلَاتِ ، تَسَلَّطَتْ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ وَصَارَ قَتِيلَ أَوْهَامِهِ وَالْخُرَافَاتِ ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَرَاهُ يَحْسَبُهُ جِنِّيًا ، وَكُلُّ شَيْءٍ يُصِيبُهُ فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوِ الْبَنِينَ أَوِ الْبَنَاتِ ، فَهُوَ لَا يَعُدُّهُ إِلَّا مِنَ الشَّيَاطِينِ وَالْعَفَارِيتِ وَالْغِيلَانِ وَالْقَرِينَاتِ. وَذَاتُ الزَّارِ تَزْعُمُ أَنَّ صَاحِبَ رَأْسِهَا يُرِيدُ هٰذَا وَيَبْغُضُ هٰذَا ، وَأَنَّهُ لَا يَغِيبُ عَنْهَا فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ، وَلَهَا نِظَامٌ خَاصٌّ بِهَا فِي طَعَامِهَا وَشَرَابِهَا وَلِبَاسِهَا بَلْ وَفِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ ، وَبِمَارِدِهَا تُخَوِّفُ الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ ، وَمَعَارِيفَهَا مِنَ الْجَارَاتِ الْجَاهِلَاتِ ، اللَّاتِي لَا يُفَرِّقْنَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ ، وَالْحَقَائِقِ وَالشَّعْوَذَاتِ (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) .

تُقَامُ حَفَلَاتُ الزَّارِ فِي أَحَدِ الْبُيُوتِ فَيَحِلُّ بِهِ الدَّمَارُ وَالْخَرَابُ وَسُوءُ الْعَاقِبَةِ ، وَتَتَحَكَّمُ الْمَرْأَةُ فِي زَوْجِهَا وَأَهْلِهَا وَتُكَلِّفُهُمْ فَوْقَ مَا يُطِيقُونَ لِحَالَتِهَا الرَّاهِنَةِ ، وَتَتَصَنَّعُ الْبُكَاءَ وَالْمَرَضَ ، وَتَدَّعِي أَنَّهَا تَرَى مَا لَا يَرَوْنَ ، وَهِيَ وَاللهِ فَاجِرَةٌ كَاذِبَةٌ ، فَتَصْرِفُ الْأَمْوَالَ لِشِرَاءِ

الثِّيَابِ وَصَوْغِ الْحُلِيِّ وَرَشْوَةِ الْعَلَقَةِ الْمُخْتَلِسَةِ وَالذِّئْبَةِ الْمُفْتَرِسَةِ النَّاهِبَةِ وَغَيْرُ خَافٍ عَلَيْكُمْ مَا يَكُونُ مِنَ الذَّبْحِ وَالْقَدْحِ وَالطَّبْخِ وَالنَّفْخِ وَالتَّكَالِيفِ الَّتِي هِيَ لِلشَّرِّ جَالِبَةٌ وَبِالْفَقْرِ وَالدَّيْنِ ضَامِنَةٌ وَلِلنِّعْمَةِ سَالِبَةٌ ، وَالْعَجِيبُ أَنَّكَ لَا تَرَى مَنْ بِهَا الزَّارُ إِلَّا وَهِيَ كَاسِفَةُ الْبَالِ عَابِسَةُ الْوَجْهِ نَحِيلَةُ الْجِسْمِ قَدْ أَنْفَقَتْ مَالَهَا ، وَأَذْهَبَتْ جَمَالَهَا ، وَأَصْبَحَتْ بِالشَّرِيعَةِ وَالْقَانُونِ هَازِئَةً لَاعِبَةً (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) .

فِي بَيْتِ الزَّارِ تُذْبَحُ الْأَغْنَامُ ، وَتَتَضَمَّخُ الْمَرْأَةُ بِدِمَاءِ الْأَنْعَامِ ، وَتَرْقُصُ حَتَّى يُصِيبَهَا الدَّوَرَانُ وَيَصْرَعَهَا الْغَرَامُ ، وَإِذْ ذَاكَ تَخْرُجُ عَنِ الْأَدَبِ وَالِاحْتِشَامِ ، وَيُحِيطُ بِهَا شَيَاطِينُ الْإِنْسِ يَضْرِبُونَ لَهَا الطُّبُولَ وَيُغَنُّونَ بِمَا يُنَاسِبُ عِفْرِيتَهَا مِنَ التَّوْقِيعِ وَالْأَنْغَامِ ، ثُمَّ يَرْتَكِبُونَ الْمُنْكَرَاتِ وَالْآثَامَ ، وَلَا يُبَالُونَ بِمَكْرُوهٍ وَلَا حَرَامٍ ، بَلْ إِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ مَا لَا تُقِرُّهُ يَهُودِيَّةٌ وَلَا نَصْرَانِيَّةٌ وَلَا إِسْلَامٌ (فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُم اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) .

هٰذِهِ الْمُنْكَرَاتُ تُفْعَلُ بِمَرْأَى وَمَسْمَعٍ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَأَنْتُمْ عَنْهَا غَافِلُونَ ، وَأَعْظَمُهَا الزَّارُ الَّذِي لَا يُقِرُّهُ عُرْفٌ وَلَا عَادَةٌ ، وَلَا عَقْلٌ وَلَا عِلْمٌ ، وَلَا ذَوْقٌ سَلِيمٌ وَلَا شَرِيعَةٌ وَلَا قَانُونٌ ، فَمَا لَكُمْ لَا

تَـأْمُرُونَ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَنْهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وَكَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنْ يَصْنَعُوا لَكُمْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَأَنْ يُحَافِظُوا لَكُمْ عَلَى الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ ، وَالْحَالُ إِنَّهُمْ عَاجِزُونَ ، وَلَيْسَ لَهُمْ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ إِلَّا بِاللهِ الَّذِي بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، وَكَيْفَ يَدْخُلُ الْعَالِمُ بُيُوتَ النَّاسِ وَيُغَيِّرُ الْمُنْكَرَ الَّذِي فِيهَا يَصْنَعُونَ ، وَمَاذَا عَلَى عُلَمَاءِ الدِّينِ أَكْثَرُ مِنْ هٰذِهِ الْخُطَبِ وَالْمَوَاعِظِ الَّتِي تَسْمَعُونَ (تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ) . قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أَيُّمَا امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا بِغَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا كَانَتْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهَا أَوْ يَرْضَى عَنْهَا زَوْجُهَا» وَقَالَ ﷺ «أَيُّمَا امْرَأَةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا فَقَدْ هَتَكَتْ سِتْرَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» وَقَالَ ﷺ «مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ وَيْلٌ لِلرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَوَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ» وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «إِيَّاكَ وَالْخُلْوَةَ بِالنِّسَاءِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَلَا رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ إِلَّا دَخَلَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا» أَوْ كَمَا قَالَ . وَهٰذَا كُلُّهُ يَقَعُ فِي بُيُوتِ الزَّارِ الَّتِي تَبِيضُ فِيهَا الشَّيَاطِينُ وَتُفَرِّخُ ، وَيَعْبَثُ فِيهَا الرَّجُلُ الْفَاجِرُ بِالْمَرْأَةِ الْمَغْرُورَةِ الْجَاهِلَةِ ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَمِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ)

الخطبة السادسة والثلاثون

فِي زِيَارَةِ الْقُبُورِ وَتَطْهِيرِ سَاحَاتِهَا مِنَ الآثَامِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْعَزِيزِ الْجَانِبِ ، الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْقَوِيِّ الْغَالِبِ . رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، وَالْبَاعِثِ الْوَارِثِ ، الْمَانِحِ السَّالِبِ ، أَمَرَنَا بِزِيَارَةِ الْقُبُورِ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الرَّغَائِبِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْمُحْدَثَاتِ فِي كُلِّ مَنْدُوبٍ وَوَاجِبٍ ، وَجَعَلَ الابْتِدَاعَ فِي الدِّينِ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ وَأَعْظَمِ المَصَائِبِ وَقَالَ تَعَالَى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (اللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْقَائِلُ : لَعَنَ اللّٰهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ . أَمَرَنَا بِالْخَيْرِ كُلِّهُ وَنَهَانَا عَنِ الشُّرُورِ ، رَغَّبَنَا فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ وَزَجَرَنَا عَنْ كُلِّ مَحْذُورٍ ، وَخَاطَبَهُ

رَبُّهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ بِالآيَاتِ الظَّاهِرَةِ ، وَالْمُؤَيَّدِ بِالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ ، وَالْقَائِلِ ﷺ «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ بِالْآخِرَةِ» صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ ، وَالْبِحَارِ الزَّاخِرَةِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالتَّمَسُّكِ بِالشَّرِيعَةِ الطَّاهِرَةِ (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) .

عِبَادَ اللهِ : زِيَارَةُ الْقُبُورِ سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ ، وَلَا سِيَّمَا قُبُورِ الصَّالِحِينَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ وَتُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَتُرَغِّبُ فِي الآخِرَةِ ، وَلِذٰلِكَ أَمَرَ بِهَا سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ ، وَكَانَ يَزُورُ أَهْلَ الْبَقِيعِ وَيَقُولُ إِذَا دَخَلَ الْمَقَابِرَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، أَنْتُمُ السَّابِقُونَ وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، نَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ . وَهٰكَذَا تَنْبَغِي زِيَارَةُ الْقُبُورِ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَيْسَ لَهَا وَقْتٌ خَاصٌّ إِلاَّ مَا وَرَدَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتِهَا وَلَيْلَةِ السَّبْتِ لِمَا يَقَعُ مِنْ حُضُورِ أَرْوَاحِ الْمَيِّتِينَ . وَيَحْرُمُ وَطْءُ الْقُبُورِ تَعَمُّداً وَالْجُلُوسُ عَلَيْهَا وَالصَّلَاةُ إِلَيْهَا كَمَا قَرَّرَهُ عُلَمَاءُ الدِّينِ وَأَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَنْهُ ﷺ قَالَ «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ

وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا وَقَالَ ﷺ : لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا ، وَغَرَضُ الشَّارِعِ الْحَكِيمِ مِنْ هٰذَا كُلِّهِ مُخَالَفَةُ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَنْ لَا يَتَشَبَّهَ أَهلُ التَّوْحِيدِ بِالَّذِينَ كَانُوا إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَاتَّخَذُوا عَلَيْهِ الصُّوَرَ ، أُولَئِكَ هُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ (فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِم قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ، ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ حَقاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ) .

يَا عَبْدَ اللهِ : إِذَا زُرْتَ قُبُورَ الصَّالِحِينَ ، فَتَذَكَّرْ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ وَأَنَّهُمْ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ، وَأَنَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَلِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَعَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَبِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ، وَلِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَلِفُرُوجِهِمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ حَافِظُونَ ، وَطَالِبْ نَفْسَكَ بِالسَّيْرِ عَلَى مِنْوَالِهِمْ فِيمَا يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ ، وَمَا يَأْتُونَ وَمَا يَذَرُونَ ، فَلَعَلَّكَ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ يَقُولُ تَعَالَى فِي وَصْفِهِمْ ، وَهُوَ الْعَالِمُ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) . (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ، إِنَّ فِي هٰذَا لَبَلَاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ) .

إيَّاكَ إيَّاكَ أيُّها الزَّائِرُ الْكَرِيمُ أَنْ تُقَبِّلَ قَبْرًا أَوْ تَطُوفَ بِهِ أَوْ تَسْجُدَ عَلَيْهِ أَوْ تَدْعُوَ أَحَدًا مِنْ دُونِ اللهِ ، فَمَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، وَلَا يُعْطِي وَلَا يَمْنَعُ ، وَلَا يَخْفِضُ وَلَا يَرْفَعُ ، وَلَا يُرَدُّ وَلَا يَدْفَعُ ، وَلَا يَقْبِضُ وَلَا يَبْسُطُ إلاَّ اللهُ ، وَلَا تُصَدِّقْ مَنْ يَقُولُ لَكَ أَنَّ هٰذِهِ مُحَارَبَةٌ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ ،أَوْ بُغْضٌ لِمَنِ اصْطَفَاهُ رَبُّهُ وَتَوَلَّاهُ ،لَا وَالَّذِي قَامَتِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ، وَلَكِنْ هٰكَذَا أَمَرَ الْقُرْآنُ ، وَهٰكَذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللهِ . وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ قَالَ اللهُ تَعَالَى «مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ » . وَيَا خَسَارَةَ مَنْ حَارَبَهُ اللهُ (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) « أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ، قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ » .

أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ وَأَكْبَرِ الْعُيُوبِ وَأَخْبَثِ الْآفَاتِ ، مَا يَقَعُ عِنْدَ قُبُورِ الصَّالِحِينَ مِنِ ارْتِكَابِ الْمُنْكَرَاتِ وَاسْتِبَاحَةِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَمِمَّا تَمُورُ لَهُ الْجِبَالُ وَتَغُورُ مِنْهُ الْمِيَاهُ وَتَضِجُّ مِنْ أَجْلِهِ الْأَرْضُ وَالسَّمٰوَاتُ ، شُرْبُ الْخَمْرِ وَلَعِبُ الْقِمَارِ وَارْتِكَابُ الْفَوَاحِشِ بَيْنَ قُبُورِ الْأَمْوَاتِ ، فَمِنْ سُفُورٍ إِلَى خَنَا ، وَمِنْ لِوَاطٍ إِلَى زِنَا ، وَمِنْ صُعُودٍ إِلَى هُبُوطٍ

وَارْتِقَاءٌ إِلَى سُقُوطٍ ، وَيَا للهِ مَا تَسْمَعُهُ وَمَا تَرَاهُ مِنَ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ ، وَطَبْلٍ وَمِزْمَارٍ ، وَدُفٍّ وَأَوْتَارٍ ، وَحَانَةٍ وَخَمَّارٍ ، وَرَقْصٍ وَتَحْرِيكٍ وَسُكَارٍ ، وَكُلُّ ذٰلِكَ مَحْسُوبٌ عَلَى أَوْلِيَاءِ الرَّحْمٰنِ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ ، فَقَبَّحَ اللهُ هٰذِهِ الاجْتِمَاعَاتِ ، فَلَقَدْ أَصْبَحَ الْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفاً ، وَالسُّنَّةُ بِدْعَةً وَالْبِدْعَةُ سُنَّةً فِي هٰذِهِ الْأَوْقَاتِ ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ لَا يُبْدُونَ وَلَا يُعِيدُونَ ، وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ رَفَعُوا بِإِنْكَارِهِمُ الْأَصْوَاتَ ، حَتَّى يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى «يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) .

لَوْ قَامَ وَلِيُّ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ قَبْرِهِ لَفَرَّقَ تِلْكَ الْجُمُوعَ بِيَدِهِ وَقَلَمِهِ وَلِسَانِهِ ، وَلَحَارَبَهُمْ بِسَيْفِهِ وَرُمْحِهِ وَسِنَانِهِ ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ آذَوْهُ وَفَعَلُوا مَا حَرَّمَ اللهُ عِنْدَ ضَرِيحِهِ وَفِي مَكَانِهِ ، وَالْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ مِمَّا أَمَرَ اللهُ بِهِ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ قُرْآنِهِ ، وَلَا يُقِرُّ الْعُصَاةَ وَأَهْلَ الْفَسَادِ عَلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللهِ وَعِصْيَانِهِ ، إِلَّا امْرُؤٌ ذَهَبَتْ عَنْهُ حَمِيَّةُ الْإِيمَانِ وَاتَّبَعَ الشَّيْطَانَ وَأَصْبَحَ مِنْ أَعْوَانِهِ ، وَاللهُ قَدْ حَفِظَ أَوْلِيَاءَهُ الصَّالِحِينَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَقْرَانِهِ ، وَأَتْبَاعِهِ وَإِخْوَانِهِ (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ) .

أَتَمُرُّ بَيْنَ أَيْدِيكُمُ الْعَرَبَاتُ وَالسَّيَّارَاتُ وَعَلَيْهِنَّ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ ،

وَعَلَى تِلْكُمُ الْمَرْكَبَاتِ رَايَاتُ الْمُومِسَاتِ ، وَهُنَّ يُومِئْنَ لِلرِّجَالِ بِالْمَنَادِيلِ وَالْمَنَاشِفِ ، وَقَدْ رَفَعْنَ الْخِمَارَ ، وَهَتَكْنَ السِّتَارَ ، وَفَتَنَّ الشَّبَابَ بِالْأَرْدَافِ وَالْأَكْتَافِ وَالْمَعَاطِفِ ، وَهُنَاكَ مُحَجَّبَاتٌ خَائِنَاتٌ كَاذِبَاتٌ ، وَقَدْ لَبِسْنَ الْبَرَاقِعَ وَالشَّرَاشِفَ ، وَتَجَرَّدْنَ عَنِ الْفَضِيلَةِ وَتَحَلَّيْنَ بِكُلِّ رَذِيلَةٍ وَصَرَفْنَ الرِّجَالَ عَنْ زَوْجَاتِهِمْ الطَّاهِرَاتِ الْعَفَائِفِ . وَلَا تَسْأَلُوا عَنِ الْأَرَاجِيحِ أَوِ الدَّرَاهِينِ وَمَا يَقَعُ عِنْدَهَا مِنَ الْمَهَالِكِ وَالْمَتَالِفِ ، وَالْآفَاتِ وَالْمَصَائِبِ وَالْمَخَاوِفِ ، فَفُحْشٌ وَمُجُونٌ ، وَخَلَاعَةٌ وَجُنُونٌ ، وَكَمْ وَكَمْ يَصِفُ الْوَاصِفُ ، أَفَيَكُونُ ذٰلِكَ عَلَى حِسَابِ الدِّينِ وَفِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْتُمْ صَامِتُونَ ، وَأَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ الْجَبَانُ الْخَائِفُ (مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذٰلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» وَقَالَ ﷺ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ» وَقَالَ ﷺ «وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ» وَقَالَ أَبُو ذَرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِخِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ ، أَوْصَانِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَلَوْ كَانَ مُرًّا» وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ) «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » .

الخطبة السابعة والثلاثون

فِي الْإِرْشَادِ وَالتَّذْكِيرِ

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي حَبَّبَ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِنَا ، وَكَرَّهَ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَعَرَّفَنَا بِعُيُوبِنَا .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَشْكُرُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ لِسَيِّئَاتِنَا وَذُنُوبِنَا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ الْكَافِرُونَ ، وَأَجَابَهُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ وَصِدْقِ الْيَقِينِ (وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أَيُّهَا النَّاسُ : مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ ، وَلَا صَدَّقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَنْ لَمْ يَتَّبِعْ شَرِيعَتَهُ وَهَدْيَهُ ، وَلَا تَمَّ إِيمَانُ مَنْ لَمْ يَأْمَنِ النَّاسُ بَوَائِقَهُ وَشَرَّهُ وَبَغْيَهُ ، وَلَا وَقَفَ عِنْدَ حُدُودِ اللهِ مَنِ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَاتَّبَعَ الشَّيْطَانَ وَغِيَّهُ (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ » .

أَلَا وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا ، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا ، وَرَغَّبَكُمْ فِي أُمُورٍ مِنَ الْخَيْرِ فَلَا تُهْمِلُوهَا ، وَنَهَاكُمْ عَنِ الْخَبَائِثِ وَالْمَكْرُوهَاتِ فَلَا تَفْعَلُوهَا (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) قَدْ نَبَذُوا كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاسْتَهْوَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ ، فَعَبَدُوا الشَّهَوَاتِ وَغَرِقُوا فِي اللَّذَّاتِ ، وَتَجَرَّدُوا عَنْ لِبَاسِ التَّقْوَى وَزِينَةِ الدِّينِ)أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) .

مَنْ عَرَفَ اللهَ مَعْرِفَةً صَحِيحَةً عَبَدَهُ عِبَادَةً صَحِيحَةً ، وَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَنَوَّرَ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ قَبِلَ الْوَعْظَ وَالنَّصِيحَةَ ، وَمَنْ أَمِنَ مَكْرَ اللهِ وَتَجَرَّأَ عَلَيْهِ أَذَاقَهُ لِبَاسَ الْخَوْفِ وَالْفَضِيحَةِ ، وَعَلَى قَدْرِ جَهْلِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ تَكُونُ أَعْمَالُهُ الْقَبِيحَةُ (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ) .

فَاسْتَعِدُّوا بِمَا شِئْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ ، وَكُونُوا كَمَا شِئْتُمْ فَإِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ، مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ، أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ نَعِيماً مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ، وَلِلْمُسِيئِينَ جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) .

أَلَيْسَ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الْإِيمَانِ ، وَأَنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ بِشَهَادَةِ الْقُرْآنِ ، فَمَا لَكُمْ صَامِتُونَ وَقَدِ انْتُهِكَتْ حُرُمَاتُ اللهِ وَفَشَا فِيكُمُ الْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ ، أَلَا تَخَافُونَ أَنْ يَعُمَّكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِحُسْبَانٍ (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) .

هَذِهِ الْمَسَاجِدُ تَشْكُو إِلَى اللهِ فَرَاغَهَا مِنَ الْمُصَلِّينَ ، وَالْحَانَاتُ مَمْلُوءَةٌ بِالْفُسَّاقِ مُدْبِرِينَ وَمُقْبِلِينَ ، وَبُيُوتُ الدَّعَارَاتِ مَزْحُومَةٌ بِالْخَارِجِينَ وَالدَّاخِلِينَ ، مُقِيمِينَ وَرَاحِلِينَ ، وَإِذَا ذَكَّرَهُمُ الْوَاعِظُ أَيَّامَ اللهِ تَوَلَّوْا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (وَقَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ) (وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) .

شُيُوخٌ هَائِمُونَ فِي أَوْدِيَةِ الضَّلَالِ ، وَشَبَابٌ غَارِقُونَ فِي الْأَوْحَالِ ، وَفَسَادُ أَخْلَاقٍ فِي الْمُرَبِّينَ وَالْأَطْفَالِ ، وَرِجَالٌ يَتَشَبَّهُونَ بِالنِّسَاءِ ، وَنِسَاءٌ يَتَشَبَّهْنَ بِالرِّجَالِ (ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا

هِيَ تَمُورُ ، أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ) .

يَا أُمَّةَ مُحَمَّد ، كَيْفَ تَكُونُونَ شُهُودًا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ ، وَقَد ارْتَكَبْتُمْ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَاللَّمَمَ ، وَكَيْفَ يَكُونُ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَقَدِ اجْتَمَعَ الْخَلِيلُ وَالْكَلِيمُ وَابْنُ مَرْيَمَ ، فَتَجَلَّى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ الْمَلِكُ الْعَدْلُ الْحَكَمُ (لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) .

يَوْمَ يَشْهَدُ الْقُرْآنُ وَيُنْصَبُ الْمِيزَانُ وَيَحْضُرُ رَقِيبٌ وَعَتِيدٌ ، وَتَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، وَيُقَالُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ فَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) .

(الْحَدِيثُ) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَاباً أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً ، وَالَّذِينَ إِذَا سِيقَتْ إِلَيْهِمُ الْمَوَاعِظُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ،

وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ، أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ، وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى) .

الخطبة الثامنة والثلاثون

فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الزِّنَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّعَ الْأَحْكَامَ ، فَبَيَّنَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، وَأَمَرَ بِالصَّالِحَاتِ وَنَهَى عَنِ الْآثَامِ ، وَشَرَّفَ بِالْإِسْلَامِ أُولِي النُّهَى وَالْأَحْلَامِ مِنْ عَرَبٍ وَأَعْجَامٍ (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى مَا شَرَعَ وَسَنَّ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَعْرَفُ خَلْقِهِ بِهِ وَأَتْقَاهُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ ، وَأَفْضَلُ دَاعٍ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْخُلُقِ الْحَسَنِ (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، صَاحِبِ الْخُلُقِ

الْعَظِيمِ ، وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ أَفْضَلَ صَلَاةٍ وَتَسْلِيمٍ .

أَيُّهَا النَّاسُ : مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبّاً وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيّاً وَرَسُولاً ، فَكَيْفَ يُحَارِبُ اللهَ بِالْمَعَاصِي وَلَا يَخَافُ «يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً » وَكَيْفَ يُخَالِفُ الْقُرْآنَ وَيَتَّبِعُ الشَّيْطَانَ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً «قَالَ أَرَأَيْتَكَ هٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً » «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ » .

لَقَدِ اسْتَفَزَّكُمُ الْخَبِيثُ بِصَوْتِهِ وَجَلَبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ ، وَزَيَّنَ لَكُمُ الْإِثْمَ وَالْعُدْوَانَ وَحُبَّ الْفَسَادَ وَأَهْلِهِ ، وَدَعَاكُمْ إِلَى الزِّنَا وَاللِّوَاطِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالتَّعَامُلِ بِالرِّبَا وَأَكْلِهِ ، وَحَسَّنَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ ، فَكَانَ «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ » .

أَلَا عَظَّمَ اللهُ أَجْرَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ فِي أَخْلَاقِهِمُ الْعَالِيَةِ ، وَأَحْسَنَ اللهُ عَزَاءَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي آدَابِهِمُ السَّامِيَةِ ، فَقَدْ كَثُرَ الْفَسَادُ وَانْتَشَرَ الْإِلْحَادُ ، وَتَدَهْدَهَتِ الْبِلَادُ إِلَى الْهَاوِيَةِ ، وَحَاوَلَ

إخْوَانُ الشَّيَاطِينِ أَنْ يَقْضُوا مِنَ الدِّينِ عَلَى الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَةِ «فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» .

ذَهَبَ الْحَيَاءُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، وَالصِّغَارِ وَالْكِبَارِ ، وَظَهَرَ الزِّنَا ، وَاسْتَغْنَتِ النِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ ، وَرُفِعَ السِّتَارُ ، وَضَاعَتِ الْأَمْوَالُ فِي لَعِبِ الْقِمَارِ ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالسُّكَارِ ، وَاسْتِمَاعِ الْأَوْتَارِ ، وَنَفَقَاتِ الزَّارِ ، وَتَفَحَّشَتِ الْمَرْأَةُ فِي الشَّارِعِ وَالدَّارِ ، وَجَهَرَ النَّاسُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ وَفَشَتِ الْأَسْرَارُ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) لَوْ أُقِيمَتْ حُدُودُ اللهِ لَكَفَّ الْمُجْرِمُونَ عَنِ الْجَرَائِمِ ، وَلَوْ حُكِمَ بِكِتَابِ اللهِ مَا اسْتُبِيحَتِ الْمَحَارِمُ ، وَلَا ارْتُكِبَتِ الْعَظَائِمُ ، وَلَوْ أَنْصَفَ الْمُسْلِمُ مِنْ نَفْسِهِ لَمَا وَقَعَ فِي هٰذِهِ الْمَآثِمِ ، فَإِنَّهُ مَنْ زَنَى زُنِيَ بِأَهْلِهِ ، وَمَنْ هَتَكَ عِرْضَ غَيْرِهِ هَتَكَ اللهُ عِرْضَهُ وَأَذَلَّهُ بِالْخِزْيِ الدَّائِمِ وَالْعَارِ الْمُلَازِمِ . فَيَا مُصِراً عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ غَيْرَ نَادِمٍ ، وَيَا مُتَهَاوِناً بِعِقَابِ اللهِ الصَّارِمِ «أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخَرِينَ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ»

وَاللهِ لَا يَزْنِي الزَّانِي وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ شَارِبُهَا إِلاَّ وَقَدْ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ ، وَلَا يُقِرُّ أَهْلَهُ عَلَى الْخُبْثِ إِلاَّ خَبِيثٌ دُيُّوثٌ شَيْطَانٌ ، وَمَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ إِلاَّ وَظَهَرَ بِهَا الْفَقْرُ وَالْأَمْرَاضُ الْمُعْدِيَةُ وَظُلْمُ السُّلْطَانِ ، وَلَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلاَّ قَاتِلٌ أَوْ تَارِكٌ لِدِينِهِ أَوْ ثَيِّبٌ زَانٍ «الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » .

أَيُّ جَانٍ عَلَى دِينِهِ وَنَفْسِهِ وَعِرْضِهِ وَأَهْلِهِ مِثْلُ مَنِ اسْتَبْدَلَ الْخَبَائِثَ بِالطَّيِّبَاتِ ، وَيَصْبُو إِلَى امْرَأَةٍ لَا تَرُدُّ عَنْ نَفْسِهَا كَفَّ لَامِسٍ وَلَا تُبَالِي بِذَاهِبٍ وَلَا آتٍ ، قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الدِّينِ وَالْحَيَاءِ ، وَصَارَتْ سَبَباً فِي انْتِشَارِ هٰذِهِ الْأَمْرَاضِ وَالْوَيْلَاتِ . وَمَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً مِمَّنْ يَعَافُ زَوْجَتَهُ الطَّاهِرَةَ السَّاهِرَةَ عَلَى مَصَالِحِهِ وَخِدْمَتِهِ وَتَرْبِيَةِ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)

قُلُوبٌ قَدْ خَتَمَ اللهُ عَلَيْهَا بِحُبِّهَا الشَّهَوَاتِ ، وَبُطُونٌ بِأَكْلِ الْحَرَامِ وَنُطَفِ الْحَرَامِ مَمْلُوءَاتٌ ، وَمُومِسَاتٌ مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ مُرِيحَاتٌ مُسْتَرِيحَاتٌ ، وَمُؤْمِنَاتٌ عَفِيفَاتٌ جَائِعَاتٌ عَارِيَاتٌ ، مُخَدَّرَاتٌ طَاهِرَاتٌ ، قَدْ أَصْبَحْنَ بِمَا يَنْقُلُهُ إِلَيْهِنَّ أَزْوَاجُهُنَّ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُعْدِيَةِ مُصَابَاتٌ (فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) .

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى « وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً » « وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ » « وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ قِيلاً » « إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ » « وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ

فُرُوجَهُنَّ » «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ » .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَيُّ ذَنْبٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ فَقَالَ ﷺ «أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًا وَهُوَ خَلَقَكَ ، قَالَ ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يُطْعَمَ مَعَكَ قَالَ ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ أَنْ تَزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ » فَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ) .

الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ . جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ إِذَا ذُكِّرَ بِاللهِ ادَّكَرَ ، وَإِذَا زُجِرَ عَنِ الشَّرِّ انْزَجَرَ ، وَإِذَا رَغِبَ فِي الْخَيْرِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ وَشَمَّرَ «الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ » .

الخطبة التاسعة والثلاثون

في التَّحْذِيرِ مِنَ اللِّوَاطِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ وَالْخَنَا ، وَحَرَّمَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا بِلَا اسْتِثْنَاءِ ، وَشَدَّدَ فِي اللِّوَاطِ وَالزِّنَا ، وَإِتْيَانِ الْبَهَائِمِ وَالاسْتِمْنَاءِ . وَقَالَ تَعَالَى (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) وَقَالَ تَعَالَى (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ وَالْهِدَايَةَ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ الْخُذْلَانِ وَالْغِوَايَةِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَمَرَنَا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَنَهَانَا عَنْ صِفَاتِ الْفُسَّاقِ وَأَهْلِ الْعِمَايَةِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِأَشْرَفِ مَقْصِدٍ وَأَسْمَى غَايَةٍ ، وَالْمُخَاطَبُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ بِهَذِهِ الْآيَةِ (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْقَائِلِ : إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْقَائِمِينَ بِنُصْرَةِ دِينِهِ وَالْمُتَرَفِّعِينَ عَنِ الانْحِطَاطِ وَالسُّقُوطِ ، وَالْمُنَزَّهَةِ أَلْسِنَتُهُمْ عَنِ الْقَوْلِ الْمَغْلُوطِ ، وَأَفْعَالُهُمْ عَنِ الْعَمَلِ الْمَحْبُوطِ ، وَعَلَى

التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي الْتِزَامِ الشَّرْطِ وَالْمَشْرُوطِ ، وَعَلَى الرَّاغِبِينَ فِيمَا عِنْدَ اللهِ بِلاَ كَسَلٍ ، وَالرَّاهِبِينَ مِمَّا لَدَيْهِ بِلَا قُنُوطٍ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً) .

عِبَادَ اللهِ : ذُنُوبُ اللِّوَاطِ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ ، تَمْنَعُ غَيْثَ السَّمَاءِ وَتُغْضِبُ الرَّبَّ عَلَى الْمَرْبُوبِ ، وَيَضِيقُ بِهَا الْفَضَاءُ ، وَتَعِجُّ لَهَا السَّمَاءُ ، وَتَنْقَطِعُ بِهَا الْعُرَى ، وَيَحِلُّ بِهَا الْبَلَاءُ وَمُدْلَهِمَّاتُ الْخُطُوبِ ، فَكَشْفُ حَالٍ ، وَسُوءُ مَآلٍ ، وَدَاءٌ عُضَالٌ وَقُبْحُ أَفْعَالٍ ، وَعَيْبٌ دُونَهُ سَائِرُ الْعُيُوبِ ، تَمُوتُ بِهِ الْفَضِيلَةُ وَتَحْيَا بِهِ الرَّذِيلَةُ ، وَتَتَفَتَّتُ عَلَى أَهْلِهِ الْأَكْبَادُ ، وَتَذُوبُ مِنْ أَجْلِهِمْ حَبَّاتُ الْقُلُوبِ ، فَعَمَلٌ مَسْبُوبٌ ، وَوَضْعٌ مَقْلُوبٌ ، وَفَاعِلٌ مَلْعُونٌ ، وَمَفْعُولٌ بِهِ عَلَيْهِ مَغْضُوبٌ ، وَخُلُقٌ فَاسِدٌ وَشَرَفٌ مَسْلُوبٌ ، وَعِرْضٌ مُمَزَّقٌ وَكَرَامَةٌ مَفْقُودَةٌ ، وَزُهْرِيٌّ وَسَيَلَانٌ وَمَالٌ مَنْهُوبٌ وَ « ذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً » .

كَانَتْ أُمَّةٌ قَدِيمٌ عَصْرُهَا بَاقٍ ذِكْرُهَا كَثِيرٌ شَرُّهَا تَسْكُنُ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ ، تَرْتَكِبُ هَذِهِ الْجَرِيمَةَ عَلَناً ، وَتُحَارِبُ رَبَّهَا بِاقْتِرَافِ هَذِهِ الْآثَامِ ، يَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ، وَيَذَرُونَ مَا خَلَقَ اللهُ لَهُمْ لَا يُبَالُونَ بِعَتْبِ الْعَاتِبِينَ ، وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ اللُّوَّامِ ، فَبَعَثَ اللهُ فِيهِمْ لُوطَ بْنَ هَارَانَ بْنَ آزَرَ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ فَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، وَحَذَّرَهُمْ مِنَ

اللِّوَاطِ أَبْلَغَ تَحْذِيرٍ وَتَوَعَّدَ عَلَيْهِ بِعَذَابِ اللهِ وَأَغْلَظَ لَهُمْ فِيهِ الْكَلَامَ «فَمَا كَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ» وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ السُّفَهَاءُ بِأُولِي الْأَحْلَامِ ، فَخَسَفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّينٍ ، مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، وَأَشَدُّ السُّخْطِ وَالانْتِقَامِ (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيماً وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً ، يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً) .

أَلَا تَرَى أَيُّهَا الْمُسْلِمُ كَيْفَ فَعَلَ اللهُ بِأُمَّةٍ اسْتَغْنَتِ النِّسَاءُ فِيهَا بِالنِّسَاءِ ، وَاقْتَصَرَ الرِّجَالُ مِنْهَا عَلَى الرِّجَالِ . لَقَدْ خَبُثَتْ سَرَائِرُهُمْ ، وَسَاءَتْ مَظَاهِرُهُمْ ، وَمَاتَتْ ضَمَائِرُهُمْ ، وَقَبُحَتْ مَنَاظِرُهُمْ ، وَضُرِبَتْ بِهِمُ الْأَمْثَالُ ، فِي سُوءِ الْمَقَالِ وَخُبْثِ الْفِعَالِ ، فَصَبَّحَهُمْ عَذَابُ اللهِ بُكْرَةً مِنْ فَوْقِهِمْ بِالْحِجَارَةِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ بِالْخَسْفِ ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ يَلْطِمُونَ وُجُوهَهُمْ مِنْ ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ ، وَاللهُ شَدِيدُ الْمِحَالِ ، وَمَا ذَكَرَ اللهُ أَخْبَارَهُمْ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ إِلاَّ لِنَعْتَبِرَ بِمَا أَصَابَهُمْ وَنَتَجَنَّبَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَقَبِيحِ الْخِصَالِ . وَلَوْ أَنَّ أُمَّةً جَاءَتْ مِنْ بَعْدِنَا وَقَصَّ اللهُ عَلَيْهِمْ أَخْبَارَنَا وَحَدَّثَهُمْ عَنْ فِعَالِنَا لَرَأَوْنَا أَشْرَارًا وَحَسِبُونَا فُجَّارًا وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شِرَارِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ . وَكَمَا شَهِدْنَا عَلَى غَيْرِنَا فَسَيَشْهَدُ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ : يَوْمَ لَا يَنْفَعُ أَهْلٌ وَلَا بَنُونَ وَلَا أَمْوَالٌ (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً

فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً » .

سُبْحَانَ اللهِ كَيْفَ يَقَعُ رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا فِي ذٰلِكَ مِنْ مُخَالَفَةِ الْعَقْلِ وَالدِّينِ وَمَا فِيهِ مِنْ مَرَضٍ خَطِيرٍ وَشَرٍّ مُسْتَطِيرٍ ، وَكَيْفَ يَتَشَبَّهُ الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ وَتَتَشَبَّهُ النِّسَاءُ بِالرِّجَالِ ، فِي أُمَّةٍ كِتَابُهَا الْقُرْآنُ وَنَبِيُّهَا الْمَبْعُوثُ مُتَمِّماً لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَالْمُوحَى إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) هٰذَا وَاللهِ مَا تَتَرَفَّعُ عَنْهُ طِبَاعُ الْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ ، بَلْ وَالْكِلَابِ وَالْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ ، وَمَا ظَهَرَ اللِّوَاطُ فِي أُمَّةٍ إِلاَّ أَذَلَّهَا اللهُ وَأَخْزَاهَا وَسَلَبَ عِزَّهَا وَأَذَاقَهَا لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ، وَكَثْرَةُ الذُّنُوبِ وَفَسَادُ أَخْلَاقِ الشُّعُوبِ يَرْجِعُ كُلُّهُ إِلَى الْجَهْلِ أَحْيَاناً وَإِلَى الْفَقْرِ الْمُدْقِعِ أَحْيَاناً وَإِلَى كَثْرَةِ الْمَالِ عِنْدَ السُّفَهَاءِ وَأَهْلِ التَّبْذِيرِ وَهٰذَا هُوَ الْكَثِيرُ ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ إِهْلَاكَ قَرْيَةٍ فَسَقَ فِيهَا الْمُتْرَفُونَ فَاسْتَحَقَّتِ الْخَرَابَ وَالتَّدْمِيرَ ، وَمَنْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ ، وَغَابَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ عَنْ ذَاكِرَتِهِ ، حَفِظَتْهُ أَيْدِي الْمَنُونِ وَعِنْدَهُ الْمَالُ وَالْبَنُونَ ، فَمَا يَمْلِكُونَ لَهُ مِنْ قِطْمِيرٍ ، وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (إِنَّ هٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ، نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً) .

لَقَدْ بَلَغَتْ بِنَا الْحَالَةُ إِلَى أَنْ أَصْبَحْنَا نَخَافُ عَلَى الصِّبْيَانِ وَالْأَمْرَدِ مِنَ الْغِلْمَانِ أَكْثَرَ مِنْ خَوْفِنَا عَلَى الْبَنَاتِ الشَّابَّاتِ ، وَلَقَدْ أَصْبَحَ الْمُتْرَفُ عَابِثاً بِمَنْ يَلُوطُ بِهِ أَوْ يَزْنِي بِهَا لِمَا يَدْفَعُهُ مِنْ تِلْكَ الدُّرَيْهِمَاتِ ،

فَلَا دِينَ يَمْنَعُهُ وَلَا وَازِعَ يَرْدَعُهُ وَلَا غِيرَةَ فِي مُوَاطِنِيهِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِ مِنَ الآفَاتِ وَالْمَصَائِبِ وَالْوَيْلَاتِ ، وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ كَالْأَمْوَاتِ ، أَوْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ أَوْ خُشُبٌ مُسَنَّدَاتٌ ، نَبِّئُونِي مَاذَا يَكُونُ فِي الْمَخَابِىءِ وَالْمُنْعَطَفَاتِ وَعَلَى الشَّوَاطِىءِ وَفِي الْمُسْتَحَمَّاتِ ، بَلْ وَمَاذَا يَكُونُ مِنَ الْفَوَاحِشِ عَلَى الطُّرُقِ الْعَامَّةِ وَبِمَرْأَى وَمَسْمَعٍ مِنَ الآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ، فَيَا رِجَالَ الْإِصْلَاحِ وَيَا أَسَاتِذَةَ الْمَدَارِسِ وَيَا كُتَّابَ الْجَرَائِدِ وَالْمَجَلَّاتِ ، وَيَا حَمَلَةَ الشَّرِيعَةِ وَحُفَّاظَ الْأَحَادِيثِ وَالآيَاتِ ، اعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَنْ أُمَّتِكُمْ مَسْئُولُونَ ، وَعَلَى مَا يَكُونُ مِنْهُمْ مُحَاسَبُونَ ، فَأَجْرٌ عَلَى الْحَسَنَاتِ وَوِزْرٌ عَلَى السَّيِّئَاتِ (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً ، السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً) .

كَيْفَ تَغَارُ عَلَى أَهْلِكَ يَا مُرْتَكِبَ الْفَاحِشَةِ إِذَا سَمِعْتَ أَنَّهُمْ يَزْنُونَ ، وَكَيْفَ يَتَغَيَّرُ مِزَاجُكَ إِذَا بَلَغَكَ عَنْ أَوْلَادِكَ أَنَّهُمْ فِي اللُّوَاطِيَّةِ وَاقِعُونَ ، وَبِمِثْلِ مَا تَفْعَلُ أَنْتَ يَفْعَلُونَ وَمَنْ زَنَى زُنِيَ بِأَهْلِهِ وَلَوْ عَلَى أَعْتَابِ دَارِهِ وَكَمَا يَكُونُ فِيكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَفِي أَهْلِكَ يَكُونُ ، وَإِذَا فَسَدَ الرَّاعِي فَسَدَتْ رَعِيَّتُهُ ، وَالْمُطْرِبُ أَهْلُهُ رَاقِصُونَ ، وَمَا جَعَلَ اللهُ حَدَّ الزِّنَا وَاللِّوَاطِ الْجَلْدَ وَالرَّجْمَ إِلَّا لِيَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ فَسَادِ الزَّانِيَةِ وَالْمَأْبُونِ ، وَلَوْ أُقِيمَتْ حُدُودُ اللهِ مَا كَثُرَ الْخُبْثُ وَلَا ظَهَرَ الْمَلْعُونُ بِالْفَاحِشَةِ وَالْمُجُونِ ، وَيَا لَلْعَجَبِ مِنْ رَجُلٍ يَسُدُّ أَنْفَهُ إِذَا شَمَّ رَائِحَةَ الْغَائِطِ وَهُوَ الْمَفْتُونُ ، يَبْحَثُ عَنْهُ بِقَرْنِهِ وَظِلْفِهِ ، فَقَبَّحَ اللهُ تِلْكَ الْأَظْلَافَ

وَلَعَنَ اللهُ تِلْكَ الْقُرُونَ ، كَيْفَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ بَابَهُ ، وَيُلَوِّثُ بِهِ جِسْمَهُ وَثِيَابَهُ ، وَيُفَضِّلُ ذَلِكَ عَلَى طَهَارَةِ زَوْجَتِهِ الْعَفِيفَةِ فَيَالَهُ مَمْحُونٌ ، وَمَعْتُوهٌ وَمَجْنُونٌ (أَفَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً) .

قَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : لَوْلَا أَنَّ اللهَ ذَكَرَ اللُّوطِيَّةَ فِي كِتَابِهِ مَا صَدَّقْتُ أَنَّ رَجُلاً يَقَعُ عَلَى رَجُلٍ ، وَقَدْ أَحْرَقَ بِالنَّارِ مَنْ يَفْعَلُ هَذِهِ الْفَاحِشَةَ . وَقَبْلَهُ أَحْرَقَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ . وَجَاءَ كِتَابٌ مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَذْكُرُ فِيهِ أَنْ قَدْ وَجَدَ رَجُلاً بِضَوَاحِي الْعَرَبِ يُنْكَحُ كَمَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ ، فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ الصَّحَابَةُ وَاسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَحْرِقُوهُ بِالنَّارِ . وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي كَيْفِيَّةِ قَتْلِهِ مَعَ اجْمَاعِهِمْ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ بَعْدَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْحَرِيقَ كَمَا يُفْعَلُ بِالْإِبَاحِيِّ وَالزِّنْدِيقِ (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ، يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ » وَقَالَ ﷺ « إِذَا ظُلِمَ أَهْلُ الذِّمَّةِ كَانَتِ الدَّوْلَةُ دَوْلَةَ الْعَدُوِّ ، وَإِذَا كَثُرَ الزِّنَا كَثُرَ السِّبَاءُ ، وَإِذَا كَثُرَتِ اللُّوطِيَّةُ رَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَدَهُ عَنِ الْخَلْقِ فَلَا يُبَالِي فِي أَيِّ وَادٍ هَلَكُوا » وَقَالَ ﷺ « أَرْبَعَةٌ يُصْبِحُونَ فِي غَضَبِ اللهِ وَيُمْسُونَ فِي سَخَطِ اللهِ : الْمُتَشَبِّهُونَ

مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، وَالْمُتَشَبِّهَاتُ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ ، وَالَّذِي يَأْتِي الْبَهِيمَةَ ، وَالَّذِي يَأْتِي الرِّجَالَ » .)أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) .

الخطبة الأربعون

فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْخَمْرِ

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ ، وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ ، وَزَيَّنَهُ بِالْعَقْلِ وَشَرَّفَهُ بِالإِيمَانِ ، وَمَيَّزَهُ بِالْعَقْلِ وَاللِّسَانِ ، عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى أَدَّبَنَا بِالْقُرْآنِ ، وَخَاطَبَنَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) .

وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ أَمَرَنَا بِالْخَيْرِ وَالإِحْسَانِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ وَحُسْنِ الْبَيَانِ ، وَالْقَائِلُ ﷺ ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ «الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَالْمَنَّانُ» .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ قَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ إِلَى الْجِنَانِ ، وَالآخِذِ بِحُجَزِ النَّاسِ وَهُمْ يَتَهَافَتُونَ فِي النِّيرَانِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ

وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُولِي الْعِرْفَانِ ، مَا تَعَاقَبَ الْجَدِيدَانِ ، وَتَتَابَعَ النَّيِّرَانِ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْخَمْرَ إِلاَّ لِمَا فِيهَا مِنَ الْخَطَرِ ، وَمَا مَنَعَكُمْ مِنْ شُرْبِهَا إِلاَّ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الضَّرَرِ ، فَشَارِبُهَا مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَبَائِعُهَا وَشَارِبُهَا وَعَاصِرُهَا وَمُعْتَصِرُهَا وَسَاقِيهَا كَذَلِكَ مَلْعُونُونَ فِي صَحِيحِ الْخَبَرِ . وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ «مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ الْأَوْثَانِ» .

شَارِبُ الْخَمْرِ مُفْسِدٌ لِدِينِهِ وَصِحَّتِهِ ، وَجَانٍ عَلَى نَفْسِهِ وَأَقَارِبِهِ وَأَهْلِهِ ، وَمُفَرِّطٌ فِي مَالِهِ وَعَابِثٌ بِكَرَامَتِهِ وَفَضْلِهِ ، وَسَاعٍ إِلَى الشَّرِّ وَالْفَسَادِ بِيَدِهِ وَرِجْلِهِ ، وَصَائِلٌ خَبِيثٌ عَلَى الْأَخْلَاقِ وَالْأَدْيَانِ .

شَارِبُ الْخَمْرِ عُضْوٌ مَسْمُومٌ فِي جِسْمِ مُوَاطِنِيهِ ، إِذَا لَمْ يُعَالِجُوهُ أَوْ يَقْطَعُوهُ أَصَابَهُمْ مَا فِيهِ ، يُزَيِّنُ الشَّرَّ وَيُحَسِّنُهُ لِبَنَاتِهِ وَبَنِيهِ ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ زُمَلَاءَهُ وَأَقْرَانَهُ وَمَنْ يُوَالِيهِ ، وَدَاعِي الْفَسَادِ مُجَابٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الافْتِتَانِ .

إِذَا دَبَّتِ الْخَمْرُ فِي رَأْسِ شَارِبِهَا وَفَقَدَ الشُّعُورَ ، زَنَى وَلَاطَ وَجَاءَ بِأَنْوَاعِ الْفُحْشِ وَالْفُجُورِ ، وَسَبَّ وَشَتَمَ وَلَعَنَ الدِّينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ الْمَخْمُورُ ، وَرُبَّمَا اقْتَرَفَ الْإِثْمَ مَعَ إِحْدَى مَحَارِمِهِ ، وَارْتَكَبَ الْمُوبِقَاتِ بَيْنَ الْقُبُورِ ، وَإِنَّهُ لَيَكْفُرُ بِاللهِ وَيَتْرُكُ الصَّلَاةَ وَيُفْطِرُ رَمَضَانَ وَيَسُبُّ الْقُرْآنَ وَمَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ .

وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ «يَبِيتُ قَوْمٌ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى طُعْمٍ وَشُرْبٍ وَلَهْوٍ وَلَعِبٍ فَيُصْبِحُوا قَدْ مُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ» وَلاَ أَظُنُّ هٰذَا الْآنَ إِلاَّ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقِيلُونَ وَيَسْمُرُونَ عَلَى هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ ، وَمَا ثَمَّ مِنْ نَكِيرٍ ، فَهَلْ نَسِيَ الْمُسْلِمُونَ دِينَهُمْ ، وَاسْتَبْدَلُوا النَّعِيمَ الْيَسِيرَ بِمَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ وَالْفَضْلِ الْكَبِيرِ ، وَهَلْ أَمِنْتَ مَكْرَ اللهِ وَأَنْ يَخْسِفَ بِكَ الْأَرْضَ ، أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكَ صَاعِقَةً مِنَ السَّمَاءِ أَيُّهَا السَّكْرَانُ .

أَمَا تَسْتَحِي مِنْ وُقُوفِكَ خَاضِعاً ذَلِيلاً بَيْنَ يَدَيِ الْخَمَّارِ ، وَهُوَ يَأْخُذُ مَالَكَ وَيَسْتَخِفُّ بِكَ حَتَّى إِذَا أَخَذَكَ السُّكَارُ ، صَفَعَ عَنْكَ الْقَفَا وَزَجَرَكَ زَجْرَ الْحِمَارِ ، فَتَخْرُجُ بَعْدَ ذَلِكَ ثَمِلاً نَشْوَاناً مُدَنَّساً بِالْأَقْذَارِ ، تُقَهْقِهُ كَالْقِرْدِ فَتَسُبُّكَ النِّسَاءُ وَيَسْخَرُ بِكَ الصِّبْيَانُ .

مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ وَإِنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ تَلَذَّذَ بِهَا فِي الدُّنْيَا لَمْ يَتَلَذَّذْ بِهَا فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ وَعَدَهُمُ اللهُ بِأَنْهَارٍ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٍ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . فَيَا مُتَشَبِّهاً بِالْحَيَوَانَاتِ ، وَيَا مُتَخَلِّقاً بِأَخْلَاقِ الْمَجَانِينِ ، تُبْ إِلَى اللهِ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، قَبْلَ أَنْ تَلْقَاهُ وَهُوَ عَلَيْكَ غَضْبَانٌ ، وَتَدَبَّرْ قَوْلَ رَبِّكَ تَعَالَى (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) وَتَذَكَّرْ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْخَمْرِ (فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) وَلَا يَخْدَعَنَّكَ

الشَّيْطَانُ بِأَنَّهَا تَزِيدُ فِي الدَّمِ وَتُنَقِّي الْبَشَرَةَ وَتُرِيحُ أَصْحَابَهَا مِمَّا يُعَانُونَ، وَلَا يَغُرَّنَّكَ أَنَّ أَهْلَهَا هُمُ الْعُظَمَاءُ وَالْقَادَةُ وَالْمُفَكِّرُونَ ، فَلَوْ عَقَلُوا لَمَا فَعَلُوا ، وَلَوْ فَكَّرُوا لَمَا سَكِرُوا ، وَلَكِنَّهُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمُ الشَّيْطَانُ الْمَلْعُونُ . وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «مَنْ زَنَى أَوْ شَرِبَ الْخَمْرَ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ الْإِيمَانَ » وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «أَرْبَعَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ وَلَا يُذِيقَهُمْ نَعِيمَهَا : مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَآكِلُ الرِّبَا ، وَآكِلُ مَالِ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَالْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ » .

جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ إِذَا خُوِّفَ بِاللهِ نَدِمَ وَخَافَ ، وَرَزَقَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْإِنَابَةِ وَالْإِنْصَافِ ، مَا يُلْحِقُنَا بِصَالِحِ الْأَسْلَافِ . آمِينَ .

الخطبة الحادية والاربعون

ظُلْمُ الْعِبَادِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، بِيَدِهِ الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ الْخَبِيرُ الْعَلِيمُ بِخَائِنَةِ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الضَّلَالِ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ حَرَّمَ الزُّورَ وَالْحِيلَةَ وَالاخْتِيَالَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِحِفْظِ الْحُقُوقِ وَاحْتِرَامِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْكَامِلِ الْمُكَمِّلِ ، وَسَيِّدِ الآخِرِ وَالْأَوَّلِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ أُولِي الشَّرَفِ الرَّفِيعِ وَالْمَجْدِ الْمُؤَثَّلِ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ ، فَقَالَ تَعَالَى (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ) وَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » وَالظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُرْفَعُ عَلَى الْغَمَامِ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) .

ذُنُوبُ الْعِبَادِ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَ اللهِ فِي ثَلَاثَةِ دَوَاوِينَ : دِيوَانٌ لَا يُغْفَرُ وَهُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ ذِي الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ، وَدِيوَانٌ لَا يُتْرَكُ وَفِيهِ حُقُوقُ الْعَالَمِينَ ، وَمَا لِلْمَظْلُومِينَ عَلَى الظَّالِمِينَ ، وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ، وَدِيوَانٌ إِلَى اللهِ يَغْفِرُ مَا فِيهِ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ عَلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَالَمِينَ ، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ ذُنُوبُكَ مَعَ اللهِ وَمَا يَقَعُ مِنْكَ مِنَ الْإِهْمَالِ وَالتَّقْصِيرِ فِي وَاجِبَاتِ الدِّينِ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ

حِينٍ (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ، كِرَاماً كَاتِبِينَ) (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) .

أَلَا وَإِنَّ شَهَادَةَ الزُّورِ لَمِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ وَأَكْبَرِ الْفُجُورِ ، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ ، فَقَالَ تَعَالَى (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ ضَيَاعِ الْحُقُوقِ وَظُلْمِ الْمَسَاكِينِ وَالتَّغْرِيرِ بِالْحُكَّامِ وَوُلَاةِ الْأُمُورِ ، فَيَا مُسْتَحِلاً مِنْ أَخِيهِ مَا حَرَّمَهُ اللهُ لَقَدْ بُؤْتَ بِالْخُسْرَانِ وَالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ ، وَيَا بَائِعاً دِينَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ دَفَعْتَ الْكَثِيرَ ، وَأَخَذْتَ الْقَلِيلَ وَغَرَّكَ الشَّيْطَانُ وَحُبُّكَ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ، وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) .

شَاهِدُ الزُّورِ غَشَّاشٌ مَكَّارٌ خَدَّاعٌ كَذَّابٌ ، فَاجِرٌ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ ، مُرِيبٌ مُرْتَابٌ ، مُخَالِفٌ لِأَوَامِرِ اللهِ ، مُسْتَخِفٌ بِوَعِيدِ السُّنَّةِ وَالْكِتَابِ ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ مِنَ الْأَسْبَابِ ، وَعَمَّا قَرِيبٍ يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ وَيَصُبُّ عَلَيْهِ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ، إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ، وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) .

شَاهِدُ الزُّورِ يَخُونُ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ وَالصَّاحِبَ وَالصَّدِيقَ ، وَيَمْكُرُ بِالْجَارِ وَالْجَلِيسِ وَالزَّمِيلِ وَالرَّفِيقِ ، وَيَحْلِفُ بِاللهِ كَاذِباً وَيَجْعَلُ الْحَقَّ

بَاطِلًا ، وَيَنْقُضُ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ ، وَيَشْتَرِكُ فِي الْفَسَادِ مَعَ الْقَاتِلِ وَالسَّارِقِ وَقَاطِعِ الطَّرِيقِ ، وَيَضُرُّ النَّاسَ أَكْثَرَ مِنْ ضَرَرِ الْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ وَالزِّنْدِيقِ (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) .

ذَهَابُ النُّفُوسِ وَسَفْكُ الدِّمَاءِ وَهَتْكُ الْأَعْرَاضِ وَضَيَاعُ الْأَمْوَالِ ، وَاخْتِلَالُ الْأَمْنِ وَانْتِشَارُ الْفَوْضَى بِالْخِصَامِ وَالْجِدَالِ ، وَالنَّهْبِ وَالسَّلْبِ وَالْقِتَالِ ، وَفَسَادُ الْحَالِ وَالْمَآلِ يَجُرُّ إِلَيْهِ جَمِيعاً وَيُوقِعُ النَّاسَ فِيهِ شَهَادَةُ الزُّورِ ، وَخُلْفُ الْوُعُودِ ، وَنَكْثُ الْعُهُودِ ، وَالاسْتِخْفَافُ بِذِي الْجَلَالِ ، وَشَارِعِ الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ، وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ، وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ) .

أَلَا وَإِنَّ مِنَ الزُّورِ ظُلْمُ الْعِبَادِ بِالْغِشِّ وَالْخِدَاعِ فِي التِّجَارَةِ ، وَنَهْبُ أَمْوَالِهِمْ بِالْمَطْلِ وَالْحِيَلِ فِي الْبَيْعِ وَالرَّهْنِ وَالْإِجَارَةِ ، وَرِزْقُ الْحَرَامِ لَا يَذْهَبُ إِلَّا كَمَا جَاءَ فِي الْحَرَامِ وَالتَّبْذِيرِ وَالْخَسَارَةِ ، وَيَا رُبَّ جَامِعٍ لِلدُّنْيَا حَرِيصٍ عَلَى جَمْعِهَا لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ ، قَدْ فَارَقَهَا وَلَمْ يَسْتَلِذَّ مِنْهَا بِشَيْءٍ غَيْرَ تَعَبِ الْكَسْبِ وَالْعِمَارَةِ ، وَتَرَكَهَا لِوَرَثَةٍ أَشْرَارٍ وَأَوْصِيَاءَ فُجَّارٍ فَبِئْسَتِ الْوِرَاثَةُ وَبِئْسَتِ النِّظَارَةُ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) .

قَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَى نَفْسِهِ الظُّلْمَ وَجَعَلَهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلَا تَظَالَمُوا

يَا أُولِي الْأَحْلَامِ . فَمَنْ أَكَلَ الْحَرَامَ وَشَرِبَ الْحَرَامَ وَلَبِسَ الْحَرَامَ وَتَمَتَّعَ بِالْحَرَامِ ، فَإِنَّ اللهَ يُحَاسِبُهُ عَلَى ذٰلِكَ وَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْرًا ، وَيَقْتَصُّ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ وَيَأْخُذُ مِنْهُ بِالْحَقِّ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ . قَالَ تَعَالَى (لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ، مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) .

الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثاً : الْإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ وَقَوْلُ الزُّورِ » وَكَانَ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ وَجَنَّبَنِي وَإِيَّاكُمْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَالْفَاسِقِينَ وَأَرْشَدَنَا جَمِيعاً إِلَى مُتَابَعَةِ الْمُتَّقِينَ . (الآيَةُ) «وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ، وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُماً وَعُمْيَاناً » .

الخطبة الثانية والاربعون

نِدَاءُ الشَّبَابِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الشَّبَابَ حُمَاةَ الْأَوْطَانِ ، وَنَصَرَ بِهِمُ الشَّرَائِعَ

وَالْأَدْيَانَ ، وَأَظْهَرَ بِهِمُ الْحَقَّ فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ رُوَاةَ الْحَدِيثِ وَحَمَلَةَ الْقُرْآنِ ، وَرَفَعَ بِهِمْ رَايَةَ التَّوْحِيدِ عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَحَفِظَ بِهِمُ الْآدَابَ وَالْأَخْلَاقَ وَالْأَعْرَاضَ وَالْأَنْسَابَ .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْأَلُهُ إِصْلَاحَ شَبَابِنَا الْحَاضِرِ ، وَأَنْ يُعِيدَ لَنَا بِمَاضِي عَزِيمَتِهِمُ الْعِزَّ السَّالِفَ وَالْمَجْدَ الْغَابِرَ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ ، الْأَوَّلُ الْآخِرُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُؤَيَّدُ بِالْقُرْآنِ وَبِالشَّبَابِ الطَّاهِرِ .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مِنْ أَنْصَارِيٍّ وَمُهَاجِرٍ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَجَمِيلِ الْآدَابِ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، إِذَا دَرَسْتُمُ التَّارِيخَ وَسِيرَةَ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَجَدْتُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ بَادِيَ الرَّأْيِ هُمُ الشَّبِيبَةُ الْفَتِيَّةُ ، أُولِي الْهِمَمِ الْعَلِيَّةِ ، وَالنُّفُوسِ الطَّاهِرَةِ الزَّكِيَّةِ ، وَهُمُ الْأَرْبَعُونَ السَّابِقُونَ إِلَى الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَالتَّعَالِيمِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَهُمُ الَّذِينَ زَعْزَعَ اللهُ بِهِمُ الْعُرُوشَ الْقَيْصَرِيَّةَ ، وَالْأَسِرَّةَ الْكِسْرَوِيَّةَ ، فَحَيَّاكُمُ اللهُ يَا شُبَّانُ وَحَيَّ اللهُ أَعْمَالَ الشَّبَابِ .

بِمَاضِي عَزِيمَتِكُمْ تُحَقَّقُ الْأَعْمَالُ ، وَبِهِمَّتِكُمُ الْعَالِيَةِ تُدْرَكُ الْأَطْمَاعُ وَتُنَالُ ، وَعَلَى كَوَاهِلِكُمُ الْمَتِينَةِ تُحْمَلُ الْأَثْقَالُ ، وَبِسَوَاعِدِكُمُ الْقَوِيَّةِ

تَكُونُ الصِّنَاعَةُ وَالْأَعْمَالُ ، وَأَنْتُمُ التُّجَّارُ وَالزُّرَّاعُ وَالْعُلَمَاءُ وَالْأَبْطَالُ ، وَأَنْتُمُ الشُّعَرَاءُ وَالْخُطَبَاءُ وَالصَّحَافِيُّونَ وَالْكُتَّابُ .

فَيَا أُسُسَ الْمَجْدِ وَدَعَائِمَ الشَّرَفِ ، وَيَا خَيْرَ خَلَفٍ لِخَيْرِ سَلَفٍ ، لَا يَجْرِفَنَّكُمْ سَيْلُ الْمَدَنِيَّةِ الْخَبِيثَةِ فِيمَنْ جَرَفَ ، وَلَا تَشْتَغِلُوا عَنِ الْوَاجِبَاتِ بِأَسْبَابِ الرَّاحَةِ وَالتَّرَفِ ، وَلَا يَصْرِفَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ عَنْ صِفَاتِ الرُّجُولَةِ وَتَقَالِيدِكُمُ الْقَوْمِيَّةِ فِيمَنْ صَرَفَ ، فَيَذْهَبَ عِزُّكُمْ وَيَحِلَّ بِكُمُ الدَّمَارُ وَالتَّلَفُ ، وَلَا تَتَشَبَّهُوا بِالنِّسَاءِ فِي تَصْفِيفِ الشُّعُورِ وَتَنْسِيقِ الثِّيَابِ .

تُرَابُ الْعَمَلِ يَا شَبَابُ خَيْرٌ مِنْ زَعْفَرَانِ الْبَطَالَةِ ، وَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ السَّبَهْلَلُ الَّذِي يُضَيِّعُ دِينَهُ وَنَفْسَهُ وَعِيَالَهُ ، وَشَرُّ الْبِلَادِ بِلَادٌ يُصَابُ أَهْلُهَا بِالْفَقْرِ وَالْجَهَالَةِ ، وَحَالَةٌ كَهٰذِهِ الَّتِي تَرَوْنَ عَلَيْهَا بِلَادَكُمُ الْيَوْمَ لَهِيَ بِئْسَتِ الْحَالَةُ ، فَجَهْلٌ وَذُلٌّ وَفَقْرٌ وَمَسْكَنَةٌ وَتَقْصِيرٌ وَإِعْجَابٌ .

مَنْ لِلْبُيُوتِ وَالْعَائِلَاتِ إِذَا مَاتَ أَصْحَابُهَا ؟ وَمَنْ لِهٰذِهِ الْأَمْوَالِ يَحْفَظُهَا وَيُنَمِّيهَا إِذَا مَاتَ أَرْبَابُهَا ؟ وَمَنْ يَحِلُّ مَحَلَّ الشُّيُوخِ وَالرُّؤَسَاءِ فِي الْأَوْطَانِ إِلَّا شَبَابُهَا ؟ مَنْ لِلْفَضَائِلِ وَالْفَوَاصِلِ وَالْمَرَاتِبِ الْعَلِيَّةِ إِذَا عَزَّ طُلَّابُهَا ؟ مَنْ لِلْمَسَاجِدِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْمَرَاتِبِ وَالْمَنَاصِبِ إِلَّا الشَّبَابُ .

إِذَا اجْتَمَعَ الشُّيُوخُ وَالشُّبَّانُ فِي الْمَسَاجِدِ لِلْجُمَعِ وَالْجَمَاعَاتِ ، تَبَادَلُوا الْآرَاءَ فِيمَا يَعُودُ عَلَى الْأُمَّةِ بِالْخَيْرِ وَالْمَسَرَّاتِ ، وَإِذَا عَرَفَ

الْأَبْنَاءُ حَقَّ آبَائِهِمْ عَلَيْهِمْ ، وَعَرَفَ الآبَاءُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ لِلْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ ، وَتَكَاتَفَ الْجَمِيعُ عَلَى الْوَاجِبَاتِ وَالْمُهِمَّاتِ ، حَصَلَ الْمُرَادُ وَصَلَحَتِ الْبِلَادُ وَاسْتَقَامَتِ الْأُمُورُ عَلَى أَحْسَنِ الْحَالَاتِ ، أَلَا فَلْيُوَقِّرِ الصَّغِيرُ مِنْكُمُ الْكَبِيرَ ، وَلْيَرْحَمِ الْكَبِيرُ مِنْكُمُ الصَّغِيرَ (وَاتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) .

وَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ يَا مُسْلِمُونَ ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ يَا مُؤْمِنُونَ ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ، وَاقْطَعُوا دَابِرَ الْفَسَادِ وَحَارِبُوا أَهْلَ الْإِلْحَادِ وَكُونُوا كَالْبُنْيَانِ أَوْ كَالْبَنَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً وَقُولُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ، فَوَحِّدُوا الْكَلِمَةَ وَاجْمَعُوا شَمْلَ الْأُمَّةِ وَاقْضُوا عَلَى مَا تَرَوْنَهُ فِي الْبِلَادِ مِنْ أَحْزَابٍ .

يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ ، وَمَنْ تَزَوَّجَ فَلْيَعْرِفْ مَا لِزَوْجَتِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْحُقُوقِ يَا أَهْلَ الْحِجَا ، وَلَا تَسْتَبْدِلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ، وَالْقَبِيحَ بِالْحَسَنِ ، وَالْحَرَامَ بِالْحَلَالِ إِذَا غَسَقَ اللَّيْلُ أَوْ سَجَا وَعَلِّمُوا نِسَاءَكُمُ الدِّينَ وَكَيْفَ يَعِشْنَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ، وَهَذِهِ غَايَةُ الرَّجَاءِ ، وَلَا يَتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ، فَيَظْهَرَ مَا تَكْرَهُونَ فِي وَضَحِ النَّهَارِ وَغَسَقِ الدُّجَى . (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ)

(الْحَدِيثُ) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ : حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ،

وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ » رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمَا . جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَشَهِدَ بِهِ ، وَحَبَّبَ إِلَيْهِ الْخَيْرَ فَعَمِلَ بِهِ ، وَوَفَّقَنَا جَمِيعاً لِمُتَابَعَةِ رُسُلِهِ وَكُتُبِهِ (الآيَةُ) مِنْ سُورَةِ الأَحْزَابِ (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ، لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) .

الخطبة الثالثة والاربعون

الْهِجْرَةُ وَاسْتِقْبَالُ الْعَامِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْهِجْرَةَ وَالْجِهَادَ ، لِحِمَايَةِ الدِّينِ وَدَرْءِ الْفَسَادِ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَهْدِيَنَا سَبِيلَ الرَّشَادِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا وَالِدَ وَلَا أَوْلَادَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُهَاجِرُ بِدِينِهِ مِنْ بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ ، وَالْقَائِلُ ﷺ «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللهُ » .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْقَمَرِ الزَّاهِرِ ، وَالنُّورِ الْبَاهِرِ ،

وَخَيْرِ كُلِّ حَامِدٍ وَشَاكِرٍ ، وَأَثْبَتِ كُلِّ مُجَاهِدٍ وَصَابِرٍ وَسَيِّدِ كُلِّ أَوَّلٍ وَآخِرٍ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَكَابِرِ وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي الآثَارِ وَالْمَآثِرِ ، صَلَاةً وَسَلَاماً دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ بِدَوَامِ مُلْكِ اللهِ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : نِعَمُ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ كَثِيرَةٌ جَمَّةٌ ، وَأَعْظَمُهَا وَأَجَلُّهَا نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ وَكَفَى بِهَا مِنْ نِعْمَةٍ ، دِينِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ سَيِّدِ أَهْلِ الْعِصْمَةِ ، وَكِتَابُهُ الْقُرْآنُ كِتَابُ النُّورِ وَالْهُدَى وَالْحِكْمَةِ ، وَدُسْتُورُهُ الْعَدْلُ وَالْمُسَاوَاةُ بَيْنَ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ ، لَا فَضْلَ لِذِي عَرَبِيَّةٍ عَلَى ذِي عُجْمَةٍ ، إِلَّا بِتَقْوَى اللهِ وَطَاعَتِهِ فِي كُلِّ مُهِمَّةٍ وَمُلِمَّةٍ ، فَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِالآبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِتَقْوَى اللهِ) .

كَانَ النَّاسُ عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنَ الضَّلَالِ ، يَعِيشُونَ بِالنَّهْبِ وَالسَّلْبِ ، وَالْهَتْكِ وَالْفَتْكِ وَالْقِتَالِ ، وَيَعْبُدُونَ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ وَالْأَصْنَامَ وَالْأَنْصَابَ وَالرِّجَالَ ، وَيَتَّبِعُونَ كُلَّ نَاعِقٍ مِنْ كَاذِبٍ وَكَاهِنٍ وَسَاحِرٍ وَدَجَّالٍ ، فَبَعَثَ اللهُ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ شَرِيفَ الْخِصَالِ وَمَكَارِمَ الْأَفْعَالِ ، وَيَرْفَعُهُمْ مِنْ حَضِيضِ الْجَهَالَةِ وَالْخُمُولِ وَسُوءِ الْحَالِ ، إِلَى ذِرْوَةِ الْمَجْدِ وَقِمَّةِ الشَّرَفِ وَالْكَمَالِ (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ) .

فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا ، وَبَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيرًا ، وَأَنْذَرَ الْكَافِرِينَ يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيرًا ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ قَوْلَ رَبِّهِ تَعَالَى (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالاً وَسَعِيرًا) وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ لَا يَخَافُ دُونَ اللهِ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا مُؤَيَّدًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُورًا) فَسَبَّ آلِهَتَهُمْ وَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ وَذَمَّ تَقَالِيدَهُمْ وَاحْتَقَرَ شُرَفَاءَهُمْ وَنَصَرَ ضُعَفَاءَهُمْ وَهُوَ لَا يَجِدُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيرًا ، وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّوْحِيدِ بَيْنَ السُّهُولِ وَالْجِبَالِ ، وَالْأَغْوَارِ وَالْأَنْجَادِ ، يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

فَآذَاهُ قَوْمُهُ الْمُشْرِكُونَ ، وَقَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ، أَوْ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ وَقَالَ لَهُ رَبُّهُ تَعَالَى (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) وَبَلَغَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ بَعْضَ مَا يُرِيدُونَ ، حَتَّى فَتَنُوا بَعْضَهُمْ وَثَبَتَ عَلَى الْحَقِّ آخَرُونَ ، فَصَارُوا بِدِينِهِمْ يَفِرُّونَ وَإِلَى اللهِ يُهَاجِرُونَ حَتَّى جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ .

فَهَاجَرَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ مِنَ الْبَلَدِ الْأَمِينِ ، إِلَى دَارِ إِخْوَانِهِ وَأَنْصَارِهِ فِي الدِّينِ ، بَعْدَ أَنْ جَاءَهُ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى لِسَانِ جِبْرِيلَ الْأَمِينِ ، وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ . وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مَعَ صَاحِبِهِ الصِّدِّيقِ مُسْتَخْلِفاً لِوَصِيِّهِ وَابْنِ عَمِّهِ عَلِيِّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْقَوِيِّ الْأَمِينِ

لِيَرُدَّ إِلَى النَّاسِ أَمَانَاتِهِمْ وَيَكُونَ ظَهِيراً لِضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَفِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَبِعَهُ النَّاسُ ، مُؤْمِنِينَ وَمُهَاجِرِينَ (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ) .

وَهُنَاكَ ظَهَرَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ وَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ ، فَتَمَّ الْمُرَادُ ، وَشُرِعَ الْجِهَادُ ، وَظَهَرَ الْإِسْلَامُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَدَانَ لِسُلْطَانِ هَذَا الدِّينِ دَانُونَ وَقَاصُونَ ، وَرَأَوْا فِيهِ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ وَأَنَّهُ خَيْرُ دُسْتُورٍ وَقَانُونٍ ، وَأَصْبَحَ الْعَرَبُ مُلُوكَ الْأَرْضِ وَسَادَتَهَا وَأَهْلُ الْأَرْضِ لَهُمْ طَائِعُونَ ، وَلِسُلْطَانِهِمْ خَاضِعُونَ ، حَتَّى إِذَا تَرَكُوا دِينَهُمْ وَارْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ .

لَوْ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْيَوْمَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَرَآهُمْ مِنْ خَلْفِ أَلْفٍ وَمِئَاتِ السِّنِينَ ، لَقَالَ لَهُمْ : أَيْنَ مَا تَرَكْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ وَالتَّمْكِينِ وَالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ ، وَلَقَالَ لَهُمْ بِئْسَ مَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَفَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَمَا لَهُ لَا يَقُولُ ذَلِكَ وَنَحْنُ نُعَدُّ بِالْمَلَايِينِ ، وَقَدْ تَدَاعَتْ عَلَيْنَا الْأُمَمُ وَأَصْبَحْنَا طُعْمَةً لِلظَّالِمِينَ ، نُحِبُّ الْحَيَاةَ وَنَكْرَهُ الْمَوْتَ وَنَحْنُ فِي عِدَادِ الْمَيِّتِينَ ، فَمَعْذِرَةً إِلَى اللهِ وَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ .

حَالَةُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ حَالَةٌ تَبْكِي لَهَا الْقُلُوبُ وَتَتَفَتَّتُ لَهَا الْأَكْبَادُ

وَتخِرُّ لَهَا الْجبَالُ هَدًّا وَيَذُوبُ مِنْ أَجْلِهَا الْجَمَادُ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ وَقَدْ أَذَلَّهُمُ الاسْتِعْبَادُ وَصَرَعَهُمُ الاسْتِبْدَادُ ، بَعْدَ أَنْ خَضَعَتْ لَهُمْ رِقَابُ الْعِبَادِ ، وَرَفْرَفَتْ رَايَاتُهُمْ عَلَى كُلِّ بِلَادٍ ، فَأَيْنَ سَلَفُنَا الْأَمْجَادُ ، وَآبَاؤُنَا وَالْأَجْدَادُ ، مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَالْأَحْفَادِ (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ) .

(الْحَدِيثُ) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ، قِيلَ أَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ لَا بَلْ أَنْتُمْ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ) أَوْ كَمَا قَالَ . أَجَارَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْخِذْلَانِ وَجَنَّبَنَا مَوَارِدَ الطُّغْيَانِ وَخَتَمَ لَنَا بِالْإِيمَانِ . «الآيَةُ» (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنَجِّيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) .

الخطبة الرابعة والاربعون

فِي التَّشَاؤُمِ وَالطِّيَرَةِ مِنْ صَفَرَ وَغَيْرِهِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ ، الْخَالِقِ الْمُقَدِّرِ ، وَالرَّازِقِ الْمُدَبِّرِ ، وَالْهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ يُقَدِّمُ وَيُؤَخِّرُ ، وَيَأْمُرُ وَيُبَشِّرُ ، وَيَنْهَى وَيُحَذِّرُ ، وَاللهُ جَمِيلٌ وَيُحِبُّ كُلَّ جَمِيلٍ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدًا يَمْلَأُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ وَيَمْلَأُ مَا بَيْنَهُمَا ، وَنَسْأَلُهُ الرِّزْقَ الْحَلَالَ وَالصِّحَّةَ الْكَامِلَةَ وَالْعُمْرَ الطَّوِيلَ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ شُكْرًا جَزِيلاً ، وَنُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ التَّشَاؤُمِ وَالطِّيَرَةِ وَتَصْدِيقِ الْكُهَّانِ وَالسَّحَرَةِ ، وَأَهْلِ الدَّجَلِ وَالشَّعْوَذَةِ وَالتَّضْلِيلِ (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِيمَاناً بِكُتُبِهِ وَتَصْدِيقاً بِرُسُلِهِ إِلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ ، وَإِرْغَاماً لِمَنْ جَحَدَ بِهِ وَكَفَرَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ مِنْ أَشْرَفِ الْبُيُوتِ ، وَأَكْرَمِ الْأُسَرِ ، وَالْقَائِلُ ﷺ « لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ » اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُنْقِذِ مِنَ الْخَطَرِ وَعِبَادَةِ الشَّجَرِ وَالْحَجَرِ ، وَالْأَوْهَامِ وَالظُّنُونِ وَأَكَاذِيبِ الْخَبَرِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْغُرَرِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَكُلِّ مُؤْمِنٍ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي

يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

عِبَادَ اللهِ : إِنَّ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ، وَدَبَّرَ الْأُمُورَ كَمَا يَشَاءُ وَتَبَارَكَ اللهُ إِتْقَاناً وَتَدْبِيرًا ، هُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالنَّفْعُ وَالضُّرُّ ، وَكُلُّ إِلَهٍ غَيْرِهِ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعاً وَلَا مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ، وَلَا سَعْدَ وَلَا نَحْسَ وَلَا تَوْفِيقاً وَلَا خُذْلَاناً ، وَلَا تَقْدِيماً وَلَا تَأْخِيرًا ، إِلاَّ بِيَدِهِ تَعَالَى وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ، وَالسَّاعَاتُ وَالشُّهُورُ لَا أَثَرَ لَهَا فِي شَيْءٍ وَلَا تَأْثِيرًا ، وَالْمُؤْمِنُ حَقاً لَا يَتَشَاءَمُ وَلَا تَرُدُّهُ الطِّيَرَةُ عَنْ شَيْءٍ وَلَا يَعْتَقِدُ إِلاَّ بِاللهِ ، وَكَفَى بِاللهِ هَادِياً وَنَصِيرًا ، وَمَنْ سَلَّطَ الْوَهْمَ عَلَى نَفْسِهِ وَتَشَبَّثَ بِالْحِكَايَاتِ وَالْخُرَافَاتِ وَتَشَاءَمَ مِنَ الْبُيُوتِ وَالنِّسَاءِ فَقَدْ صَارَ لُعْبَةً لِلشَّيَاطِينِ وَلِلتَّخَيُّلَاتِ أَسِيرًا (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ) .

يَتَشَاءَمُ النَّاسُ بِيَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ وَشَهْرِ صَفَرَ ، وَمِنْ كُلِّ شَهْرٍ بِثَالِثِهِ وَثَامِنِهِ وَالثَّالِثِ وَالثَّامِنِ عَشَرَ ، وَبِسَعْدِ السُّعُودِ وَسَعْدِ الذَّابِحِ وَسَعْدِ أَخْبِيَاءَ يَفْرَحُ الْجَاهِلُ أَوْ يَتَطَيَّرُ ، وَمَا تَمْلِكُ الزَّهْرَةُ وَلَا زُحَلُ لِلنَّاسِ نَفْعاً وَلَا ضَرَرًا ، بَلْ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ وَلَا أَثَرَ لِاقْتِرَانِ الْعَطَارِدِ بِالْقَمَرِ ، وَلَا تَدُلُّ النُّجُومُ عَلَى حَيَاةٍ وَلَا مَوْتٍ وَلَا ارْتِفَاعٍ وَلَا هُبُوطٍ وَلَا قَحْطٍ وَلَا مَطَرٍ ، وَإِنَّمَا جَعَلَهَا اللهُ لِيُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَهِيَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ تَعَالَى مُسَخَّرَةٌ بِأَمْرِهِ وَلَيْسَ لَهَا فِي شَيْءٍ مِنْ دُونِ اللهِ أَيُّ أَثَرٍ ، فَهَلْ مِنْ قَارِئٍ يَتَدَبَّرُ قَوْلَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ (وَالشَّمْسُ

وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) وَقَوْلَهُ تَعَالَى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) .

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَكُفُّونَ عَنِ الْغَارَاتِ وَالْحُرُوبِ وَسَفْكِ الدَّمِ ، وَيَحْتَرِمُونَ بِذَلِكَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ ، ذَا الْقِعْدَةِ وَذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمَ ، فَإِذَا حَلَّ شَهْرُ صَفَرَ كَثُرَ الْقِتَالُ وَهَاجَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَانْتُهِكَتِ الْحُرُمُ ، فَيَتَشَاءَمُونَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ وَيَعُدُّونَهُ شَهْرَ الْمَأْتَمِ وَالْمَغْرَمِ ، وَمِثْلُ هٰذَا لَا يُعَدُّ غَرِيباً مِنْ ضُعَفَاءِ الْإِرَادَةِ وَعُبَّادِ الصَّنَمِ ، وَكُلُّ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَدُلُّ عَلَى اخْتِصَاصِ هَذَا الشَّهْرِ بِشَيْءٍ مِنَ الشَّرِّ أَوْ نُزُولِ الْبَلَاءِ فَهُوَ ضَعِيفٌ أَوْ مَوْضُوعٌ ، مَرْدُودٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ وَلَا مُسَلَّمٍ ، وَخُرُوجُ النَّاسِ فِي الْأَرْبِعَاءِ الْأَخِيرِ مِنْ صَفَرَ إِلَى السَّوَاحِلِ وَالْبَسَاتِينِ وَمُخْتَلِفِ الْجِهَاتِ بِالْحَاشِيَةِ وَالْخَدَمِ ، وَكِتَابَةُ الْمَحْوِ وَاسْتِخْفَافُ الْمُعَلِّمِ بِمَنْ يَتَعَلَّمُ ، مَعْدُودٌ مِنَ الْبِدَعِ وَالْمُحْدَثَاتِ وَهُوَ عَمَلٌ مُحَرَّمٌ ، وَبِهِ نُعَدُّ فِي نَظَرِ الْكُفَّارِ وَالْمُلْحِدِينَ أُمَّةً لَا تَفْهَمُ وَلَا تَشُمُّ وَلَا تَطْعَمُ ، وَالْإِسْلَامُ لَا يَرْضَى لِصَاحِبِهِ أَنْ يَتَطَيَّرَ أَوْ يَتَشَاءَمَ (وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ، اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

أَمْرٌ غَرِيبٌ يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ أَنْ تَعْبَثَ بِكُمُ الْخَيَالَاتُ وَالْأَوْهَامُ ، فَكَهَانَةٌ وَتَنْجِيمٌ ، وَاسْتِقْسَامٌ بِالْأَزْلَامِ ، وَتَشَاؤُمٌ وَتَطَيُّرٌ بِالشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ ، وَخَوْفٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَأَضْغَاثِ الْأَحْلَامِ ، وَاللهُ يَحْفَظُ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ

فِي الْيَقَظَةِ وَالْمَنَامِ ، وَيُعِيذُهُ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَةٍ وَعَيْنٍ لَامَّةٍ إِذَا مَا اسْتَعَاذَ بِكَلِمَاتِهِ التَّامَّةِ وَذِكْرِ اللهِ فِي الْقُعُودِ وَالْقِيَامِ . وَعَلَى الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ ، أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ، وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْعَفَارِيتِ وَالْأَصْنَامِ سُبْحَانَهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، لَا شُؤْمَ فِي فَرَسٍ وَلَا امْرَأَةٍ وَلَا دَارٍ . وَإِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي الْمَرْأَةِ سُوءُ أَخْلَاقِهَا وَشُؤْمُ الْفَرَسِ فِي النِّفَارِ ، وَشُؤْمُ الدَّارِ ضِيقُ مَرَافِقِهَا وَكَثْرَةُ سُكَّانِهَا ، وَمِنَ الضَّغْطِ يَقَعُ الانْفِجَارُ ، وَمَا يَتَشَاءَمُ بِهِ الدَّهْمَاءُ مِنْ مَوْتِ أَوْلَادِهِمْ وَقِلَّةِ أَرْزَاقِهِمْ وَسَائِرِ مَا يَلْحَقُ بِهِمْ مِنَ الْأَضْرَارِ ، فَلَيْسَ لِلْمَرْأَةِ فِيهِ إِلَّا جَهْلُهَا بِأُصُولِ التَّرْبِيَةِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الصِّغَارِ ، وَلَيْسَ لِلدَّارِ فِي ذَلِكَ إِلَّا امْتِلَاؤُهَا بِالْأَوْسَاخِ وَالْأَقْذَارِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ خِلَافَ الْعَادَةِ نَسْمَعُهُ أَوْ نَرَاهُ فِي الْبُيُوتِ ، فَمِنْ حَرَكَةِ الْجِنِّ وَأَرْوَاحِ الْأَشْرَارِ ، يُسْتَعَانُ عَلَيْهِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَكَثْرَةِ الْأَذْكَارِ ، وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْأَشْرَارِ سَبِيلاً عَلَى الْأَخْيَارِ (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) .

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَاكَ أَنْ يَدَّعِيَ عِلْمَ الْغَيْبِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُغَفَّلِينَ ، وَأَنْ يَتَأَثَّرَ الْعَاقِلُ بِكَلَامِ الْكُهَّانِ وَالْمُضَلِّلِينَ ، فَيَزْعُمَ أَنَّهُمْ يُظْهِرُونَ

السَّرَائِقَ وَيُخْرِجُونَ الْمُخَبَّآتِ وَمَا أَبْعَدَ ذَلِكَ عَنِ الْمُشَعْوِذِينَ وَالرَّمَّالِينَ ، وَيَتَوَهَّمُ أَنَّ الْعَجَائِزَ وَإِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، أَهْلَ الزَّرْعِ وَالسِّحْرِ وَالزَّارِ وَسَائِرَ الْمُبْطِلِينَ ، يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ أَوْ يَعْلَمُونَ شَيْئاً مِنَ الْغَيْبِ وَلَا وَاللهِ مَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَمَا يَعْلَمُ الْبُومُ وَالْغُرَابُ إِذَا نَعَقَ عَلَى دَارٍ مَا يَفْعَلُ اللهُ بِأَهْلِهَا ، وَلَكِنَّهَا أَوْهَامُ الْجَاهِلِينَ وَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، وَأَيُّ عَقْلٍ أَوْ دِينٍ . يُصَدِّقُ أَنَّ الطَّوَارِقَ بِالْحَصَى عَلَى الرَّمَادِ وَالطِّينِ ، يَعْلَمْنَ حُضُورَ الْمُسَافِرِ أَوْ سَفَرَ الْحَاضِرِ أَوْ مَا يَفْعَلُهُ الْقَرِينُ بِالْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ وَالْبَنِينَ . أَفِيقُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ هَذَا السُّبَاتِ وَدَعُونَا مِنَ الشُّؤْمِ وَالطِّيَرَةِ وَالتَّخَيُّلَاتِ وَتَفْضِيلِ الشَّكِّ عَلَى الْيَقِينِ (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) .

يُصَابُ الْمَرْءُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ فَيَلْتَمِسُ الطِّبَّ مِنْ غَيْرِ طَبِيبٍ ، وَيَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى جَاهِلٍ مِثْلِهِ لَا يَعْرِفُ إِلَّا مُجَرَّدَ الْأَكَاذِيبِ ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ فَتْحَةَ الْكِتَابِ ، وَيَصِفُ لَهُ الْمُرَّ وَالشَّذَابَ وَالزَّنْجَبِيلَ وَالْكَبَابَ ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ التَّحْلِيلَ وَلَا يَفْهَمُ الْجَمْعَ وَالتَّرْكِيبَ ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّ مَارِدًا مِنَ الْجِنِّ أَوِ الرِّيحِ الْأَحْمَرِ قَدْ مَسَّهُ بِنَصَبٍ وَتَعْذِيبٍ ، فَيَكْتُبُ لَهُ الْحُرُوزَ ، وَيُعَلِّقُ عَلَيْهِ التَّمَائِمَ ، وَيَصْفَعُهُ بِالنِّعَالِ تَارَةً وَيَبْصُقُ عَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقْتُلُهُ بِالشَّدِّ وَالتَّعْصِيبِ ، وَإِذَا نَهَيْتَهُ عَنِ الْعَمَلِ الرَّهِيبِ وَهَذِهِ الْأَعَاجِيبِ ، اتَّخَذَكَ عَدُوًّا بَعْدَ الصَّدَاقَةِ ، وَاشْتَدَّ عَتْبُهُ عَلَيْكَ ،

وَقَالَ هَذَا أَمْرٌ غَرِيبٌ ، فَيَالَهَا مِنْ عُقُولٍ وَعَادَاتٍ لا تَنْتَفِعُ بِالْآيَاتِ وَلَا تُعَالَجُ بِالْعِظَاتِ ، وَلَيْسَ لَهَا مِنَ الْخَيْرِ أَيُّ نَصِيبٍ ، تُدِينُ اللهَ بِالظُّنُونِ ، وَتَعْمَلُ عَمَلَ الْمَجْنُونِ ، وَيَخْدَعُهَا كَذِبُ التَّجَارِيبِ . وَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ يَلْتَمِسُ الطِّبَّ مِنْ أَهْلِهِ ، وَيَطْلُبُ الصِّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ مِنْ رَبِّهِ السَّمِيعِ الْقَرِيبِ (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيِّرَ لَهُ أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ ، وَمَنْ أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُول فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ » وَقَالَ ﷺ « مَنْ أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ بَرِىءَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ . وَمَنْ أَتَاهُ غَيْرَ مُصَدِّقٍ لَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً » وَقَالَ ﷺ « مَنِ اقْتَبَسَ عِلْماً مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ » وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الْجِبْتِ » وَقَالَ أَيْضاً « مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ شَيْءٍ فَقَدْ أَشْرَكَ » وَقَالَ ﷺ « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » .

الخطبة الخامسة والاربعون

فِي الْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَاصِرَ وَلَا مُعِينَ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْأَمِينِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

أَيُّهَا النَّاسُ : لَقَدْ فَضَّلَكُمُ اللهُ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ كَمَا فَضَّلَ نَبِيَّكُمْ عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ وَاشْتَقَّ لَكُمُ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى ، فَهُوَ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ ، وَسَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَتُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُتَّقِينَ ، إِذَا تَمَسَّكْتُمْ بِالْكِتَابِ الْمُبِينِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَتَخَلَّقْتُمْ بِأَخْلَاقِ مَنْ يَمْدَحُهُ رَبُّهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) .

كُنْتُمْ أَذِلَّاءَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ فَعَزَّكُمُ اللهُ بِمُتَابَعَتِهِ ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ مِنْهَا بِحِكْمَةِ دَعْوَتِهِ وَحُسْنِ سِيَاسَتِهِ ، وَكُنْتُمْ تَهِيمُونَ فِي الظُّلُمَاتِ فَأَخْرَجَكُمْ إِلَى النُّورِ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَجَمِيلِ

هِدَايَتِهِ ، وَإِنَّكُمْ لَتُذْنِبُونَ وَتُطْعَمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي شَفَاعَتِهِ (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) .

كَانَ النَّاسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَتَنَازَعُونَ وَيَتَخَاصَمُونَ ، فَيَتَلَاعَنُونَ وَيَتَشَاتَمُونَ ، وَلِأَقَلِّ شَيْءٍ يَقْعُدُونَ وَيَقُومُونَ ، فَيَنْهَبُونَ وَيَقْتُلُونَ ، وَبِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ يَعِيثُونَ ، وَيَئِدُونَ الْبَنَاتِ وَيَعُقُّونَ الْأُمَّهَاتِ وَهُمْ لَا يَسْتَحُونَ ، وَعَنِ الْمَعْرُوفِ يُعْرِضُونَ وَعَلَى الْمُنْكَرِ يَعْكِفُونَ (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِياً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

فَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ كَانَتْ تَعْبُدُ النَّارَ وَالْمِيَاهَ وَالْأَشْجَارَ ، وَأُخْرَى عَاكِفَةٌ عَلَى التَّمَاثِيلِ مِنَ الْأَحْجَارِ ، وَأُخْرَى تَتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ بِتَعْظِيمِ الْكَوَاكِبِ وَالْأَنْوَارِ ، وَالْأَخْيَارُ يَخَافُونَ مِنَ الْأَشْرَارِ ، وَغَالِبُ مَنْ فِي الْأَرْض فُجَّارٌ كُفَّارٌ ، قَدْ أَضَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِمُتَابَعَةِ الْمُضِلِّينَ مِنَ الرُّهْبَانِ وَالْأَحْبَارِ ، وَالْكَذَّابِينَ مِنْ نَقَلَةِ الْأَخْبَارِ وَرُوَاةِ الْآثَارِ (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وَفِي مِثْلِ هَذَا الشَّهْرِ انْبَثَقَ مِنْ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ نُورٌ سَاطِعٌ يُبَدِّدُ الظُّلُمَاتِ وَيَكْشِفُ الْمُدْلَهِمَّاتِ ، وَيُضِيءُ السَّبِيلَ لِلسَّالِكِ الْمُتَابِعِ ، وَانْسَلَّ مِنْ غِمْدِ الزَّمَانِ عَلَى رِقَابِ أُولِي الطُّغْيَانِ سَيْفٌ صَارِمٌ قَاطِعٌ ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مُنَافِ بْنِ قُصَيٍّ

الْجَامِعِ ، فَشَرُفَتْ بِهِ الْبِلَادُ وَاسْتَبْشَرَتْ بِهِ الْعِبَادُ ، وَتَنَافَسَتْ فِيهِ الْمَرَاضِعُ فَيَالَكَ مِنْ مَوْلُودٍ عَظِيمٍ ، وَبُورِكْتَ مِنْ رَضِيعٍ وَفَطِيمٍ (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ، الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ، وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

فَنَشَأَ ﷺ مُتَحَلِّياً بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، بَعِيدًا عَنِ الرَّذِيلَةِ مَيَّالاً بِفِطْرَتِهِ إِلَى الْفَضِيلَةِ غَيْرَ مُتَأَثِّرٍ بِيُتْمٍ وَلَا إِمْلَاقٍ ، مُبَارَكَ الطَّلْعَةِ فِي الْمَجَامِعِ مَيْمُونَ الصَّفْقَةِ فِي الْأَسْوَاقِ ، فَخَطَبَتْهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ لِنَفْسِهَا وَقَدْ سَادَ قَوْمَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَإِنَّهُ لَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيُكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ غَيْرَ بَخِيلٍ وَلَا مُبَذِّرٍ فِي الْإِنْفَاقِ ، وَحَكَّمَتْهُ قُرَيْشٌ فِي وَضْعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، وَقَدِ احْتَدَمَ بَيْنَهُمُ النِّزَاعُ وَالشِّقَاقُ ، فَلِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ يَتِيمٍ وَحَاكِمٍ وَحَكِيمٍ (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)

وَعَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِهِ الشَّرِيفِ ، بَعَثَهُ اللهُ لِلْعَالَمِينَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِياً إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَجَاهَدَ فِي اللهِ جِهَادًا كَبِيرًا ، فَأُوذِيَ وَعُودِيَ ، وَضُرِبَ وَشُتِمَ ، وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُورًا (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) .

وَلَقَدْ وَضَعُوا السَّلَا عَلَى ظَهْرِهِ فِي السُّجُودِ ، وَسَفَكُوا دَمَهُ الزَّكِيَّ وَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْبَلَدِ الْأَمِينِ ، فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ لِنَشْرِ دَعْوَةِ الدِّينِ ، وَتَنْفِيذِ أَوَامِرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَنَصَرَهُ اللهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَسَائِرِ الْمُخَالِفِينَ بِعِزَّةِ الْجَانِبِ وَكَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ وَحُجَجِ الذِّكْرِ الْمُبِينِ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ) .

وَمَا زَالَ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ آيَةً بَعْدَ آيَةٍ ، وَيُرْشِدُ النَّاسَ إِلَى أَشْرَفِ مَقْصِدٍ وَأَسْمَى غَايَةٍ ، حَتَّى ظَهَرَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، وَانْتَصَرَ أَهْلُ الْهِدَايَةِ عَلَى أَهْلِ الْغِوَايَةِ ، وَثُلَّتْ عُرُوشُ الْجَبَابِرَةِ ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ سَوَاسِيَةً فِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ، لَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِتَقْوَى اللهِ ، وَمَا مُنِحَ مِنْ عِلْمٍ رِوَايَةٍ أَوْ دِرَايَةٍ (لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) .

فَوَاللهِ مَا فَارَقَ الدُّنْيَا إِلَّا وَقَدْ تَرَكَ النَّاسَ عَلَى الشَّرِيعَةِ الْبَيْضَاءِ النَّقِيَّةِ ، وَالطَّرِيقَةِ الْمُثْلَى الْمُسْتَقِيمَةِ الْمُسْتَوِيَةِ ، فَجَزَاكَ اللهُ عَنَّا وَعَنْ سَائِرِ أَتْبَاعِكَ خَيْرَ الْجَزَاءِ يَا صَاحِبَ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ وَالصِّفَاتِ الْعَلِيَّةِ ، فَلَأَنْتَ أَكْرَمُ الْبَرِيَّةِ ، وَخَيْرُ الْوَرَى سَجِيَّةً ، وَأَمْثَلُهُمْ رُجُولَةً وَعَبْقَرِيَّةً ، وَعَلَيْكَ مِنَّا وَمِنْهُمْ أَفْضَلُ صَلَاةٍ وَأَزْكَى تَحِيَّةٍ وَتَسْلِيمٍ .

(الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاودَ .

جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِسُنَّتِهِ السَّالِكِينَ عَلَى طَرِيقَتِهِ

الدَّاخِلِينَ فِي شَفَاعَتِهِ ، آمِينَ (الآيَةُ) «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً» .

الخطبة السادسة والاربعون

فِي الْجُمُعَةِ وَالأَحَدِ

اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي جَعَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ أَشْرَفِ الأَيَّامِ ، وَجَعَلَهُ عِيدَ الأُسْبُوعِ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ ، وَأَمَرَنَا فِيهِ بِذِكْرِهِ تَعَالَى وَكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ الأَنَامِ وَبَدْرِ التَّمَامِ وَأَشْرَفِ نَاطِقٍ بِأَصْدَقِ الْكَلَامِ ، كَلَامِ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلَّامِ (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) .

نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ عَلَى نِعْمَةِ الإِسْلَامِ وَهِيَ النِّعْمَةُ الْكُبْرَى ، وَنَشْكُرُكَ اللَّهُمَّ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ وَعَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ رَبُّ الشِّعْرَى ، وَلَكَ الأَمْرُ فِي الأُولَى وَالأُخْرَى ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ الَّذِي قُلْتَ لَهُ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ، وَأَنْزَلْتَ عَلَيْهِ إِرْشَادًا وَتَعْلِيماً (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا

كَثِيرًا ، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَخْصُوصِ بِأَفْضَلِ الْخَصَائِصِ وَالْكَامِلِ الْمُنَزَّهِ عَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ ، نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ الْقَانِتِ الْأَوَّاهِ ، وَالْقَائِلِ ﷺ إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللهِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَجَمِيعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْمُتَمَسِّكِينَ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَالْقَائِمِينَ بِشَعَائِرِ الدِّينِ .

عِبَادَ اللهِ : يَوْمُ الْجُمُعَةِ يَوْمٌ مُبَارَكٌ شَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ ، فَمِنْ حَاضِرٍ يَشْهَدُ لَهُ ، وَمُتَخَلِّفٍ بِغَيْرِ عُذْرٍ يَشْهَدُ عَلَيْهِ ، وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ شُهُودٌ ، وَقَدْ فَضَّلَهُ اللهُ عَلَى سَائِرِ الْأَيَّامِ ، وَجَعَلَهُ لِلْمُسْلِمِينَ كَمَا جَعَلَ الْأَحَدَ لِلنَّصَارَى وَالسَّبْتَ لِلْيَهُودِ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُعَظِّمُ هَذَا الْيَوْمَ وَتُسَمِّيهِ يَوْمَ الْعُرُوبَةِ ، وَقَدْ تَوَارَثَ ذَلِكَ مِنْهُمُ الْأَبْنَاءُ وَالْأَحْفَادُ عَنِ الْآبَاءِ وَالْجُدُودِ ، وَأَوَّلُ مَنْ جَمَعَ النَّاسَ لِهَذَا الْيَوْمِ كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ فِي زَمَانِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ بِإِلْهَامٍ مِنَ الْمَلِكِ الْمَعْبُودِ . وَأَوَّلُ جُمُعَةٍ صُلِّيَتْ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَيْهَا صَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا فُرِضَتْ بِمَكَّةَ فَعَجَزُوا عَنْ إِقَامَتِهَا حَتَّى أَقَامَهَا فِي الْمَدِينَةِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ الَّذِينَ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً) .

لَقَدْ فَضَّلَ اللهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى سَائِرِ الْأَيَّامِ كَمَا فَضَّلَ الشَّمْسَ عَلَى سَائِرِ النُّجُومِ ، وَفِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ وَأَهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ ،

وَفِيهِ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، وَفِيهِ السَّاعَةُ تَقُومُ ، وَفِيهِ تَتَّصِلُ أَرْوَاحُ الْمَيِّتِينَ بِالْقُبُورِ وَتُرْسِلُ أَشِعَّتَهَا عَلَى تِلْكَ الْجُسُومِ ، وَفِيهِ يَنْبَغِي الْمَزِيدُ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، لَا سِيَّمَا سُورَةُ الْكَهْفِ وَالْإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ الْمَلِكِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، وَفِيهِ تُسَنُّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ، وَفَضْلُ ذَلِكَ مَعْرُوفٌ وَالثَّوَابُ عَلَيْهِ مَعْلُومٌ ، وَمَنْ غَسَّلَ فِيهِ وَاغْتَسَلَ وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الْخَطِيبِ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عِبَادَةُ سَنَةٍ لَوْ كَانَ فِي لَيْلِهَا يَقُومُ وَفِي نَهَارِهَا يَصُومُ (لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيماً) .

يَحْتَفِلُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بِسَبْتِهِمْ وَالْأَحَدِ ، وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ غَافِلُونَ ، وَيَدْعُوهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَى النَّارِ فَيُلَبُّونَ ، وَيَدْعُوكُمُ اللهُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ فَلَا تُجِيبُونَ ، لَقَدْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَخَاطَبَكُمُ اللهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) وَيَوْمٌ تَجْعَلُونَهُ مِنْ سَبْعَةِ أَيَّامٍ تَسْتَرِيحُونَ فِيهِ مِمَّا تُعَانُونَ ، هُوَ شَيْءٌ قَضَتْ بِهِ الشَّرَائِعُ وَحَكَمَ بِهِ الْعَقْلُ وَالْقَانُونُ ، وَإِذَا تَرَكْتُمُ الْأَعْمَالَ فِيهِ وَتَفَرَّغْتُمْ لِطَاعَةِ اللهِ وَعَمِلْتُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) صِرْتُمْ بِذَلِكَ لِلْكُفَّارِ مُخَالِفِينَ وَبِشَرِيعَتِكُمْ عَامِلِينَ (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ

الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) .

لِمَاذَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ تُعَطِّلُونَ أَعْمَالَكُمْ يَوْمَ الْأَحَدِ مُوَافَقَةً لِلنَّصَارَى وَأَنْتُمْ فِي عَمَلِكُمْ أَحْرَارٌ ، وَفِيهِ تَمْرَحُونَ وَتَفْرَحُونَ وَتَقْضُونَ عَلَى الْقَاتِ وَاسْتِمَاعِ الآلاتِ سَائِرَ النَّهَارِ ، وَقَدْ يَنْهَمِكُ الْفُسَّاقُ وَالْفُجَّارُ عَلَى الْخَمْرِ وَالْقِمَارِ وَمَا لَا يَحِلُّ فِعْلُهُ مِنْ خَلَاعَةٍ وَفُحْشٍ وَسُكَارٍ وَتَمُرُّ عَلَيْكُمُ الْجُمُعَةُ كَسَائِرِ الْأَيَّامِ لَا تُظْهِرُونَ فِيهَا لِدِينٍ وَلَا عَادَةٍ أَيَّ شِعَارٍ ، فَلَا تِلَاوَةَ وَلَا أَذْكَارَ ، وَلَا تَوْبَةَ وَلَا اسْتِغْفَارَ ، وَقَدْ يُفَضِّلُ أَحَدُكُمُ الدِّرْهَمَ وَالدِّينَارَ وَمُجَالَسَةَ الْأَشْرَارِ عَلَى حُضُورِ الصَّلَاةِ وَاسْتِمَاعِ الْخُطْبَةِ وَالاجْتِمَاعِ فِي الْمَسَاجِدِ بِالْمُسْلِمِينَ الْأَخْيَارِ (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) .

فَتَدَبَّرُوا وَتَفَكَّرُوا فِي كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ ، وَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يَقُولُ تَعَالَى فِي مَدْحِهِمْ (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) وَاسْتَمِعُوا قَوْلَهُ تَعَالَى (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً) .

إِذَا غَرَبَتْ شَمْسُ يَوْمِ الْخَمِيسِ تَجَلَّى رَبُّنَا بِرَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَفَضْلِهِ الْعَظِيمِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَفِي صُبْحِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ تُسْتَحَبُّ قِرَاءَةُ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ وَقَبْلَهَا أَلَم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا

رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَيُسْتَحَبُّ لِلْمُصَلِّينَ الْمُبَادَرَةُ وَالتَّكْبِيرُ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَعَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي عِزَّةِ الْإِسْلَامِ وَاسْتِكَانَةِ أَهْلِ الْيَقِينِ ، وَيَنْبَغِي لَهُمُ الْغُسْلُ وَالاسْتِيَاكُ وَلُبْسُ الْبَيَاضِ وَالطِّيبِ ، وَاللهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ، وَقَالَ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِوُجُوبِ غُسْلِ الْجُمُعَةِ لِمَا ثَبَتَ فِي ذَلِكَ عَنْ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «غُسْلُ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ» وَقَوْلِهِ ﷺ «إِغْتَسِلْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَوْ صَاعاً بِدِينَارٍ» كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ ، وَإِذَا كَانَ صُبْحُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ قَعَدَ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ يَكْتُبُونَ النَّاسَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ حَتَّى إِذَا دَخَلَ الْإِمَامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ وَقَعَدَ الْمَلَائِكَةُ مَعَ الْحَاضِرِينَ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ وَيُؤَمِّنُونَ عَلَى الدُّعَاءِ ، وَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَا حَسَدَكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدُوكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيماً) .

يَا عَبْدَ اللهِ : إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ لِلْجُمُعَةِ أَوْ لِأَيِّ صَلَاةٍ فَالْتَزِمِ الْآدَابَ ، وَكُنْ سَامِعاً مُطِيعاً لِأَوَامِرِ السُّنَّةِ وَالْكِتَابِ ، فَلَا تُؤْذِيَنَّ أَحَدًا بِرَائِحَةٍ كَرِيهَةٍ تَفُوحُ مِنْ جِسْمِكَ أَوِ الثِّيَابِ ، وَلَا تَرْفَعَنَّ صَوْتَكَ ، وَلَا تُفَرِّقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَلَا تَتَخَطَّى الرِّقَابَ ، وَلَا تُقِيمَنَّ أَحَدًا مِنْ مَجْلِسِهِ وَلَا تَمُرَّنَّ بَيْنَ يَدَيْ مُصَلٍّ فَيَفُوتُكَ الثَّوَابُ وَتَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ ، وَإِيَّاكَ

أَنْ تَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ فُلَانٍ وَأَحَقُّ مِنْهُ بِهَذَا الْمَكَانِ ، أَوْ تَمَسَّ رُءُوسَ النَّاسِ بِالنِّعَالِ ، أَوْ تَنْثُرَ مِنْهَا عَلَيْهِمُ التُّرَابَ ، ثُمَّ انْوِ الاعْتِكَافَ وَصَلِّ مَا كُتِبَ لَكَ وَأَكْثِرْ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ الْأَحْبَابِ وَمَجْمَعِ الْأَحْسَابِ وَمَفْخَرَةِ أَهْلِ الْأَنْسَابِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَانِتِ الْأَوَّابِ ، وَاعْمَلْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيماً) .

صُعُودُ الْخَطِيبِ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ وَكَلَامُهُ يَقْطَعُ الْكَلَامَ ، وَمَنْ تَكَلَّمَ فَقَدْ لَغَا وَمَنْ لَغَا فَلَا جُمُعَةَ لَهُ ، فَاسْتَمِعُوا وَأَنْصِتُوا يَا أَهْلَ النُّهَى وَالْأَحْلَامِ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَقْتُلَ الْخَطِيبُ نَفْسَهُ بِإِرْشَادِكُمْ وَأَنْتُمْ عَنْهُ مُتَشَاغِلُونَ بِالنَّظَرَاتِ وَاللَّفَتَاتِ وَالابْتِسَامِ ، وَلَا تَجْعَلُوا حَظَّكُمْ مِنِ اسْتِمَاعِ الْخُطْبَةِ أَنْ تَعْجَبُوا مِنْهَا وَتَهُزُّوا لَهَا رُءُوسَكُمْ وَتَقُولُوا تَبَارَكَ اللهُ مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُفِيدُ ، وَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ الرَّشِيدُ أَنْ يُخَاطِبَكَ الْإِمَامُ وَأَنْتَ لَا تَسْمَعُ وَلا تَعِي وَلَا تُعِيرُ الْخَطِيبَ أَيَّ اهْتِمَامٍ ، فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ أَنْ تَتْرُكُوا عُقُولَكُمْ فِي الْبُيُوتِ ثُمَّ لا تَحْضُرُونَ إِلاَّ بِالْأَجْسَامِ ، وَلَكِنْ تَوَجَّهُوا بِقُلُوبِكُمْ وَارْهِفُوا أَسْمَاعَكُمْ بِكَلَامِ الْعَزِيزِ الْعَلَّامِ (يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ) وَقَالَ ﷺ «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُناً بِهَا طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ» وَقَالَ ﷺ «مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَمْ يَأْتِهَا ثُمَّ سَمِعَهُ فَلَمْ يَأْتِهَا ثُمَّ سَمِعَهُ فَلَمْ يَأْتِهَا طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ وَجَعَلَ قَلْبَهُ قَلْبَ مُنَافِقٍ» وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي خُطْبَةٍ لَهُ عَلَى الْمِنْبَرِ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ تُرْزَقُوا وَتُنْصَرُوا وَتُجْبَرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الْجُمُعَةَ فِي مَقَامِي هَذَا فِي يَوْمِي هَذَا فِي شَهْرِي هَذَا مِنْ عَامِي هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ تَرَكَهَا فِي حَيَاتِي أَوْ بَعْدِي وَلَهُ إِمَامٌ عَادِلٌ أَوْ جَائِرٌ اسْتِخْفَافاً بِهَا وَجُحُوداً بِهَا فَلَا جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ وَلَا بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ أَلَا وَلَا صَلَاةَ لَهُ أَلَا وَلَا حَجَّ لَهُ أَلَا وَلَا صَوْمَ أَلَا وَلَا بِرَّ لَهُ حَتَّى يَتُوبَ فَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ» (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً).

الخطبة السابعة والأربعون

فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،

مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَ حَوْلَهُ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينَ ، وَجَمَعَ فِيهِ لَيْلَتَئِذٍ أَرْوَاحَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ لِيَؤُمَّهُمْ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، حَتَّى يُعْلَمَ أَنَّ دِينَهُ ظَاهِرٌ عَلَى كُلِّ دِينٍ ، وَأَنَّ شَرِيعَتَهُ الْخَالِدَةَ نَاسِخَةٌ لِجَمِيعِ الشَّرَائِعِ وَالْقَوَانِينِ، وَقَدْ عَلَّلَ اللهُ إِسْرَاءَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى نِعْمَةِ التَّصْدِيقِ وَالْإِيمَانِ بِكَلَامِ الرَّسُولِ وَنُصُوصِ الْقُرْآنِ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ الْمُتَفَضِّلُ الْمَنَّانُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُؤَيَّدُ بِالْقُرْآنِ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجَانِّ ، وَأَظْهَرَ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ مَا يُرْغَمُ بِهِ أَنْفُ الشَّيْطَانِ، وَيَعْجَزُ عَنْ مُعَارَضَتِهِ الْمُنَجِّمُونَ وَالْكُهَّانُ ، وَتَذِلُّ بِهِ الْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ وَالسَّدَنَةُ وَالْأَوْثَانُ (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ، مَا يُثَبِّتُ فُؤَادَهُ وَمَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ، وَعَلَى آلِهِ الشُّرَفَاءِ وَأَصْحَابِهِ الْحُنَفَاءِ ، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى سَلَفاً وَخَلَفاً (فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) .

عِبَادَ اللهِ : لَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ كَثِيرًا مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ بِالآيَاتِ

الظَّاهِرَةِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ ، فَكَانَتِ النَّارُ بَرْدًا وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ الَّذِي كَسَرَ الأَصْنَامَ وَغَلَبَ عُبَّادَهَا بِالْحُجَّةِ الْقَاهِرَةِ ، وَكَانَتْ عَصَى مُوسَى إِذَا أَلْقَاهَا تَصِيرُ ثُعْبَاناً مُبِيناً يَلْقَفُ مَا تَأْتِي بِهِ الْفِئَةُ السَّاحِرَةُ ، وَكَانَ يَسْلُكُ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ فَتَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ لِلْعُيُونِ النَّاظِرَةِ ، وَكَانَ عِيسَى يَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِ اللهِ وَيَنْفُخُ فِيهَا فَإِذَا الصُّورَةُ بِإِذْنِ اللهِ طَائِرَةٌ ، أَمَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ فَكَانَ أَكْثَرَهُمْ مُعْجِزَاتٍ وَأَظْهَرَهُمْ آيَاتٍ وَأَوْسَعَهُمْ دَائِرَةً ، وَلَهُ الْقُرْآنُ مُعْجِزَةٌ خَالِدَةٌ وَحُجَّةٌ بَالِغَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) .

أَلَا وَإِنَّ مِنْ مُعْجِزَاتِ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَالرَّسُولِ السَّيِّدِ الْجَلِيلِ أَنْ جَاءَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي رَجَبَ الْحَرَامِ وَهِيَ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنَ الأَقَاوِيلِ ، مَلَائِكَةُ اللهِ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ ، وَهُوَ نَائِمٌ فِي بَيْتِهِ أَوْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِحِجْرِ إِسْمَاعِيلَ ، فَشَقُّوا صَدْرَهُ وَغَسَلُوا قَلْبَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، وَيَا للهِ مِنْ غَاسِلٍ وَقَلْبٍ غَسِيلٍ ، وَأَرْكَبُوهُ الْبُرَاقَ فَسَارَ بِهِ يَقْطَعُ الآفَاقَ ، حَتَّى بَلَغَ الْمَسْجِدَ الأَقْصَى وَصَلَّى فِيهِ مَا كُتِبَ لَهُ وَشَاهَدَ مِنْ عَجَائِبِ الْكَوْنِ مَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ وَأَجْمَلَهُ التَّنْزِيلُ ، وَصَعَدَ إِلَى السَّمٰوَاتِ الْعُلَى ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ رَبُّهُ مَا أَوْحَى وَأَعْطَاهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَيْسَ لَهُ مَثِيلٌ ، وَلَقِيَ آدَمَ وَعِيسَى وَيَحْيَى وَيُوسُفَ وَإِدْرِيسَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ ، وَكُلُّهُمْ سَلَّمَ عَلَيْهِ وَهَنَّأَهُ بِمَا أَكْرَمَهُ

رَبُّهُ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَالْعَطَاءِ الْجَزِيلِ (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ).

وَفِي تِلْكُمُ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الْعَظِيمَةِ ، شَاهَدَ سَيِّدُ الْكَائِنَاتِ وَصَاحِبُ الْمِلَّةِ الْمُسْتَقِيمَةِ كَثِيرًا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لِيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ النَّعِيمَةِ ، وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ فِيهَا مِنَ الْأَنْهَارِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَنْوَارِ وَالزَّوْجَاتِ الطَّاهِرَةِ وَالْأَسِرَّةِ الْعَالِيَةِ وَالْقُصُورِ الْفَخِيمَةِ ، وَلِيُنْذِرَ الْكَافِرِينَ وَالْفَاسِقِينَ عَذَابَ اللهِ وَجَحِيمَهُ ، وَمَا أَعَدَّ فِيهَا لِأَهْلِ الْمُخَالَفَةِ مِنْ ضَرِيعٍ وَزَقُّومٍ وَغِسْلِينٍ وَسُمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ وَحَيَّاتٍ وَآفَاتٍ وَمَصَائِبَ عَظِيمَةٍ ، وَبِعَيْنِ الْيَقِينِ شَاهَدَ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ وَمَقَرَّ أَعْدَاءِ اللهِ وَدَارَ كَرَامَتِهِ الَّتِي لَيْسَتْ لَهَا قِيمَةٌ ، إِلَّا عِبَادَةَ اللهِ وَتَوْحِيدَهُ ، وَمَنْ عَبَدَ اللهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ ،وَمَدَاخِلُهَا كَرِيمَةٌ (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) .

يَا مُؤْمِناً بِالْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَمُصَدِّقاً بِالْمُعْجِزَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ ، هَلْ تَدْرِي لِمَاذَا شَرَّفَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِهَذِهِ الرِّحْلَةِ إِلَى مَا فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَاتٍ ، وَهَلْ تَعْلَمُ سِرَّ مَا يَقُومُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ لِهَذِهِ الذِّكْرَى مِنَ الْحَفَلَاتِ كُلَّ عَامٍ فِي مُخْتَلِفِ الْجِهَاتِ ، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِيُكْرِمَهُ رَبُّهُ وَلِيَفْرِضَ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّتِهِ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسَ صَلَوَاتٍ ، وَهِيَ صِلَةُ مَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ ، وَقَدْ فُرِضَتْ خَمْسِينَ ثُمَّ خُفِّفَتْ إِلَى خَمْس وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ، وَمَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ كَانَتْ لَهُ

عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَوْجَبَهَا عَلَيْهِ فِي الْأَرْضِ وَلَمَا كَانَ فَرْقٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سَائِرِ التَّكَالِيفِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ وَلَكِنْ شَأْنُهَا عَظِيمٌ وَهِيَ رَأْسُ الْإِسْلَامِ وَعَمُودُهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَاصَلَاةَ لَهُ وَلَوْ عَبَدَ اللهَ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِجَمِيعِ الْقُرُبَاتِ ، فَلِذَلِكَ أَوْجَبَهَا تَعَالَى فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ وَجَعَلَ فِيهَا الصِّيَامَ وَالْقِيَامَ وَالْقُعُودَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ وَالتَّسْبِيحَ وَالتِّلَاوَةَ وَالْأَدْعِيَةَ ، وَهَذِهِ أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ ، فَلِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) .

فِي طَلَبِ الْعِلْمِ يَرْحَلُ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنْ بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ وَيُنْفِقُونَ أَمْوَالاً كَثِيرَةً ، وَيُسَافِرُ أَحَدُهُمْ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ الشَّهْرَ وَالشَّهْرَيْنِ ، وَالزَّادُ قَلِيلٌ وَالْمَشَقَّةُ كَبِيرَةٌ ، وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً ، يَطْلُبُ رَجُلاً ذَا عِلْمٍ وَالْقِصَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَعِنْدَ الْعُلَمَاءِ شَهِيرَةٌ ، وَسَيِّدُ الْعُلَمَاءِ وَأَفْضَلُ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ وَصَاحِبُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالدَّاعِي إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ، يُسَاهِمُ فِي هَذِهِ الْفَضِيلَةِ وَيَقُومُ بِرِحْلَتِهِ الْجَلِيلَةِ ، وَيَنَالُ شَهَادَةَ الْعَالَمِيَّةِ مِنْ جَامِعَةِ الْعَرْشِ وَحَظِيرَةِ الْقُدْسِ فِي مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ ، وَإِنَّهُ لَقُدْوَتُنَا وَفِيهِ أُسْوَتُنَا ، وَبِسِيرَتِهِ نُطَالِبُ أَنْفُسَنَا ، وَإِذَا لَمْ نَعْمَلْ بِهَا فَمَا الْفَائِدَةُ مِنْ قِرَاءَةِ السِّيرَةِ ، وَلَا خَيْرَ فِي الذِّكْرَيَاتِ وَمَا يُقَامُ لَهَا مِنَ الْحَفَلَاتِ إِلاَّ إِذَا عُرِفَ الْقَصْدُ وَطُلِبَ الْمَجْدُ وَحَصَلَ الِانْتِفَاعُ بِالْمُشَاهَدَةِ

وَالِاسْتِمَاعِ ، وَإِلاَّ فَعَادَةٌ هَوْجَاءُ وَطَرِيقَةٌ عَوْجَاءُ وَأَعْمَالٌ حَقِيرَةٌ (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) .

إِذَا احْتَفَلَ الْمُسْلِمُونَ بِلَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَشَكَرُوا اللهَ عَلَى مَا أَوْلَى بِهِ نَبِيَّهُمُ الْأَعْظَمَ ﷺ . فَقَدِ احْتَفَلَ أَهْلُ الْكِتَابِ بِيَوْمِ نَجَاةِ مُوسَى وَهَلَاكِ فِرْعَوْنَ وَصَامُوهُ شُكْرًا لِمَنْ تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ وَأَنْعَمَ ، وَكَذَلِكَ يَحْتَفِلُ النَّصَارَى بِيَوْمِ وِلَادَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ قَالَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَ وَأَمَرَ بِصِيَامِ الْعَاشِرِ مِنْ مُحَرَّمٍ ، وَإِنَّمَا الْإِفْرَاطُ فِي التَّعْظِيمِ ، وَمَا يَقَعُ مِنَ الْإِطْرَاءِ الذَّمِيمِ شَيْءٌ لَا تُقِرُّهُ الْأَدْيَانُ وَلَا تَرْضَى بِهِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالقُرْآنُ ، وَلَيْسَ مَنْ يَعْلَمُ كَمَنْ لَا يَعْلَمُ ، أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ مَا يَقَعُ مِنَ الْمَدْحِ وَالْإِطْرَاءِ مِنَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُمْ مُخَالِفُونَ لِهَدْيِهِ ، وَمُتَسَاهِلُونَ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، فَلَيْتَ أَحَدَهُمْ لَمْ يَتَكَلَّمْ وَلَيْتَهُ كَانَ أَصَمَّ وَأَبْكَمْ ، وَمِنْ أُولَئِكَ مَنْ يَدْعُونَ رَسُولَ اللهِ فِي الْمُهِمَّاتِ ، وَيَجْعَلُهُ نِدًّا لِفَاطِرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، وَيَكْذِبُ عَلَيْهِ بِنِسْبَةِ السُّوءِ إِلَيْهِ ، وَلَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ لَأَبَاحَ مِنْهُ الْعِرْضَ وَالْمَالَ وَالدَّمَ (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ

مَكْتُوباً الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ » وَقَالَ ﷺ «رَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ غَرْسُهَا سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ وَلَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ » وَقَالَ ﷺ «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى وَجِبْرِيلُ كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعَالَى » (أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) .

الخطبة الثامنة والاربعون

فِي اسْتِقْبَالِ رَمَضَانَ وَالِاسْتِعْدَادِ لَهُ

اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي شَرَّفَنَا بِاتِّبَاعِ سَيِّدِ الْكَائِنَاتِ ، وَجَعَلَ الدِّيَانَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ فَوْقَ جَمِيعِ الدِّيَانَاتِ ، وَهَدَانَا إِلَى الْحَقِّ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ ، وَشَرَعَ لَنَا مِنَ الدِّينِ مَا فِيهِ صَلَاحُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ الْوَافِرَةِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ الْمُتَكَاثِرَةِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَنَسْأَلُهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ، وَعَلَى آلِهِ

وَأَصْحَابِهِ الْأَكَارِمِ وَأُولِي الْمَكَارِمِ ، مَا تَعَاقَبَ الْجَدِيدَانِ أَوْ تَكَرَّرَتِ الْمَوَاسِمُ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالِاعْتِقَادِ .

عِبَادَ اللهِ : لَقَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرُ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ ، شَهْرُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ ، شَهْرُ مُوَاسَاةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ ، فَشَمِّرُوا لِطَاعَةِ اللهِ عَنْ سَوَاعِدِكُمْ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ ، بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ تَأْخُذُونَ عَنْ أَحْوَالِ الْفُقَرَاءِ وَالْبُؤَسَاءِ خَيْرَ دُرُوسٍ ، وَبِالْإِمْسَاكِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَفُضُولِ الْكَلَامِ تَتَهَذَّبُ النُّفُوسُ ، وَفَائِدَةُ الصِّيَامِ الْمُطَابِقِ لِأَمْرِ الشَّارِعِ أَمْرٌ ظَاهِرٌ مَحْسُوسٌ ، فِيهِ تُطَهَّرُ الْأَرْوَاحُ مِنْ دَرَنِ الذُّنُوبِ وَبِهِ تَصِحُّ الْأَجْسَادُ . كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنَ الرِّيحِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ شَهْرِ الْمَتْجَرِ الرَّبِيحِ ، وَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ ، وَكَانُوا يَجُودُونَ بِأَمْوَالِهِمْ فِي رَمَضَانَ عَلَى ذَوِي الْحَاجَةِ مِنْ مَرِيضٍ وَصَحِيحٍ ، وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُمْ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمُ الْأَعْلَى فَيَا نِعْمَ الْمُرَادُ . أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وَرَحِمَ اللهُ قَوْماً يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، فَعَظِّمُوا ، بِطَاعَةِ اللهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ هَذَا الشَّهْرَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ) (وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) .

إِشْغَلُوا قُلُوبَكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ بِحَمْدِ اللهِ وَشُكْرِهِ ، وَاعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ بِحُضُورِ الصَّلَوَاتِ فِيهَا وَالِاجْتِمَاعِ لِتَعْظِيمِ اللهِ وَذِكْرِهِ ، وَنَوِّرُوا

بُيُوتَكُمْ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعُقُولَكُمْ بِتَدَبُّرِ نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ ، وَزَيِّنُوا بَوَاطِنَكُمْ بِحُبٍّ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ، فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ فِي رَمَضَانَ لِأَهْلِ الذُّنُوبِ غَيْرَ ذُنُوبِ الْعَدَاوَةِ وَالْأَحْقَادِ .

فِي رَمَضَانَ بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَفِيهِ نَصَرَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ بِبَدْرٍ وَفَتَحَ لَهُمْ مَكَّةَ وَكَفَى بِاللهِ وَلِيّاً وَنَصِيرًا ، وَفِيهِ نَزَلَ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ، فَكَانَ حُجَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ بُرْهَاناً وَنُورًا ، وَلِهَذَا افْتَرَضَ اللهُ صِيَامَهُ وَتَعَبَّدَنَا بِقِيَامِهِ وَوَعَدَنَا عَلَى ذَلِكَ أَجْرًا عَظِيماً وَثَوَاباً جَزِيلاً ، وَاللهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ .

لَقَدْ شَرَعَ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي رَمَضَانَ صَلَاةً وَزَكَاةً وَصِيَاماً ، وَأَكْرَمَهُمْ فِيهِ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ هِيَ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ وَثَمَانِينَ عَاماً ، فَتَعَرَّضُوا فِيهِ لِرَحَمَاتِ اللهِ وَاتَّبِعُوا آثَارَ الَّذِينَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً (هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) .

إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَتَجَلَّى رَبُّنَا بِالْجُودِ عَلَى عِبَادِهِ الْأَخْيَارِ ، وَبَاهَى مَلَائِكَتَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارِ ، الصَّائِمِينَ بِالنَّهَارِ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ، وَضَاعَفَ لَهُمُ الْحَسَنَاتِ وَتَجَاوَزَ عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ (هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ)

فَيَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ، وَيَا مُؤْمِناً بِالْقُرْآنِ

تَقَدَّمْ وَيَا مُعْرِضاً عَنْ مَوَائِدِ الإِحْسَانِ أَدْبِرْ ، وَإِنْ شِئْتَ فَصُمْ مَعَنَا ، وَإِنِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ فَأَفْطِرْ ، فَإِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِ الْمُسْتَغْفِرِ ، وَعَذَابَهُ شَدِيدٌ عَلَى الْمُسِيءِ الْمُسْتَكْبِرِ (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) وَلَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، فَفِي الْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلاَّ الصَّائِمُونَ ، يَوْمَ يَقُولُ اللهُ لَهُمْ : كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . (رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) .

(الْحَدِيثُ) «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا ، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَا فِيهِ أَسْبَابُ رَحْمَتِهِ وَجَنَّبَنَا مَوَارِدَ سُخْطِهِ وَنِقْمَتِهِ ، وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَسَوَابِغَ نِعْمَتِهِ (الآيَةُ) (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ،

فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ، وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

الخطبة التاسعة والاربعون

فِي صِيَامِ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الصِّيَامَ جُنَّةً ، وَسَبَباً مُوصِلاً إِلَى الْجَنَّةِ ، وَرِيَاضَةً لِلنُّفُوسِ الْمُطْمَئِنَّةِ ، وَلِجَامِحَاتِ النُّفُوسِ أَعِنَّةً ، وَأَرْشَدَنَا إِلَى إِلَى خَيْرِ طَرِيقَةٍ وَأَقْوَمِ سُنَّةٍ تَفَضُّلاً وَمِنَّةً ، وَقَالَ تَعَالَى (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ، أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَهُوَ الْحَمِيدُ الْمَجِيدُ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ شُكْراً يَسْتَوْجِبُ الْمَزِيدَ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَعَدَّ لِلْمُتَّقِينَ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، وَقَالَ تَعَالَى (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقَوْلِ السَّدِيدِ وَالْفِعْلِ الْحَمِيدِ وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ ، فَشَرِيعَتُهُ مَعْقُولَةٌ وَتَعَالِيمُهُ مَقْبُولَةٌ ، فَمَا أَحْسَنَ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ ، وَمَا أَعْظَمَ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ ، وَمِنْ ذَلِكَ صَوْمُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً

فَهُو خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ، إِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَسَيِّدِ الْأَبْرَارِ وَالْقَائِلِ ﷺ « الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ الْمَاءُ النَّارَ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ وَصَحَابَتِهِ الْأَخْيَارِ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي الصَّوْمِ وَالْإِفْطَارِ ، وَعَلَيْنَا وَمَعَهُمْ وَفِيهِمْ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ (أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) .

عِبَادَ اللهِ : فَضِيلَةُ الصَّوْمِ مَعْرُوفَةٌ وَالْجَزَاءُ عَلَيْهِ عَظِيمٌ وَثَوَابُهُ جَزِيلٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ للهِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ يَتَقَبَّلُهُ مِنَ الصَّائِمِ وَيُثِيبُهُ عَلَيْهِ ، وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ وَلَا بَخِيلٍ ، يَدَعُ الْإِنْسَانُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ للهِ فَيُطْعِمُهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ وَيَسْقِيهِ مِنَ السَّلْسَبِيلِ ، وَيَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنْ شَهَوَاتِهَا وَيَكُفُّ نَفْسَهُ عَنِ الْقَالِ وَالْقِيلِ ، وَيُزَوِّجُهُ رَبُّهُ مِنَ الْحُورِ وَيُخَاطِبُهُ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ، وَالَّذِي عِنْدَهُ كَثِيرٌ وَالَّذِي تَعْلَمُونَهُ قَلِيلٌ ، وَلَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَاللهُ جَمِيلٌ وَيُحِبُّ الْجَمِيلَ ، وَفِي الْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ، وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

بِالصَّوْمِ تُزَكَّى النُّفُوسُ وَتَصِحُّ أَجْسَامُ الصَّائِمِينَ ، وَالْإِنْسَانُ وَسَطٌ

بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَالْبَهَائِمِ الَّتِي يُطْعِمُونَهَا لِلْحَمْلِ عَلَيْهَا أَوِ التَّسْمِينِ ، وَعَلَى قَدْرِ عِبَادَتِهِ يَكُونُ الْتِحَاقُهُ بِالرُّوحَانِيِّينَ ، لَا هَمَّ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلاَّ رِضَاءُ اللهِ وَمُرَافَقَةُ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَكُلَّمَا اعْتَنَى بِبَطْنِهِ وَفَرْجِهِ وَاتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا تَحَكَّمَتْ فِيهِ الشَّيَاطِينُ ، وَصَارَ بَهِيماً لَا يَصْلُحُ إِلاَّ طُعْمَةً لِلآكِلِينَ ، وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا ابْنَ آدَمَ أَيَّ الْحَالَتَيْنِ شِئْتَ ، فَإِمَّا لِهَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ وَمَتَاعِهَا وَإِمَّا لِعَظِيمِ الْجَزَاءِ يَوْمَ الدِّينِ ، مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ (وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

أَيُّ صَابِرٍ هُوَ عِنْدَ اللهِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ طِيلَةَ النَّهَارِ فِي الْبَلَدِ الْحَارِّ وَالزَّمَنِ الْحَارِّ وَلَيْسَتْ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ دُونَ اللهِ مَسْئُولِيَّةٌ وَلَا رَقَابَةٌ ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ وَإِذَا لَقِيَ اللهَ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ، وَدَعْوَتُكَ أَيُّهَا الصَّائِمُ مَقْبُولَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَعَلَيْكَ الدُّعَاءُ وَعَلَى اللهِ الْإِجَابَةُ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى كَرِيمٌ لَا يَمْنَعُ مِنْ فَضْلِهِ أَحْبَابَهُ وَلَا يُغْلِقُ فِي وُجُوهِ السَّائِلِينَ بَابَهُ ، بَلْ أَمَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَهُ بِالدُّعَاءِ وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَى تَرْكِهِ وَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ ثَوَابَهُ وَعِقَابَهُ وَقَالَ تَعَالَى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) .

يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَحْسَبَنَّ الصِّيَامَ فِي الْإِمْسَاكِ عَنِ الْمُفَطِّرَاتِ الْحِسِّيَّةِ ، وَلَكِنَّهُ ذَلِكَ وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الْمُفَطِّرَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، وَمِنْهَا الْكَذِبُ وَالْغِيبَةُ

وَالنَّمِيمَةُ وَشَهَادَةُ الزُّورِ وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ إِلَى امْرَأَتِكَ أَوْ إِلَى الأَجْنَبِيَّةِ ، وَرُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ سَيِّدِ الْبَرِيَّةِ ، وَمَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَالطَّيِّبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ لِسَانَهُ عَنْ فُضُولِ الْكَلَامِ وَيَغَضَّ بَصَرَهُ عَنِ الْحَرَامِ وَيَدَعَ الْفَوَاحِشَ وَالآثَامَ فَمَا أَفْطَرَ وَلَا صَامَ وَلَكِنَّهُ أَتْعَبَ نَفْسَهُ وَفَاتَهُ الأَجْرُ وَسِرُّ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْمَرْضِيَّةِ ، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ «الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَفْسُقْ ، فَإِنِ امْرُؤٌ سَابَّهُ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ» وَذَلِكَ حَيْثُ لَا عُجْبَ وَلَا رِيَاءَ وَلَا شَيْءَ مِمَّا يُفْسِدُ الأَعْمَالَ التَّعَبُّدِيَّةَ (وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) .

مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَعَرَّضَ لِرَحَمَاتِهِ فَازَ بِالْخَيْرِ الْعَظِيمِ وَمَرْضَاةِ رَبِّهِ ، وَلَيْسَ مِنَ الْقِيَامِ هَذِهِ الْمَجَالِسُ وَالسَّمَرَاتُ الَّتِي تَكُونُ عَلَى الشَّايِ وَالْقَاتِ وَغِيبَةِ الْمُسْلِمِ وَشَتْمِهِ وَسَبِّهِ ، وَاسْتِبَاحَةِ عِرْضِهِ وَثَلْبِهِ ، وَإِنَّمَا قِيَامُ اللَّيْلِ بِالصَّلَاةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَحِزْبِهِ ، وَمُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ وَالتَّفَكُّرِ فِي مَخْلُوقَاتِ اللهِ وَذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ بِلِسَانِ الْعَابِدِ وَقَلْبِهِ ، وَفِي رَمَضَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِيجَابِ كُلِّ أَمْرٍ وَسَلْبِهِ وَمَنْ قَامَهَا وَسَأَلَ اللهَ فِيهَا شَيْئاً غَفَرَ لَهُ وَاسْتَجَابَ دَعْوَتَهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَفَازَ بِصَادِقِ حُبِّهِ وَفِي مِثْلِهِ يَقُولُ

جَلَّ ذِكْرُهُ (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ يَعْمُرُونَ الْمَسْجِدَ فِي لَيَالِي رَمَضَانَ بِذِكْرِ اللهِ وَالصَّلَاةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَلَهُمْ بِذَلِكَ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ ، وَتَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّدًا يَبْتَغُونَ مِنَ اللهِ الْفَضْلَ وَالرِّضْوَانَ ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ قَانِتاً للهِ يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ الرَّحِيمِ الرَّحْمٰنِ ، وَعَلَى طُولِ الْقِيَامِ بِالْحَبْلِ وَالْعَصَا قَدِ اسْتَعَانَ ، وَفِي عَصْرِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَمَعَ النَّاسَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ لِيُصَلِّيَ بِهِمُ التَّرَاوِيحَ إِحْيَاءً لِسُنَّةِ سَيِّدِ الْأَكْوَانِ وَنَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ، وَفِي حَيَاتِهِ الشَّرِيفَةِ صَلَّاهَا جَمَاعَةً بِأَصْحَابِهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ أَوْ لَيْلَتَيْنِ وَالْمَسْجِدُ مَلْآنٌ ، ثُمَّ تَرَكَهَا خَشْيَةَ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْهِمْ فَيَعْجِزُ عَنْهَا ضُعَفَاءُ الْعَزَائِمِ وَالْأَبْدَانِ ، فَيَا أَهْلَ التَّرَاوِيحِ وَصَلَاةِ الْوِتْرِ وَالتَّسْبِيحِ ، وَعِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ بِالتِّلَاوَةِ وَإِنَارَتِهَا بِالْمَصَابِيحِ ، أَنْتُمُ الَّذِينَ يَقُولُ اللهُ فِيكُمْ (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) .

فَجِدُّوا يَا عِبَادَ اللهِ فِي طَاعَةِ اللهِ وَلَا تُقَصِّرُوا ، وَاذْكُرُوا اللهَ قِيَاماً وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ وَفِي مَلَكُوتِ اللهِ تَفَكَّرُوا ، وَإِذَا دُعِيتُمْ إِلَى الْخَيْرِ فَلَبُّوا وَبَادِرُوا وَلَا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ اسْتَكْبَرُوا وَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا وَلَمْ يَسْتَغْفِرُوا وَصُومُوا نَهَارَ رَمَضَانَ وَقُومُوا

لَيَالِيَهُ وَاتْلُوا كِتَابَ اللهِ وَتَدَبَّرُوا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ الَّذِينَ تَهَاوَنُوا بِالدِّين فَأَفْطَرُوا وَجَهَرُوا بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ وَبِالْجَرْأَةِ عَلَى اللهِ تَظَاهَرُوا ، وَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَاتَّقُوا اللهَ وَرَابِطُوا وَاصْبِرُوا وَصَابِرُوا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ » وقَالَ ﷺ « إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ » وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « ذَاكِرُ اللهِ فِي رَمَضَانَ مَغْفُورٌ لَهُ ، وَسَائِلُ اللهِ فِيهِ لَا يَخِيبُ » وَقَالَ ﷺ «لَوْ يَعْلَمُ الْعِبَادُ مَا رَمَضَانُ لَتَمَنَّتْ أُمَّتِي أَنْ تَكُونَ السَّنَةُ كُلُّهَا رَمَضَانَ » وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ « يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ وَصَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَأَدَّيْتَ الزَّكَاةَ وَصُمْتُ رَمَضَانَ وَقُمْتُهُ فَمِمَّنْ أَنَا ؟ قَالَ : مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ » . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) .

الخطبة الخمسون

فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ

اَلْحَمْدُ لِلهِ الْمَحْمُودِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، الْمَعْبُودِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، وَفَّقَ لِلْخَيْرِ مَنِ اصْطَفَاهُ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، وَتَعَبَّدَنَا بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ وَزَكَاةِ الْفِطْرِ وَزَكَاةِ الْمَالِ ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ لِلْقَادِمِينَ عَلَيْهِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَالنَّارَ لِأَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ ، الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ اللهَ وَلَا يَعْبُدُونَهُ وَلَا يُقَابِلُونَ أَوَامِرَهُ بِالِامْتِثَالِ ، فَلَا يَسْتَجِيبُونَ دَاعِيَ اللهِ فِي رَمَضَانَ وَلَا شَوَّالَ (وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَمَرَ بِالْخَيْرِ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ الْمُتَعَبِّدِينَ وَنَهَى عَنِ الشَّرِّ وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ الْمُقَصِّرِينَ وَلَا الْجَاحِدِينَ ، وَلَكِنَّهُ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَامِلِينَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّاصِحُ الْأَمِينُ ، الْقَائِلُ ﷺ : مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَقَامَهُ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُنْزَلِ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ

عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الَّذِينَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ، بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ) .

عِبَادَ اللهِ : مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِيهِ فَقَدْ فَاتَهُ رِبْحُ الْعَامِ ، وَمَنْ أَدْرَكَ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْهُ وَلَمْ يَصِلِ الصِّيَامَ فِيهَا بِالْقِيَامِ ، وَيُلَذِّذْ نَفْسَهُ فِيهَا بِتِلَاوَةِ أَفْضَلِ الْكَلَامِ ، كَلَامِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ ، فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ بِخَيْرِ الْأَنَامِ ، مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَلَقَدْ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ، يُدَارِسُ جِبْرِيلَ كِتَابَ اللهِ هَذَا الشَّهْرَ عَلَى التَّمَامِ ، فَنِعْمَ السَّفِيرُ وَنِعْمَ الْبَشِيرُ وَأَكْرِمْ بِالِاثْنَيْنِ مِنْ مَأْمُومٍ وَإِمَامٍ ، وَفِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَطْوِي فِرَاشَهُ وَيَشُدُّ مِئْزَرَهُ وَيُوقِظُ أَهْلَهُ لِمُنَاجَاةِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، فِي هَذِهِ اللَّيَالِي الْمُبَارَكَةِ الَّتِي يَنَالُ فِيهَا الْقَصْدَ وَالْمَرَامَ ، وَيَتَجَلَّى الْكَرِيمُ فِيهَا عَلَى عِبَادِهِ بِمُضَاعَفَةِ الْأُجُورِ وَمَغْفِرَةِ الْآثَامِ (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) .

يَعْتِقُ رَبُّنَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ مِائَةَ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ ، وَفِي اللَّيْلَةِ الْأَخِيرَةِ يَعْتِقُ مِثْلَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا دَأْبُهُ فِي اللَّيْلِ فَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ فِي النَّهَارِ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا صَنِيعُهُ

بِالْأَشْرَارِ وَالْعُصَاةِ وَالْفُجَّارِ ، فَأَيُّ شَيْءٍ يُعِدُّهُ لِلْأَخْيَارِ وَالْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ ، هُوَ وَاللهِ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ بِخَيْرِ جِوَارٍ فَهَنِيئاً لَكُمْ أَيُّهَا الصَّائِمُونَ عَنِ الْمُفْطِرَاتِ وَالْأَوْزَارِ ، فَإِنَّكُمْ لَمِنَ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ، وَأَنْتُمُ الَّذِينَ يَقُولُ اللهُ فِيكُمْ (يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) .

مَا أَكْرَمَ اللهُ أُمَّةً بِمِثْلِ مَا أَكْرَمَ بِهِ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ فِي هَذَا الشَّهْرِ فَذُنُوبٌ مَغْفُورَةٌ وَعُيُوبٌ مَسْتُورَةٌ ، وَدَعَوَاتٌ مُسْتَجَابَةٌ وَمُضَاعَفَةٌ لِلْأَجْرِ ، وَقَدْ أَكْرَمَنَا فِيهِ بِإِنْزَالِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ، مَا صَادَفَهَا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَسَأَلَ اللهَ فِيهَا شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَكَفَاهُ مُهِمَّاتِ الدَّهْرِ ، فَالْتَمِسُوهَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي الْأَوْتَارِ مِنْ هَذِهِ الْعَشْرِ ، وَقُولُوا رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَأَجِرْنَا مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَاسْأَلُوا اللهَ فِيهَا أَنْ يَجْمَعَ شَتَاتَ الْمُسْلِمِينَ وَيُؤَلِّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَيَصْرِفَ عَنْهُمُ الْأَحْقَادَ وَالإِحَنَ وَالاخْتِلَافَ وَالْمِحَنَ وَمَا يُقَاسُونَهُ مِنَ الْجَهْلِ وَالْفَقْرِ ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ (حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) .

التَّاجِرُ الْخَبِيرُ يَغْتَنِمُ فُرْصَةَ الْأَسْوَاقِ وَيَجِدُّ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَيَحْرِصُ عَلَى مُعَامَلَةِ التُّجَّارِ ، وَيَتَحَمَّلُ فِي سَبِيلِ تِجَارَتِهِ الْأَذَى ، وَيَصْبِرُ مِنْ أَجْلِهَا عَلَى الْبَلَاءِ ، وَيُقَاسِي مَشَقَّةَ الْعَمَلِ وَتَكَالِيفَ الْأَسْفَارِ ، لَا لِشَيْءٍ سِوَى أَنَّهُ طَعِمَ لَذَّةَ الِاكْتِسَابِ وَحَصَلَ عَلَى الدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ ، وَلِلْآخِرَةِ أَسْوَاقٌ يَرْبَحُ فِيهَا قَوْمٌ وَيَخْسَرُ فِيهَا آخَرُونَ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخَسَارِ ، وَلِلطَّاعَةِ مَوَاسِمُ وَأَوْقَاتٌ يَفُوزُ فِيهَا الْعَامِلُونَ بِالرِّبْحِ الْكَثِيرِ وَالْفَضْلِ الْكَبِيرِ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ، وَمِنْ تِلْكُمُ الْأَوْقَاتِ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ، وَفِيهِ تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ النَّارِ ، وَقَدْ أَوْشَكَ أَنْ يَنْقَضِيَ وَقَارَبَ الِانْتِهَاءَ فَإِمَّا شَاهِدًا لَكُمْ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ ، وَإِمَّا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ بِالْغَفْلَةِ وَالْإِعْرَاضِ وَالْإِفْطَارِ (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ، قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) .

حَاسِبْ نَفْسَكَ يَا عَبْدَ اللهِ آخِرَ الشَّهْرِ قَبْلَ أَنْ يُحَاسِبَكَ اللهُ ، وَانْظُرْ إِلَى صَحِيفَةِ أَعْمَالِكَ وَمَاذَا كُتِبَ لَكَ فِيهَا مِنْ صِيَامٍ وَصَلَاةٍ وَبِرٍّ وَنَفَقَةٍ وَإِحْسَانٍ وَصَدَقَةٍ وَرَحْمَةٍ وَمُوَاسَاةٍ وَلَوْ بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ لَهُ مِنْ دُنْيَاهُ إِلَّا مَا تَمَتَّعَ بِهِ فَأَفْنَاهُ أَوْ قَدَّمَهُ فَاسْتَبْقَاهُ ، وَاسْأَلْ ضَمِيرَكَ هَلْ هَذَّبَ الصَّوْمُ نَفْسَكَ ؟ وَهَلْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللهِ ؟ وَهَلْ سَلِمَ لَكَ مِمَّا يُحْبِطُ الْعَمَلَ مِنْ فُضُولِ الْمَقَالِ وَقَبِيحِ الْفِعَالِ وَمِنَّةٍ عَلَى اللهِ وَأَذِيَّةٍ لِعِبَادِ اللهِ ، وَعَاتِبْ نَفْسَكَ وَاتَّهِمْهَا بِالتَّقْصِيرِ ، وَقُمْ لِرَبِّكَ أَوْقَاتَ الْمُنَاجَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ وَأَدْبَارَ الصَّلَاةِ (رَبَّنَا ظَلَمْنَا

أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

آهٍ عَلَى رَمَضَانَ وَقَدِ انْقَضَتْ أَيَّامُهُ ، وَذَهَبَتْ لَيَالِيهِ وَتَمَّ صِيَامُهُ وَقِيَامُهُ ، وَعَمَّا قَرِيبٍ يَزُولُ تَعَبُهُ وَآلامُهُ ، وَيَسُوءُ الْمُخْبِتِينَ الْقَانِتِينَ تَمَامُهُ ، وَتَجِفُّ صَحَائِفُهُ وَتُرْفَعُ أَقْلامُهُ ، فَعَلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَحِيَّةُ اللهِ وَسَلامُهُ ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَعُودَ عَلَيْنَا عَامُهُ ، وَنَحْنُ بِخَيْرٍ وَعَافِيَةٍ وَقَدْ رُفِعَتْ لِلدِّينِ أَعْلَامُهُ ، وَسَادَ دُسْتُورُهُ وَنِظَامُهُ ، وَاللهُ يُخَلِّصُنَا فِيهِ مِنَ النَّارِ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ خِتَامُهُ ، وَيَشْمَلُنَا مِنَ الْكَرِيمِ تَفَضُّلُهُ وَإِنْعَامُهُ ، آمِينَ (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) .

فِي ذِمَّةِ اللهِ يَا شَهْرَ التِّلَاوَةِ وَالتَّسْبِيحِ ، وَفِي دَعَةِ اللهِ يَا شَهْرَ الْقِيَامِ بِالتَّرَاوِيحِ ، وَفِي أَمَانِ اللهِ يَا شَهْرَ الْمَصَابِيحِ وَالْمَتْجَرِ الرَّبِيحِ ، يَا شَهْرَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْيُمْنِ وَالْبَرَكَةِ وَالرِّضْوَانِ وَالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ ، فَفِيكَ يَجِيءُ النَّشَاطُ لِكُلِّ عَمَلٍ مَلِيحٍ ، وَتَقْصُرُ فِيكَ الْإِرَادَةُ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ ، وَفِيكَ يَجُودُ الشَّحِيحُ وَيَغْنَى الْفَقِيرُ وَيَسْتَرِيحُ ، وَفِيكَ يُقْبِلُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى الطَّاعَةِ وَصِدْقِ الْيَقِينِ ، وَيَعْمُرُونَ الْمَسَاجِدَ وَيُظْهِرُونَ شَعَائِرَ الدِّينِ (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» وَقَالَ ﷺ «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» أَوْ كَمَا قَالَ .

الخطبة الحادية والخمسون

فِي الْحَثِّ عَلَى الزَّكَاةِ وَإِخْرَاجِهَا

اَلْحَمْدُ لِلهِ الآمِرِ بِكُلِّ مَبَرَّةٍ ، وَالنَّاهِي عَنْ كُلِّ مَضَرَّةٍ ، وَشَارِعِ الزَّكَاةِ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً ، فَإِمَّا زَكَاةُ مَالٍ وَإِمَّا الْفِطْرَةُ ، وَجَاعِلِ الْحَسَنَةِ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا إِلَى مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْكَثْرَةِ ، وَالسَّيِّئَةِ بِمِثْلِهَا وَاللهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَهُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ مُقَدَّرٍ وَمَقْسُومٍ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَرَضَ عَلَى الْغَنِيِّ فِي مَالِهِ الْحَقَّ الْمَعْلُومَ ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَعْصُومُ ، مِنَ الشُّحِّ الْمَذْمُومِ وَالْبُخْلِ الْمَشْئُومِ ، الْمُنْزَلُ عَلَيْهِ (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ، وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْقَانِتِ الْأَوَّاهِ وَالزَّاهِدِ فِي دُنْيَاهُ ، وَالْمُنْفِقِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالْقَائِلِ ﷺ : أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ

النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ . وَالْقَائِلِ أَيْضاً : مَا تَلِفَ مَالٌ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ إِلاَّ بِحَبْسِ الزَّكَاةِ . صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي أَوَامِرِ اللهِ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ الَّذِينَ ظَهَرَتْ لَهُمُ الصَّلَاةُ فَقَبِلُوهَا ، وَخَفِيَتْ لَهُمُ الزَّكَاةُ فَأَكَلُوهَا ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُنَافِقُونَ (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ).

عِبَادَ اللهِ : إِخْرَاجُ الزَّكَاةِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ كَمَا تَعْلَمُونَ ، وَمَنْ لَا زَكَاةَ لَهُ لَا إِسْلَامَ لَهُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، وَمَانِعُ الزَّكَاةِ مِنَ الَّذِينَ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ، وَجَاحِدُهَا كَافِرٌ مُرْتَدٌّ مَلْعُونٌ ، بَخِيلٌ بِمَا آتَاهُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، مَنَّاعٌ لِلْخَيْرِ حَرِيصٌ مَفْتُونٌ وَسَيُمَثَّلُ لَهُ مَالُهُ شُجَاعاً أَقْرَعَ يُطَوِّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الْأَمِينُ الْمَأْمُونُ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ الْمَكْنُونُ (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) .

لَقَدْ شَرَعَ اللهُ هَذَا الدِّينَ فَجَعَلَهُ مُعَامَلَةً بَيْنَ الْعَبْدِ وَمَوْلَاهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْحَجُّ وَالصَّوْمُ وَالصَّلَاةُ ، وَجَعَلَهُ مُعَامَلَةً بَيْنَ الْعِبَادِ أَفْرَادًا وَأُسَرًا وَجَمَاعَاتٍ ، فَتَبَارَكَ اللهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ وَمُوَاسَاةُ ذَوِي الْحَاجَةِ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَبِالزَّكَاةِ ، وَالْأَعْمَالُ الْبَدَنِيَّةُ يَقُومُ بِهَا الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ ، وَالْمَأْمُورُ وَالْأَمِيرُ ، لَا تَسْقُطُ عَنْ فَقِيرٍ

لِفَقْرِهِ وَلَا عَنْ غَنِيٍّ لِغِنَاهُ ، وَكُلُّ عِبَادَةٍ مَالِيَّةٍ فَهِيَ عَلَى الْغَنِيِّ وَمَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ اللهُ ، وَذَلِكَ مِمَّا شَرَعَهُ اللهُ فِي جَمِيعِ كُتُبِهِ وَعَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَاهُ (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ) .

لَوْ أَدْرَكَ النَّاسُ حِكْمَةَ الزَّكَاةِ وَأَدَّى الْغَنِيُّ مَا عَلَيْهِ لِلْفَقِيرِ لَطَابَتْ نُفُوسُهُمْ وَائْتَلَفَتْ قُلُوبُهُمْ وَلَمْ يَحْسُدِ الْبَائِسُ نِعْمَةَ اللهِ وَفَضْلَهُ الْكَبِيرَ ، عَلَى الْغَنِيِّ الْقَائِمِ بِحُقُوقِ اللهِ الْمُتَصَدِّقِ بِمَالِهِ وَالْمُنْصِفِ مِنْ نَفْسِهِ الشَّرِيكَ وَالْأَجِيرَ ، وَلَوْ أَخْرَجَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الزَّكَاةَ وَالْفِدْيَةَ وَالنَّذْرَ وَالتَّكْفِيرَ ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ مَا يُغْنِي عَنِ الاشْتِرَاكِيَّةِ وَالشُّيُوعِيَّةِ وَتَحَكُّمِ الْمَفَالِيسِ فِي ثَرْوَةِ الْمَيَاسِيرِ ، وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَغْنِيَاءِ يَجُودُ بِالْأُلُوفِ فِي غَيْرِ مَعْرُوفٍ وَيُهْلِكُ مَالَهُ بِالتَّبْذِيرِ ، وَيَبْخَلُ عَلَى اللهِ بِرُبْعِ الْعُشْرِ مِنْ عُرُوضِ تِجَارَتِهِ وَمَا لَدَيْهِ مِنَ الدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ ، وَهُوَ شَيْءٌ يُؤْخَذُ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَيُرَدُّ عَلَى الْفُقَرَاءِ فِي الْعَامِ مَرَّةً ، فَهُوَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) .

وَالْمُؤْمِنُ الْكَرِيمُ عَلَى اللهِ مَنْ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي

الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ .

يَمْلِكُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ النُّقُودِ مِئَاتَ الْأُلُوفِ بَلْ عَشَرَاتِ الْمَلَايِينِ ، وَيَكْبُرُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يُخْرِجَ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَلَوْ جُمِعَتْ زَكَاةُ الْمُسْلِمِينَ وَقُسِّمُوهَا كَمَا أَمَرَهُمُ اللهُ فِي الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، لَاسْتَغْنَى الْفَقِيرُ وَتَعَلَّمَ الْجَاهِلُ وَتَزَوَّجَ الْأَرْمَلُ وَتَرَبَّى الْيَتِيمُ وَلَسَعِدَ كُلٌّ مِنَ الآبَاءِ وَالْبَنِينَ ، وَلَعُمِّرَتِ الْمَسَاجِدُ وَفُتِحَتِ الْمَدَارِسُ وَالْمَلَاجِىءُ وَقَامَتِ الْمُسْتَشْفَيَاتُ ، وَلَمْ يَبْقَ سَارِقٌ وَلَا بَغِيٌّ وَلَمْ نَعْرِفِ الْمَعْوِزِينَ الْبَائِسِينَ وَلَأَصْبَحَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً مُعْجَبِينَ بِهَذَا الدِّينِ ، دِينِ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَالْمُوَاسَاةِ وَالْمُسَاوَاةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنَّهَا الْأَمْوَالُ تَذْهَبُ فِي أَيْدِي الْمُسْرِفِينَ ، لَا يَقُومُونَ فِيهَا بِوَاجِبٍ وَلَا يَعْرِفُونَ فِيهَا حَقاً لِمُسْتَحِقِّينَ (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

قَدْ يُخْرِجُ بَعْضُ النَّاسِ الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ غَيْرَ مَنَّانٍ بِهَا وَلَا بَخِيلٍ ، شَاكِرًا لِأَنْعُمِ اللهِ لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ إِلاَّ وَجْهَ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ يُفَرِّقُهَا وَلَا يَعْرِفُ كَيْفَ يُنْفِقُهَا فَيَأْخُذُهَا مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَالْمُوَظَّفِينَ وَقُطَّاعِ السَّبِيلِ ، وَيَنَالُهَا قَاطِعُ الصَّلَاةِ وَمُفْطِرُ رَمَضَانَ وَمَنْ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى الْفَسَادِ فِي الْغَدَاةِ وَالْأَصِيلِ ،

وَيَصِلُ إِلَيْهَا قَوْمٌ آخَرُونَ بِالدَّجَلِ وَالتَّضْلِيلِ ، وَيُحْرَمُ مِنْهَا الضُّعَفَاءُ وَالْمُنْقَطِعُونَ فِي الْبُيُوتِ الَّذِينَ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً ، لَا يُطْغِيهِمُ الْكَثِيرُ وَلَا يُسْخِطُهُمُ الْقَلِيلُ ، فَتَنَبَّهُوا لَهُمْ يَا عِبَادَ اللهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْفَضِيلِ ، فَثَوَابُ النَّافِلَةِ فِيهِ كَثَوَابِ الْفَرِيضَةِ فِي غَيْرِهِ ،وَالْفَرِيضَةُفِيهِ بِسَبْعِينَ فَرِيضَةٍ فِي غَيْرِهِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ وَكِيلٌ ،وَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يَقُولُ اللهُ فِيهِمْ (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

يَا عَبْدَ اللهِ لِلزَّكَاةِ أَحْكَامٌ وَشُرُوطٌ وَأَرْكَانٌ ، وَمَسَائِلُ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ وَعَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ ذَلِكَ حَتَّى تَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنَ الْأَمْرِ وَبَيَانٍ ، فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ ، وَمَنْ عَبَدَ اللهَ بِشَيْءٍ فَلَا يَعْبُدُهُ إِلَّا بِمَا يَرْجَحُ فِي الْمِيزَانِ ، وَهُوَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ الرَّحْمَنُ لِعِبَادِهِ عَلَى لِسَانِ خَيْرِ إِنْسَانٍ ، فَقَدْ يُحْسِنُ الْمَرْءُ إِلَى غَيْرِهِ وَلَكِنَّهُ لا يُثَابُ عَلَى ذَلِكَ الْإِحْسَانِ ، وَقَدْ يَمْنَعُ الْوَاجِبَ ظَناً مِنْهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَيْهِ فَيَسْتَزِلُّهُ الشَّيْطَانُ ، وَمَا أَعْظَمَ حَاجَاتِنَا إِلَى تَعْلِيمِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ لِكَثِيرٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسْوَانِ ، الَّذِينَ يَمْنَعُهُمُ الْحَيَاءُ عَنِ السُّؤَالِ فِي الدِّينِ وَاللهُ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ فَاتَّبِعِ الْحَقَّ حَيْثُ كَانَ (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ، فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ) .

أَلَا وَإِنَّ زَكَاةَ الْفِطْرَةِ آخِرَ هَذَا الشَّهْرِ وَاجِبَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كَزَكَاةِ الْمَالِ ، وَهِيَ عَنْ نَفْسِكَ وَعَنْ مَنْ تَلْزَمُكَ نَفَقَتُهُ مِنَ الْأُجَرَاءِ وَالْأَقْرِبَاءِ وَالزَّوْجَاتِ وَالْعِيَالِ ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَاضِلاً عَنْ قُوتِ يَوْمِ الْعِيدِ وَلَيْلَتِهِ ، وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَلْبَسٍ وَخَادِمٍ وَمَنْزِلٍ وَأَثَاثٍ وَلَوْ مِنَ الْغَالِ ، وَلَا تَلْزَمُ الْمُسْلِمَ إِلَّا بِإِدْرَاكِ جُزْءٍ مِنْ رَمَضَانَ وَجُزْءٍ مِنْ شَوَّالَ ؛ وَالْحِكْمَةُ فِيهَا مُسَاعَدَةُ الْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ ضِيقِ الْحَالِ فِي تِلْكُمُ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي ، وَالصَّوْمُ مُعَلَّقٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَقْبَلُهُ اللهُ إِلَّا بِزَكَاةِ الْفِطْرِ وَهِيَ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَهِيَ صَاعٌ مِنَ الْقُوتِ الْغَالِبِ فِي بَلَدِ الْمُزَكِّي أَوْ قِيمَتُهُ عَلَى خِلَافٍ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ وَالنُّقَّالِ ، فَأَخْرِجُوهَا طَيِّبَةً بِهَا أَنْفُسُكُمْ مِنْ أَفْضَلِ الْمَالِ ، وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ يَا أَهْلَ الْكَمَالِ ، فَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَحَجَّ الْبَيْتَ وَصَامَ رَمَضَانَ وَقَرَى الضَّيْفَ دَخَلَ الْجَنَّةَ» وَقَالَ ﷺ «مَا مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَيَصُومُ رَمَضَانَ وَيُخْرِجُ الزَّكَاةَ وَيَجْتَنِبُ الْكَبَائِرَ السَّبْعَ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَقِيلَ لَهُ ادْخُلْ بِسَلَامٍ» وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أُمِرْنَا بِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَمَنْ لَمْ يُزَكِّ فَلَا صَلَاةَ لَهُ ، وَكَانَ يَقُولُ إِذَا أَخَذَ زَكَاةَ قَوْمٍ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «إِذَا أُعْطِيتُمُ الزَّكَاةَ فَلَا تَنْسَوْا ثَوَابَهَا أَنْ تَقُولُوا : اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مَغْنَماً وَلَا تَجْعَلْهَا مَغْرَماً»

وَفَرَضَ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، واللهُ تَعَالَى يَقُولُ (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) .

الخطبة الثانية والخمسون

خُطْبَةُ عِيدِ الْفِطْرِ

اَللهُ أَكْبَرُ (تِسْعاً) .

اَللهُ أَكْبَرُ يَرْفَعُ بِالطَّاعَةِ أَقْوَاماً وَيَضَعُ بِالْمَعْصِيَةِ آخَرِينَ ، اَللهُ أَكْبَرُ يُثِيبُ الصَّائِمِينَ وَيُعَاقِبُ الْفَاطِرِينَ ، اَللهُ أَكْبَرُ وَالْعِزَّةُ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، وَالذِّلَّةُ وَالْهَوَانُ وَالصَّغَارُ وَالدُّونُ لِلشَّيْطَانِ وَأَتْبَاعِهِ الْكَافِرِينَ وَالْعُصَاةِ الْفَاجِرِينَ ، اَللهُ أَكْبَرُ مَا صَامَتِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ شَهْرَ رَمَضَانَ مُخْبِتِينَ وَصَابِرِينَ ، اَللهُ أَكْبَرُ مَا قَرَأُوا الْقُرْآنَ وَبَاتُوا لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَاماً سَاهِرِينَ ، اَللهُ أَكْبَرُ مَا ازْدَحَمَتْ بِهِمُ الْمَسَاجِدُ مُصَلِّينَ وَذَاكِرِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَلِفَضْلِهِ سَائِلِينَ وَعَلَى نِعْمَتِهِ شَاكِرِينَ ، اَللهُ أَكْبَرُ مَا ذَكَرُوا بِصِيَامِهِمْ أَحْوَالَ الْبَائِسِينَ ، وَوَاسُوا بِزَكَاتِهِمُ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ ، وَخَرَجُوا يَوْمَ الْعِيدِ مَسْرُورِينَ ، يَحْمَدُونَ اللهَ وَيُهَنِّيءُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِمَا نَالَهُ مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ وَالْفَضْلِ الْأَكْبَرِ ،

اَللهُ أَكْبَرُ مَا صَامَ صَائِمٌ وَأَفْطَرَ ، وَتَذَكَّرَ مُؤْمِنٌ فَتَقَدَّمَ وَأَعْرَضَ فَاسِقٌ فَتَأَخَّرَ ، اَللهُ أَكْبَرُ (ثَلَاثاً) .

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الْعِيدَ يَوْمَ جَزَاءٍ وَثَوَابٍ ، يَخْلَعُ فِيهِ عَلَى الْعَابِدِينَ حُلَلَ الرِّضَاءِ وَيُلْبِسُهُمْ فِيهِ مِنْ إِحْسَانِهِ جَمِيلَ الثِّيَابِ ، وَيُكَرِمُهُمْ فِيهِ بِأَجْرِ الْكَسْبِ وَيَغْفِرُ لَهُمْ فِيهِ سَيِّئَاتِ الاكْتِسَابِ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى التَّوْفِيقِ لِمَا أَمَرَنَا بِهِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ مِنْ تَرْكِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسَّرَ عَلَيْنَا قِيَامَ رَمَضَانَ بِصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ وَتِلَاوَةِ الْكِتَابِ ، وَنَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ وَأَنْ يَفْتَحَ لَنَا مِنَ الْخَيْرِ كُلَّ بَابٍ ، وَيُعِينَنَا عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ وَأَنْ يَسْلُكَ بِنَا فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ سَبِيلَ الصَّوَابِ ، رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ جَعَلَ الْعِيدَ يَوْمَ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَبَعَالٍ ، وَأَمَرَ فِيهِ الْمُسْلِمَ بِالتَّوْسِيعِ عَلَى نَفْسِهِ وَالْأَهْلِ وَالْعِيَالِ ، وَحَرَّمَ صَوْمَهُ وَنَدَبَ فِيهِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى التَّصَدُّقِ بِالْمَالِ الْحَلَالِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَنْعُوتُ بِأَشْرَفِ الْخِصَالِ ، وَأَعْلَى بَنِي الْإِنْسَانِ فِي دَرَجَاتِ الْكَمَالِ ، يُرَغِّبُ فِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ وَيَدْعُو إِلَى اللهِ بِلِسَانِ الْحَالِ وَالْمَقَالِ ، وَيَعْدِلُ صِيَامَ الدَّهْرِ بِصِيَامِ رَمَضَانَ وَسِتٌّ مِنْ شَوَّالَ ، اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وَآلٍ ، مَا تَعَاقَبَتِ الْأَيَّامُ وَتَوَالَتِ اللَّيَالِي وَعَلَى التَّابِعِينَ

لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي اكْتِسَابِ الْخَيْرِ وَتَرْكِ الشَّرِّ ، وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً ، وَبِالنَّارِ أَنْذَرَ ، وَبِالْجَنَّةِ وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ بَشَّرَ ، اللهُ أَكْبَرُ (ثَلاَثاً) .

عِبَادَ اللهِ : هَذَا يَوْمٌ يُوَفَّى الصَّابِرُونَ فِيهِ أُجُورَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَيُكْرِمُ الرَّحْمٰنُ فِيهِ عِبَادَهُ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ عَلَى مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ، وَيُبَاهِي بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مَلاَئِكَةَ السَّمَاءِ وَأَنْتُمْ فِي الصَّلاَةِ خَاشِعُونَ ، وَعَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَلِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَمِنَ الصِّيَامِ خَارِجُونَ ، تَمْتَثِلُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

فَاللهُ أَكْبَرُ مَا أَعْظَمَ فَرْحَةَ الصَّائِمِينَ حِينَ يُفْطِرُونَ ، وَحِينَ يَخَافُ النَّاسُ وَهُمْ آمِنُونَ ، لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ، عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ، يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ، وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ، وَمِنْ سُورَةِ الرَّحْمٰنِ (هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ) وَفِي سُورَةِ الْقَمَرِ يَقُولُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ) .

يَوْمُ الْعِيدِ تَكُونُ وُجُوهُ الصَّائِمِينَ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ، وَعَلَى وُجُوهِ الْعُصَاةِ غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ، وَهَلْ مُسْلِمٌ طَائِعٌ هَدَاهُ اللهُ وَلِلسَّبِيلِ يَسَّرَهُ كَفَاجِرٍ أَمَرَهُ رَبُّهُ بِصِيَامِ رَمَضَانَ فَأَفْطَرَهُ ، فَحَقَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى (كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ) وَقَاتَلَهُ اللهُ مَا أَكْفَرَهُ وَمَا أَشَدَّ أَشَرَهُ

وَبَطَرَهُ ، وَمَنْ قَدَّمَهُ اللهُ لَيْسَ كَمَنْ أَخَّرَهُ ، فَذَاكَ بِمَرْضَاتِهِ فَائِزٌ ، وَلِلْخَيْرِ حَائِزٌ ، وَعَلَى الصِّرَاطِ جَائِزٌ ، وَهَذَا مُجَاهِرٌ بِالسُّوءِ وَمُبَارِزٌ ، وَلِحُدُودِ اللهِ مُتَجَاوِزٌ ، وَقَدْ عَرَفَ الْحَقَّ فَأَنْكَرَهُ ، وَجَاءَ يَوْمُ الْعِيدِ فَاسْتَقْبَلَهُ وَقَدَّرَهُ ، وَشَارَكَ أَهْلَهُ فِيهِ وَحَضَرَهُ وَلَيْتَهُ غَابَ وَمَا حَضَرَ ، وَاخْتَبَأَ فِي بَيْتِهِ وَمَا ظَهَرَ ، لِئَلاَّ يَخْسِفَ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ أَوْ يَرْمِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ بِحَجَرٍ (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) .

مَا شَرَعَ اللهُ عِيدَ الْفِطْرِ إِلاَّ لِيَفْرَحَ الصَّائِمُونَ بِتَمَامِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ ، وَمَا نَدَبَهُمْ فِيهِ إِلَى الصَّلَاةِ إِلاَّ لِيَجْتَمِعُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ، وَمَنْ تَاجَرَ اللهَ فَتِجَارَتُهُ رَابِحَةٌ ، فَعَمَلٌ يَسِيرٌ ، وَثَوَابٌ كَثِيرٌ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ السَّيِّدُ الْكَرِيمُ بِالْعَبْدِ الْمُسْتَقِيمِ ، فَيَقْبَلُ مِنْهُ الْقَلِيلَ وَيَحُطُّ عَنْهُ الثَّقِيلَ وَكَرَمُ اللهِ وَاسِعٌ وَحُجَّتُهُ وَاضِحَةٌ ، فِي هَذَا الْيَوْمِ يَجْتَمِعُ الْمُسْلِمُونَ بِقُلُوبٍ مُتَحَابَّةٍ وَأَجْسَامٍ مُتَعَانِقَةٍ ، وَوُجُوهٍ بَاشَّةٍ وَأَيْدٍ مُتَصَافِحَةٍ ، وَيُذَكِّرُ بِالْخَيْرِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَكُلٌّ يَرَى كَفَّةَ أَخِيهِ بِمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي رَمَضَانَ مِنْ جَلَائِلِ الْأَعْمَالِ وَقَدْ أَصْبَحَتْ يَوْمَ الْعِيدِ رَاجِحَةً ، أَمَّا الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْعِيدِ إِلاَّ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ اللَّذِيذَ وَالثَّوْبَ الْجَدِيدَ ، وَلَا يَفْقَهُونَ مِنْهُ إِلاَّ الْمُفَاخَرَةَ بِأَقْبَحِ الْعَادَاتِ وَأَسْوَإِ التَّقَالِيدِ وَلَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ اللَّيْلَةِ الْقَادِمَةِ وَاللَّيْلَةِ الْبَارِحَةِ ، فَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْعِيدِ إِلاَّ مَظَاهِرُهُ ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْحَظِّ إِلاَّ عَوَاثِرُهُ ، وَقَدْ فَاتَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ ، وَضَمَائِرُهُمْ تُؤَنِّبُهُمْ عَلَى فَوَاتِ الْفُرْصَةِ السَّانِحَةِ

وَالشَّيْطَانُ يَقُولُ لَهُمْ : مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمُ الْجَامِحَةَ ، فَتُوبُوا عِبَادَ اللهِ عَمَّا فَاتَ وَاسْتَعِدُّوا لِطَاعَةِ اللهِ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ وَبَادِرُوا بِالْخَيْرِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ، وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) .

بَعْضُ النَّاسِ يُشَمِّرُ فِي طَاعَةِ اللهِ طِيلَةَ رَمَضَانَ ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيَذْكُرُ اللهَ كَثِيرًا وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَيُقْلِعُ عَنِ الشَّرِّ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ ، يُطِيلُ الْجُلُوسَ فِي الْمَسَاجِدِ وَيَحْضُرُ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ وَيُقْبِلُ مُسْرِعاً إِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْعِيدِ تَرَكَ الْخَيْرَ وَأَعْطَى نَفْسَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا تُرِيدُ ، وَعَقَدَ حِلْفاً مَعَ الشَّيْطَانِ مُعَاقَدَةً عَلَى السُّوءِ بِالْيَدِ وَالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، ثُمَّ يُوَقِّعُ الْفَرِيقَانِ الْخَبِيثَانِ الْمُتَعَاقِدَانِ عَلَى مُحَارَبَةِ اللهِ بِالْمَعَاصِي فِي سَائِرِ الزَّمَانِ ، وَصَدَقَ سَيِّدُ الْأَكْوَانِ فِي قَوْلِهِ «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَ الشَّيْطَانُ» وَلَكِنْ نَبِّئُونِي أَيُّهَا الْعُصَاةُ مَنِ الَّذِي تَعْبُدُونَهُ فِي رَمَضَانَ وَتَعْصُونَهُ فِي شَوَّالَ ، أَلَيْسَ هُوَ الْكَرِيمُ الْمَنَّانُ ؟ وَمُسْبِغُ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ وَالْإِحْسَانِ ، فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَأَوَانٍ ، فَطُوبَى لِمَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللهِ وَشَمَّرَ وَخَالَفَ الشَّيْطَانَ ، وَأَقْصَرَ عَنِ الاسْتِرْسَالِ فِي الشَّرِّ (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) .

صِيَامُكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ مُعَلَّقٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَقْبَلُهُ اللهُ إِلاَّ بِزَكَاةِ الْفِطْرِ تَدْفَعُهَا إِلَى الْفَقِيرِ ، صَاعاً مِنْ تَمْرٍ أَوْ زَبِيبٍ أَوْ بُرٍّ أَوْ

ذُرَةٍ أَوْ أَرْزٍ أَوْ شَعِيرٍ ، وَتُجْزِىءُ الْقِيمَةُ عِنْدَ أَبي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، وَيُجْزِءُ عِنْدَنَا إِخْرَاجُهَا مِنْ أَوَّلِ رَمَضَانَ وَلَا تَجِبُ إِلاَّ بِغُرُوبِ شَمْسِ الْيَوْمِ الأَخِيرِ ، وَيُسْتَحَبُّ إِخْرَاجُهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ وَلِذَلِكَ يُشْرَعُ التَّأْخِيرُ كَمَا يُشْرَعُ التَّبْكِيرُ مِنْ أَجْلِ الأُضْحِيَةِ فِي الْعِيدِ الْكَبِيرِ ، وَلَيْتَ إِخْوَانَنَا يَجْمَعُونَ صَدَقَةَ الْفِطْرِ وَيُنَظِّمُونَ إِخْرَاجَهَا مُطَابَقَةً لِلشَّرْعِ الْمُنِيرِ ، فَيَأْخُذُهَا الْمُسْتَحِقُّونَ وَيُصْرَفُ عَنْهَا الْمُرْتَزِقُونَ بِالشُّحْتِ وَالسُّؤَالِ النَّكِيرِ ، مِنَ اللُّؤَمَاءِ وَالأَخْدَامِ وَأَشْبَاهِ الأَنْعَامِ وَهُمُ الأَغْنِيَاءُ الْمَيَاسِيرُ . وَالصَّاعُ أَرْبَعَةُ أَمْدَادٍ وَالْمُدُّ حَفْنَةٌ بِكَفَّي الإِنْسَانِ الْمُعْتَدِلِ الْخِلْقَةِ لَا بِالْكَبِيرِ وَلَا بِالصَّغِيرِ ، وَهُوَ بِكَيْلِ هَذِهِ الْبَلْدَةِ ثُمَيْنٌ أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ يَأْخُذُهُ الْقَانِعُ وَالْمُعْتَرُّ ، وَمَتَى دَفَعْتَ يَا عَبْدَ اللهِ مَا عَلَيْكَ وَأَنْفَقْتَ مِنْ طَيِّبِ مَا لَدَيْكَ فَاللهُ يَقْبَلُ مِنْكَ مَا تَيَسَّرَ (إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ) .

هَلْ تَدْرُونَ يَا عِبَادَ اللهِ كَيْفَ تَقْضُونَ هَذَا الْيَوْمَ السَّعِيدَ ، وَهَلْ تَعْلَمُونَ مَا يُبَاحُ لِلْمُسْلِمِ مِنَ الانْبِسَاطِ يَوْمَ الْعِيدِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا للهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) وَقَابِلُوا رَبَّكُمْ بِكُلِّ نَظِيفٍ مِنَ الثِّيَابِ وَجَدِيدٍ . وَلَا تَلْبِسُوا الذَّهَبَ وَلَا الْحَرِيرَ وَلَا يَتَشَبَّهِ الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ وَلَا النِّسَاءُ بِالرِّجَالِ يَا أَهْلَ التَّوْحِيدِ ، وَلَا بَأْسَ بِشَيْءٍ مِنَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالْمُزَاحِ الَّذِي لَا يُخِلُّ بِالآدَابِ وَلَا يَصْرِفُ عَنِ الأَمْرِ الرَّشِيدِ ، وَأَظْهِرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَاشْكُرُوهُ عَلَيْهَا وَشُكْرُ النِّعْمَةِ يَسْتَوْجِبُ الْمَزِيدَ ، وَلَا تَجْعَلُوا مَقِيلَكُمُ الْيَوْمَ عَلَى الْغِيبَةِ

وَالنَّمِيمَةِ وَمُجُونِ الْمُغَنِّينَ وَأَخْبَثِ الْأَنَاشِيدِ ، وَاسْتَقِيمُوا كَمَا أُمِرْتُمْ وَعَظِّمُوا اللهَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ ، وَاسْأَلُوهُ تَعَالَى صَلَاحَ الْمُسْلِمِينَ وَتَوْفِيقَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، وَقُولُوا بِأَلْسِنَةٍ صَادِقَةٍ وَقُلُوبِ أَهْلِ الْيَقِينِ (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) وَخَلِّصْ فَلَسْطِينَ وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَيْدِي الْبُغَاةِ الآثِمِينَ فَإِنَّكَ لَا تَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ، وَمَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيْكَ وَمَا أَنْتَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ، وَفِي الظَّالِمِينَ تَقُولُ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ، سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ، بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) (اللهُ أَكْبَرُ ثَلاثـا) .

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ وَيَأْكُلُهُنَّ وِتْرًا ، وَكَانَ ﷺ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْعِيدِ يَرْجِعُ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّذِي خَرَجَ فِيهِ ، وَكَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ بِـ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) وَ (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) وَكَانَ ﷺ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى يَوْمَ الْعِيدِ يَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ ، يَأْمُرُ بِتَقْوَى اللهِ وَيَحُثُّ عَلَى طَاعَتِهِ وَيَعِظُ النَّاسَ وَيُذَكِّرُهُمْ ثُمَّ يَمْضِي إِلَى النِّسَاءِ فَيَعِظُهُنَّ وَيُذَكِّرُهُنَّ . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ ، فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

اللهُ أَكْبَرُ (سَبْعاً) . اللهُ أَكْبَرُ مَا تَقَرَّبَ عَبْدٌ إِلَى رَبِّهِ بِالْفَرِيضَةِ وَتَحَبَّبَ إِلَيْهِ بِالْمَنْدُوبِ ، اللهُ أَكْبَرُ مَا فَرَغَ الصَّائِمُ الْقَائِمُ مِنْ عِبَادَتِهِ وَقَدْ غُفِرَتْ لَهُ الذُّنُوبُ ، اللهُ أَكْبَرُ مَا نَدِمَ الْمُقَصِّرُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ الْمَطْلُوبِ وَمَا فِيهِ مَرْغُوبٌ . اللهُ أَكْبَرُ مَا أَشْرَقَتْ وُجُوهُ الصَّائِمِينَ يَوْمَ الْعِيدِ وَاكْفَهَرَّتْ وُجُوهُ الْفَاطِرِينَ عِنْدَ الْغُرُوبِ ، اللهُ أَكْبَرُ مَا دَفَعَ الْأَغْنِيَاءُ وَأَخَذَ الْفُقَرَاءُ هَذَا الْيَوْمَ مِنْ هَدِيَّةٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ مَوْهُوبٍ ، اللهُ أَكْبَرُ مَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَأَكْثَرَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَتَذَكَّرَ أَهْلُ الْقُرْآنِ قَوْلَ اللهِ (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) .

اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ ، وَفَضَّلَ دِينَنَا عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ ، وَهَذَّبَ أَخْلَاقَنَا بِالْقُرْآنِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الْأَكْوَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ فِي كُلِّ زَمَانٍ ، وَنَهَانَا عَنِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ فِي كُلِّ شَأْنٍ ، وَاللهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ . نَحْمَدُهُ تَعَالَى كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَتَبَارَكَ اللهُ فِيمَا نَهَى عَنْهُ وَأَمَرَ (اللهُ أَكْبَرُ) .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِيما خَلَقَ وَقَدَّرَ وَلَا مُنَازِعَ لَهُ فِيمَا حَكَمَ أَوْ دَبَّرَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَى الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ وَالْأَصْفَرِ ، اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ بَشَّرَ وَأَنْذَرَ ، وَرَغَّبَ فِي الشَّيْءِ أَوْ حَذَّرَ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مِنْ أَغَرٍّ وَمُطَهَّرٍ ، مَا خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ الْعِيدِ وَعَلَيْهِمْ شِعَارُ الدِّينِ وَكُلُّهُمْ قَدْ أَسَرَّ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ أَوْ جَهَرَ (اللهُ أَكْبَرُ) .

عِبَادَ اللهِ : فِي مَوْقِفِكُمْ هَذَا يَتَجَلَّى عَلَيْكُمُ الرَّحْمَنُ بِالْفَضْلِ وَالامْتِنَانِ وَالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ ، وَقَدْ خَرَجْتُمْ مِنْ رَمَضَانَ ، وَبَرَزْتُمْ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ مُسْتَعِدِّينَ لِعِبَادَةِ اللهِ فِي كُلِّ أَوَانٍ ، لَا تَشْغَلُكُمُ الْأَفْرَاحُ وَلَا تُبْطِرُكُمُ النِّعْمَةُ فَتَحْمِلُكُمْ عَلَى التَّقْصِيرِ فِي الطَّاعَةِ أَوِ الْوُقُوعِ فِي الْمُخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ . لَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ فَشَكَرْتُمُ الْحَمِيدَ الْمَجِيدَ ، وَتَلَذَّذْتُمْ بِالطَّيِّبَاتِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنِّكَاحِ فَحَمَدْتُمُ اللهَ بِالْغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ ، وَطُوبَى لِمَنْ حَمَدَ اللهَ وَشَكَرَ ، وَدَعَى إِلَى الْخَيْرِ فَشَمَّرَ ، وَأَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ فَتَابَ وَنَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ . كَانَ لِلْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ أَعْيَادٌ كَثِيرَةٌ ، يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَفْعَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ النَّكِيرَةِ مَا يَتَنَافَى مَعَ الْعَقْلِ وَلَا تُقِرُّهُ الشَّرِيعَةُ الْمُنِيرَةُ ، فَكَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَلْعَبُونَ الْقِمَارَ وَيَزْنُونَ وَيَرْتَكِبُونَ كُلَّ كَبِيرَةٍ ، حَتَّى بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ دِينَهُ وَأَرْشَدَ الْخَلْقَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَأَفْضَلِ سِيرَةٍ ، فَأَبْدَلَكُمْ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ مَوَاسِمِ الضَّلَالِ عِيدَ ذِي الْحِجَّةِ وَعِيدَ شَوَّالَ وَأَبَاحَ لَكُمُ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الْحَلَالِ وَحَرَّمَ الْفَوَاحِشَ الْكَبِيرَةَ مِنْهَا وَالصَّغِيرَةَ ، وَجَعَلَ

صَلَاةَ الْعِيدِ وَمَا تَسْمَعُونَ بَعْدَهَا بِمَثَابَةِ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْمَجَالِسِ الَّتِي يَعْقِدُونَ فِيهَا الْمُؤْتَمَرَ لِمُبَادَلَةِ الرَّأْيِ وَالْمُحَادَثَاتِ فِي الْخَوْفِ وَالْخَطَرِ وَالْأَمْنِ وَالْحَذَرِ فَلَكُمُ الْخَيْرُ وَلَهُمُ الشَّرُّ . فَالآنَ وَقَدْ قَضَيْتُمُ الْوَاجِبَ وَأَدَّيْتُمُ الْفَرِيضَةَ وَخَرَجْتُمْ مِنْ شَهْرِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ فَاجْمَعُوا شَمْلَكُمْ وَلُمُّوا شَعَثَكُمْ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ مِنَ الآثَامِ كَمَا تُطَهِّرُونَ مِنَ النَّجَاسَاتِ وَالْأَقْذَارِ ثِيَابَكُمْ وَالْأَجْسَامَ ، وَتَصَافَحُوا وَتَسَامَحُوا وَتَنَاصَحُوا وَأَرُونَا عَلَيْكُمْ مِنْ جَلَالِ الْإِسْلَامِ مَا يُذَكِّرُنَا بِقَوْلِ الْعَزِيزِ الْعَلَّامِ (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) فَهَيَّا إِلَى الْوَحْدَةِ وَالِاعْتِصَامِ وَكُلٌّ لِمَا خَلَقَهُ اللهُ مُيَسَّرٌ ، وَالْأَعْمَالُ تَدُلُّ عَلَى الْجَزَاءِ وَفَضْلُ اللهِ أَوْسَعُ وَأَكْبَرُ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْأَنَامِ الَّذِي حَيَّاهُ رَبُّهُ فِي أَطْيَبِ الْكَلَامِ ، فَقَالَ تَعَالَى وَلَمْ يَزَلْ قَائِلًا عَلِيماً (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) .

الخطبة الثالثة والخمسون

فِي الْحَثِّ عَلَى الْحَجِّ وَالتَّرْغِيبِ فِيهِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي نَدَبَنَا إِلَى حَجِّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ . وَشَوَّقَنَا إِلَيْهِ بِالآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَأَحَادِيثِ سَيِّدِ الْأَنَامِ ، ثُمَّ جَعَلَهُ رُكْناً أَسَاسِيّاً مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ، فَهُوَ عَلَى الْغَنِيِّ الْمُسْتَطِيعِ فَرِيضَةٌ كَفَرِيضَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ .

فَمَنْ أَجَابَ دَاعِيَ اللهِ إِلَيْهِ فَقَدْ فَازَ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ وَمَغْفِرَةِ الآثَامِ ، وَمَنْ أَعْرَضَ فَقَدْ فَاتَهُ الْخَيْرُ وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ ، فِي أَشْرَفِ مَقَامٍ . قَالَ تَعَالَى (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَهُوَ الْقَائِلُ : وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَهُوَ الْقَائِلُ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَهُوَ الْقَائِلُ : الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ ، يُعْطِيهِمْ مَا سَأَلُوا وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ مَا دَعَوْا وَيُخْلِفُ عَلَيْهِمْ مَا أَنْفَقُوا ، فَهَيَّا إِلَى الْحَجِّ يَا عِبَادَ اللهِ . اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَفْضَلِ قَانِتٍ وَأَوَّاهٍ وَخَيْرِ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللهِ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالصَّلَاةِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا عَظَّمَ الْحَاجُّ رَبَّهُ بِالتَّكْبِيرِ وَلَبَّاهُ (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ)

عِبَادَ اللهِ : لَقَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ إِذَا اسْتَطَعْتُمُ الزَّادَ وَالرَّاحِلَةَ ، وَدَعَاكُمْ إِلَى ضِيَافَتِهِ فِي الْبَيْتِ الْعَتِيقِ حَيْثُ تَنْزِلُ رَحَمَاتُهُ الشَّامِلَةُ وَتَتَتَابَعُ بَرَكَاتُهُ النَّازِلَةُ ، وَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ الَّتِي يَؤُمُّهَا النَّاسُ لِلْفَرِيضَةِ وَالنَّافِلَةِ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ

عَميقٍ . فَمَرْحَباً بِالْوُجْدَانِ وَالْقَافِلَةِ . وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ وَقَدْ حَجَّ بَيْتَ اللهِ وَزَارَ الْبِقَاعَ الْمُقَدَّسَةَ وَأَدَّى الْمَناسِكَ فِيهَا كَامِلَةً ، وَكَانَ الْعَرَبُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ يُعَظِّمُونَ الْبَيْتَ وَيَحُجُّونَهُ وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللهِ عِنْدَهُ بِأَعْمَالِهِمُ الْبَاطِلَةِ ، فَأَرْشَدَنَا الْقُرْآنُ فِي مَنَاسِكِ الْحَجِّ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ وَحَذَّرَنَا مِنَ الطَّرِيقَةِ الْمَائِلَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ) .

فَبَادِرُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ إِلَى حَجِّ بَيْتِ اللهِ قَبْلَ أَنْ تَعْرِضَ لَكُمُ الْعَوَارِضُ وَتَمْنَعَكُمُ الْمَوَانِعُ ــ وَجُودُوا بِأَمْوَالِكُمْ فِي أَدَاءِ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ وَمَهْمَا تُنْفِقُوا مِنَ الْخَيْرِ فَإِنَّهُ لَكُمْ مَحْفُوظٌ وَلَيْسَ عِنْدَ اللهِ بِضَائِعٍ ، وَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ، وَعَسَاهُ يَدْفَعُكُمْ إِلَى بَابِ رَبِّكُمُ الْكَرِيمِ هَذَا الدَّافِعُ وَسِيرُوا إِلَى اللهِ عُرْجاً وَمَكَاسِيرَ وَلَا تَنْتَظِرُوا الصِّحَّةَ فَإِنَّ انْتِظَارَ الصِّحَّةِ بَطَالَةٌ ونِعْمَ المسيرُ إلى تِلْكُمُ الْمَرَابِعِ وَكُونُوا مِنَ الطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ بَيْنَ يَدَيْ وَاسِعِ الْجُودِ . فَنِعْمَ السَّاجِدُ ثَمَّةَ وَالرَّاكِعُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْحَسَنَةَ فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ بِمِائَةِ أَلْفِ حَسَنَةٍ فِي غَيْرِهَا وَالسَّيِّئَةُ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا حَرَمُ اللهِ وَمَقَرُّ كُلِّ طَائِعٍ . وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ وَمَبْعَثُ الْحَبِيبِ الشَّافِعِ ، يَوْمَ تَضَعُ الْحَوَامِلُ وَتَذْهَلُ الْمَرَاضِعُ ، وَحَسْبُكِ يَا مَكَّةُ أَنَّ اللهَ قَدْ أَقْسَمَ بِكِ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ الْمُبِينِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) .

إِذَا خَرَجَ الْحَاجُّ مِنْ بَيْتِهِ وَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ قَبْلَ الْوُصُولِ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ ، وَالْحَاجُّ فِي ضَمَانِ اللهِ مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى أَنْ يَرُدَّهُ أَوْ يَتَوَفَّاهُ ، وَدَعْوَتُهُ مُسْتَجَابَةٌ وَأَعْمَالُهُ مَقْبُولَةٌ وَحَسَنَاتُهُ مُضَاعَفَةٌ مَا دَامَ يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ ، الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ ، وَالنَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، يُضَاعِفُهَا اللهُ لِصَاحِبِهَا إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَمَا أَكْرَمَ اللهَ . وَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ فَضْلَهُ وَمَا أَكْثَرَ عَطَاهُ (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

تَحُفُّ مَلَائِكَةُ اللهِ بِعَرْشِهِ الْعَظِيمِ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَتَحُجُّ بَيْتَهُ الْمَعْمُورَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ . وَتَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ خَاشِعَةً لِجَلَالِهِ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِهِ خَاضِعَةً ، وَلَمَّا أَسْكَنَ الْأَرْضَ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ وَحَكَمَ عَلَيْهِمْ بِالْبَقَاءِ فِيهَا إِلَى أَنْ تَقَعَ الْوَاقِعَةُ ، وَعَلِمَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ يُذْنِبُونَ ثُمَّ يَتُوبُونَ ، فَوَضَعَ لَهُمُ الْكَعْبَةَ فِي بُقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ جَامِعَةٍ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ وَأَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ عِنْدَ بَيْتِهِ الْمُعَظَّمِ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمُلْتَزَمِ وَالْمَقَامِ وَزَمْزَمَ ، فَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ وَالْأَقْطَارِ الشَّاسِعَةِ ، يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَأَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ رَحْمَتِهِ ، وَيَفِيضَ عَلَيْهِم مِنْ أَنْوَارِهِ السَّاطِعَةِ ، وَقَالُوا رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، فَذُنُوبُنَا كَثِيرَةٌ وَرَحْمَتُكَ وَاسِعَةٌ ، وَلَوْ تَرَى أَيُّهَا الْمُسْلِمُ إِخْوَانَكَ وَهُمْ فِي الْمَطَافِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

بِأَلْسِنَةٍ طَاهِرَةٍ وَقُلُوبٍ خَاشِعَةٍ وَنُفُوسٍ مُتَوَاضِعَةٍ ، فَتَصْعَدُ مِنْهُمُ الزَّفَرَاتُ وَيَسْكُبُونَ الْعَبَرَاتِ وَيُطَأْطِئُونَ إِلَى الْأَرْضِ رِقَابَهُمُ الْعَاصِيَةَ ، وَيَرْفَعُونَ إِلَى السَّمَاءِ أَبْصَارَهُمْ وَأَعْيُنُهُمْ دَامِعَةٌ (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ، فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

هَنِيئاً لَكُمْ أَيُّهَا الْحُجَّاجُ وَأَنْتُمْ تَرْفَعُونَ أَصْوَاتَكُمْ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّلْبِيَةِ ، لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، لَبَّيْكَ يَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالْعَطِيَّةِ وَصَاحِبَ الْمَوَاهِبِ السَّنِيَّةِ ، هَنِيئاً لَكُمْ وَقَدْ لَبِسْتُمُ الْبَيَاضَ مَا بَيْنَ ضَيِّقٍ وَفَضْفَاضٍ . وَتَرَكْتُمُ الْإِعْرَاضَ وَأَقْبَلْتُمْ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ فِي تِلْكُمُ الارَاضِ ، وَرَفَعْتُمْ أَصْوَاتَكُمْ لِلهِ مِنَ الْمَوَاقِيتِ الزَّمَانِيَّةِ وَالْمَكَانِيَّةِ بِالْإِحْرَامِ وَالنِّيَّةِ ، هَنِيئاً لَكُمْ وَأَنْتُمْ دَاخِلُونَ فِي حَرَمِ اللهِ مُتَمَتِّعِينَ بِالنَّظَرِ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمَبْنِيَّةِ بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَعَلَيْهَا جَلَالُ اللهِ وَمِنْهَا تَشِعُّ أَنْوَارُهُ الْقُدْسِيَّةُ ، فَأَنْتُمْ بِهَا طَائِفُونَ وَفِي الْمَسْجِدِ عَاكِفُونَ وَرَاكِعُونَ وَسَاجِدُونَ وَلِلهِ حَامِدُونَ عَلَى مَا حَظِيتُمْ بِهِ مِنَ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالْكَرَامَةِ السَّرْمَدِيَّةِ ، وَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيماً وَأَنْتُمْ ذَاهِبُونَ إِلَى عَرَفَاتٍ خَاشِعِينَ لِلهِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ ، وَقَدِ اجْتَمَعْتُمْ هُنَاكَ سَوَاسِيَةً وَبِحَالَةٍ مَرْضِيَّةٍ لَا فَرْقَ بَيْنَ قَوِيٍّ وَضَعِيفٍ ، وَدَنِيٍّ وَشَرِيفٍ ، وَكَأَنَّكُمْ وَاقِفُونَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ، بَيْنَ بَاكٍ وَدَاعٍ وَمُسْتَغْفِرٍ لِمَا أَسْلَفَ مِن

ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ ، يُبَاهِي بِكُمْ رَبُّكُمُ الْمَلَائِكَةَ فِي السَّمٰوَاتِ الْعَلِيَّةِ ، وَالْقُرْآنُ يُنَادِيكُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخِفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) .

وَقَبْلَ الْغُرُوبِ تُفِيضُونَ مِنْ عَرَفَاتٍ كَأَنَّكُمُ الْجَرَادُ الْمُنْتَشِرُ إِلَى الْبَيْتِ وَرَمْيِ الْجَمَرَاتِ ، وَهُنَاكَ تَحْلِقُونَ رُءُوسَكُمْ وَتَذْكُرُونَ اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ، وَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللهَ بِتَرْكِ السَّيِّئَاتِ وَفِعْلِ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، وَهُنَاكَ تَخْرُجُونَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ كَيَوْمِ وَلَدَتْكُمُ الْأُمَّهَاتُ ، إِلَّا ذُنُوبَ الْمَظَالِمِ فَإِنَّهُ لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا الْمُسَامَحَةُ أَوْ رَدُّهَا إِلَى صَاحِبِهَا إِنْ كَانَ حَيّاً أَوْ إِلَى وَرَثَتِهِ إِنْ كَانَ قَدْ مَاتَ ، وَفِي تِلْكُمُ الْأَيَّامِ تَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللهِ بِالضَّحَايَا وَالْهَدَايَا وَالْفِدَايَا وَمُخْتَلِفِ أَنْوَاعِ التَّبَرُّعَاتِ وَأَطْيَبِ الصَّدَقَاتِ ، فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ وَرَجَعْتُمْ إِلَى مَكَّةَ لِطَوَافِ الْإِفَاضَةِ ، وَالسَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ لِلْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ، وَالْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ (وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ).

فَيَا عِبَادَ اللهِ مَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْحَجِّ وَهُوَ مُسْتَطِيعٌ فَلْيُبَادِرْ بِالذَّهَابِ ، وَمَنْ كَانَ عَاجِزًا فَقِيرًا فَلَا يُكَلِّفْ نَفْسَهُ الْمَشَاقَّ وَالْأَتْعَابَ ، وَمَنْ عَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ فَلْيَسْتَعِدَّ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَمَرْكُوبٍ وَثِيَابٍ ، مُمْتَثِلاً قَوْلَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى

وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) وَمَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ يُرِيدُ الْوُقُوفَ بِذَلِكُمُ الْبَابِ ، أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْأَرْبَابِ ، وَمَنْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ الْإِعْرَاضُ وَالتَّشَاغُلُ عَنْ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الَّتِي دُعِيَ إِلَيْهَا بِآيَاتِ الْكِتَابِ ، وَبِهَا يَتَعَارَفُ الْمُسْلِمُونَ وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَتَتَوَثَّقَ بَيْنَهُمْ رَوَابِطُ الدِّينِ وَالْآدَابِ . أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْفَقِيرُ فَحَجُّكَ أَنْ تَتَوَجَّهَ إِلَى اللهِ بِالْإِنَابَةِ وَتَسْأَلَهُ الرِّزْقَ وَالْمَعُونَةَ وَالتَّوْفِيقَ لِلصَّوَابِ ، فَإِنَّهُ يُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ حَيْثُ كَانَ ، فَأَعْظِمْ بِهِ مِنْ مجيب وَأَكْرِمْ بِدَعْوَةِ الْمُسْتَجَابِ ، وَجِهَادُكَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَنْ تَسْعَى عَلَى نَفْسِكَ وَعَلَى مَنْ تَعُولُ بِالْكَدِّ وَالِاكْتِسَابِ ، وَرُبَّ فَقِيرٍ يُرِيدُ الْحَجَّ فَلَا يَسْتَطِيعُ يَكْتُبُهُ اللهُ مِنَ الْوَاقِفِينَ الْفَائِزِينَ وَيُعْظِمُ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » وَقَالَ ﷺ « الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ » وَقَالَ ﷺ « تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خُبْثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةَ » وَقَالَ ﷺ « يُغْفَرُ لِلْحَاجِّ وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُ الْحَاجُّ » (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) .

الخطبة الرابعة والخمسون

لِعَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمَحْمُودِ بِكُلِّ لِسَانٍ، الْمَعْبُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ ، الْمَقْصُودِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ، جَعَلَ عِدَّةَ الشُّهُورِ إِثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ فِي السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ ، وَهِيَ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَمُحَرَّمٌ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ، وَقَالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللّٰهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً ، وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً بِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللّٰهِ) وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ اللّٰهِ ، الْمُخَاطَبُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ) اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ التَّقِيِّ الْأَوَّاهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللّٰهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ

وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ) .

عِبَادَ اللهِ : إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكُمُ الطَّاعَةَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، هُوَ الَّذِي فَرَضَهَا عَلَيْكُمْ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ ، فَاعْبُدُوهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ لِيُزَحْزِحَكُمْ بِطَاعَتِهِ عَنِ النَّارِ وَيُدْخِلَكُمْ دَارَ السَّلَامِ ، وَقَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ حَرَامٌ وَفِيهِ تُسَنُّ كَثْرَةُ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ ، وَمِنْهُ عَشْرُ لَيَالٍ أَقْسَمَ اللهُ بِهَا فِي كَلَامِهِ الَّذِي هُوَ أَصْدَقُ الْكَلَامِ ، وَبِهَا أَتَمَّ اللهُ الْمَوْعِدَ لِمُوسَى ابْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَأَنْزَلَ اللهُ فِيهَا عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً » فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى الْكَمَالِ وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى التَّمَامِ ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيهَا الْعَمَلَ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ الْجَزَاءَ كَمَا يَقُولُ تَعَالَى (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلاَّ الْإِحْسَانُ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنْ صَامَ يَوْمَ عَرَفَةَ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُ سَنَتَيْنِ مُتَتَابِعَتَيْنِ » وَسُئِلَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ فَقَالَ : كُنَّا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَعْدِلُهُ بِصَوْمِ سَنَتَيْنِ . وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ فِي كِتَابِكُمْ آيَةٌ لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا يَوْمَ نُزُولِهَا عِيدًا ، فَقَالَ لَهُ : وَأَيُّ آيَةٍ هَذِهِ ؟ قَالَ : الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ، فَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قَدْ وَاللهِ عَلِمْنَا يَوْمَ نُزُولِهَا وَفِي أَيِّ مَكَانٍ نَزَلَتْ ، كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ

الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ عَرَفَةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ ، فَيَا لَهُمَا مِنْ عِيدَيْنِ وَيَا لَهُمَا مِنْ مَزِيَّتَيْنِ . فَاحْتَرِمُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَاغْتَنِمُوا فِيهِ اجْتِمَاعَ النِّعْمَتَيْنِ ، وَدَائِنُوا فِيهِ رَبَّكُمْ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُثِيبُ عَلَى الْخَيْرِ وَيُوَفِّي لِعَبْدِهِ قَضَاءَ الدَّيْنِ ، إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيماً (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) .

وَمِنَ السُّنَّةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ كَثْرَةُ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ ، وَتَفَقُّدِ أَحْوَالِ الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ وَمُوَاسَاةِ الْمَسَاكِينِ وَإِطْعَامِ الْبَائِسِ الْفَقِيرِ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ فَلَا يَحْلِقِ الشَّعْرَ وَلَا يُقَلِّمِ الْأَظَافِيرَ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْعِيدِ اسْتُحِبَّ لَهُ الْإِمْسَاكُ حَتَّى يَأْكُلَ مِنْ أُضْحِيَتِهِ وَيَنْبَغِي لِلْمُصَلِّينَ الْمُسَارَعَةُ وَالتَّكْبِيرُ فَلَا تَقُولُوا إِلَّا خَيْرًا وَلَا تَعْمَلُوا إِلَّا عَمَلاً صَالِحاً ، فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ لِمَا تَقُولُونَ وَبِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (وَادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخِفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ) وَاسْأَلُوهُ تَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ مَا يَكُونُ وَمَا قَدْ كَانَ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْعِيدَ لَيْسَ لِمَنْ لَبِسَ الْجَدِيدَ ، وَتَلَذَّذَ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمُعَانَقَةِ الْغِيدِ وَلَكِنَّهُ لِمَنْ عَرَفَ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعَبِيدِ ، فَاسْتَعَدَّ لِيَوْمِ الْوَعِيدِ ، وَالْعِيدُ لِمَنْ ظَفِرَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ، أُدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) (مُتَّكِئِينَ

عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَا الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) .

فَإِذَا حَلَّ بِكُمُ الْيَوْمُ الْمُبَارَكُ فَاتَّقُوا اللهَ فِيهِ وَتَمَتَّعُوا بِالطَّيِّبَاتِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْبِعَالِ ، وَوَسِّعُوا فِيهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ وَجِيرَانِكُمْ وَأَقَارِبِكُمْ وَعَلَى الْعِيَالِ ، وَاعْتَبِرُوا ضَحَايَاكُمْ مَطَايَاكُمْ إِلَى اللهِ الْعَظِيمِ الْمُتَعَالِ ، وَتَصَافَحُوا وَتَعَانَقُوا وَتَزَاوَرُوا وَتَبَادَلُوا طَيِّبَ الْكَلَامِ ، وَافْشُوا بَيْنَكُمُ السَّلَامَ ، وَطَيِّبُوا لِإِخْوَانِكُمْ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ) .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : لَا تَصْرِفُوا أَمْوَالَكُمْ أَيَّامَ الْعِيدِ فِيمَا حَرَّمَ اللهُ ، وَلَا يَشْغَلَنَّكُمُ الْقَاتُ وَاسْتِمَاعُ الْآلَاتِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، وَلَا يَتَجَلَّى عَلَيْكُمُ اللهُ بِفَضْلِهِ وَأَنْتُمْ فِي الْحَانَاتِ وَبُيُوتِ الدَّعَارَاتِ يَا عِبَادَ اللهِ ، فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ وَمَا أَشَدَّ غَضَبَ اللهِ ، وَيَا نَدَامَةَ من يأتيه عذابُ اللهِ وَلَا تَجْعَلُوا مُبَارِزَكُمْ لِلْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالسَّبِّ وَالشَّتْمِ وَأَلْفَاظِ الْبَذَاءَةِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ ، وَتَدَبَّرُوا قَوْلَهُ تَعَالَى (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ)

يَا مُؤْمِناً بِاللهِ لَا تَشْتَرِ بِمَالِكَ الطَّيِّبَ عَذَابَ النَّارِ ، وَلَا تَجْعَلِ الْعِيدَ مَوْسِماً لِلْخَمْرِ وَالزِّنَا وَاللِّوَاطِ وَلَعِبِ الْقِمَارِ ، وَلَا تَذْهَبْ إِلَى السِّينَمَا وَمُجْتَمَعَاتِ الْفُسَّاقِ وَالْفُجَّارِ ، وَلَا تُمَكِّنِ امْرَأَتَكَ أَوْ بِنْتَكَ أَوْ مَنْ يَهُمُّكَ أَمْرُهُ مِنَ الْحُضُورِ فِي دَارِ السِّينَمَا فَلَبِئْسَ الْحُضُورُ وَلَبِئْسَ الدَّارُ ، فَإِنَّمَا جُعِلَتْ لِمُحَارَبَةِ الْفَضِيلَةِ وَالْإِشَادَةِ بِعَمَلِ الْأَشْرَارِ ، وَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا ذَلِكَ فَتَهَيَّأْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) . فَتُوبُوا إِلَى اللهِ عِبَادَ اللهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَاسْتَعِينُوا بِهِ تَعَالَى وَاذْكُرُوهُ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نَعْمَائِهِ وَلَا تَكْفُرُوهُ ، وَسَبِّحُوا بِحَمْدِهِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَكَبِّرُوهُ ، وَاسْأَلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهُ الَّذِي يَقُولُ (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) .

(الْحَدِيثُ) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ - يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ - قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ قَال وَلَا الْجِهَادُ فِي سبيل اللهِ ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ . جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ خِيَارِ خَلْقِهِ وَمَتَّعَنَا بِالطَّيِّبَاتِ مِنْ رِزْقِهِ وَوَفَّقَنَا لِشُكْرِهِ وَالِاعْتِرَافِ بِحَقِّهِ ، آمِينَ .

الخطبة الخامسة والخمسون

عِيدُ الأَضْحَى

اللهُ أَكْبَرُ (تسعاً) اللهُ أَكْبَرُ مَا تَحَرَّكَتْ قُلُوبُ الْحُجَّاجِ إِلَى بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ ، اللهُ أَكْبَرُ مَا كَبَّرُوا وَلَبُّوا وَلَبِسُوا ثِيَابَ الإِحْرَامِ ، اللهُ أَكْبَرُ مَا طَافُوا بِالْكَعْبَةِ وَاسْتَلَمُوا الْحَجَرَ الأَسْوَدَ فَفَازُوا بِالطَّوَافِ والاسْتِلَامِ ، اللهُ أَكْبَرُ مَا سَعَوْا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَشَرِبُوا مَاءَ زَمْزَمَ وَصَلُّوا خَلْفَ الْمَقَامِ ، اللهُ أَكْبَرُ مَا وَقَفُوا بِعَرَفَةَ وَبَاتُوا بِمُزْدَلِفَةَ وَرَمَوْا وَنَحَرُوا وَحَلَقُوا بِمِنًى وَذَكَرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ الْعِظَامِ ، اللهُ أَكْبَرُ مَا اهْتَزَّتِ النُّفُوسُ شَوْقاً إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، اللهُ أَكْبَرُ مَا اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَهُوَ أَشْرَفُ الأَيَّامِ ، اللهُ أَكْبَرُ مَا صَلُّوا وَنَحَرُوا وَشَكَرُوا اللهَ عَلَى نِعْمَةِ الإِسْلَامِ ، اللهُ أَكْبَرُ مَا قَرَأَ النَّاسُ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوِتْرِ ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ) اللهُ أَكْبَرُ (ثلاثاً) .

الْحَمْدُ للهِ الثَّابِتِ وُجُودُهُ ، الْعَظِيمِ جُودُهُ ، الْكَثِيرِ مَوْجُودُهُ ، مُتَّجِهِ الْعَالَمِ وَمَقْصُودِهِ وَرَبِّهِ وَمَعْبُودِهِ ، فَلَهُ صَلَاةُ عَبْدِهِ وَرُكُوعُهُ وَسُجُودُهُ ، وَتَسْبِيحُهُ وَتَهْلِيلُهُ وَتَحْمِيدُهُ ، وَاسْتِغْفَارُهُ وَتَكْبِيرُهُ وَتَمْجِيدُهُ ،

وَصَوْمُهُ وَفِطْرُهُ وَحَجُّهُ وَعِيدُهُ ، وَعِبَادَتُهُ كُلُّهَا وَتَوْحِيدُهُ فَهُوَ الْعَظِيمُ الأَكْبَرُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ حَقِيرٌ وَأَصْغَرُ ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَمَّا عَدَاهُ وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَى رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ وَفَضْلِهِ الأَكْبَرِ اللهُ أَكْبَرُ (ثَلَاثاً) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى جَعَلَنَا مُسْلِمِينَ ، وَهَدَانَا بِسُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَكِتَابِهِ الْمُبِينِ ، إِلَى خَيْرِ شَرِيعَةٍ وَأَشْرَفِ دِينٍ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ صَيَّرَنَا مُؤْمِنِينَ ، وَبِالْحَقِّ قَائِمِينَ وَعَنِ الْبَاطِلِ مَائِلِينَ ، وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ، فَهَنِيئاً لِمَنْ شَكَرَ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ كَفَرَ ، وَاللهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَالْمُسْتَقَرُّ . اللهُ أَكْبَرُ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ جَعَلَ الأَعْيَادَ مَوَاسِمَ أَفْرَاحِ الطَّائِعِينَ وَأَيَّامَ سُرُورِ الْمُتَعَبِّدِينَ ، فَمَا أَعْظَمَ فَرْحَةَ الصَّائِمِ إِذَا أَفْطَرَ ، وَمَا أَكْبَرَ سُرُورَ الْحَاجِّ إِذَا طَافَ وَنَحَرَ وَلَبَّى وَكَبَّرَ ، وَجَاءَ مِنْ عَرَفَةَ وَبَاتَ بِالْمُزْدَلِفَةِ وَرَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ وَحَلَقَ أَوْ قَصَّرَ اللهُ أَكْبَرُ (ثَلَاثاً) .

وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُفَضَّلُ ، السَّيِّدُ الْعَظِيمُ الْمُبَجَّلُ ، الْقَائِلُ ﷺ «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ ، بِخَيْرِ كِتَابٍ مُنْزَلٍ ، نَبِيِّ الْهُدَى ، وَبَحْرِ النَّدَى ، وَأَعْظَمِ الْخَلْقِ جُودًا وَأَكْرَمِهِمْ يَدًا ، وَخَيْرِ مَنْ حَجَّ وَعَجَّ وَثَجَّ وَسَبْحَلَ وَحَمْدَلَ وَهَلَّلَ ، وَضَحَّى وَعَقَّ وَفَدَا وَأَهْدَى وَنَحَرَ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ

وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي كُلِّ أَثَرٍ ، مَا قَرَأَ النَّاسُ فِي هَذَا الْيَوْمِ السَّعِيدِ الْأَزْهَرِ (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) . اللهُ أَكْبَرُ (ثَلَاثاً) .

عِبَادَ اللهِ : شَرَعَ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ عَامٍ عِيدَيْنِ عَظِيمَيْنِ يُظْهِرُونَ فِيهِمَا شِعَارَ دِينِهِمُ الْحَنِيفِ ، وَأَمَرَهُمْ يَوْمَ الْفِطْرِ أَنْ يُخْرِجُوا زَكَاةَ أَبْدَانِهِمْ صَاعاً مِنْ غَالِبِ قُوتِ الْبَلَدِ يُوَاسَى بِهِ الْفَقِيرُ وَالْمِسْكِينُ وَالْبَائِسُ الضَّعِيفُ ، وَيَوْمَ النَّحْرِ أَمَرَهُمْ بِالْأَضَاحِي وَحَثَّهُمْ عَلَيْهَا وَنَدَبَهُمْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ الْخَبِيرِ اللَّطِيفِ ، وَشَرَعَ الصَّلَاةَ وَالْخُطْبَةَ الَّتِي يَجْتَمِعُونَ لَهَا فَيَشْهَدُونَ الْخَيْرَ وَيَتَعَلَّمُونَ الْأَحْكَامَ وَالتَّكَالِيفَ ، وَيُسَنُّ الْحُضُورُ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، وَالصِّغَارِ وَالْكِبَارِ وَالْعَبِيدِ وَالْأَحْرَارِ ، وَالصَّحِيحِ وَالْمَرِيضِ إِذَا اسْتَطَاعَ ، وَلِكُلِّ صُعْلُوكٍ وَشَرِيفٍ ، يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ وَيُسَارِعُونَ فِي التَّبْكِيرِ ، مُمْسِكِينَ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى يُصَلُّوا وَعَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ ، وَقَدْ لَبِسُوا مِنَ الثِّيَابِ كُلَّ جَدِيدٍ وَنَظِيفٍ ، بِمَظْهَرِ الْعِزِّ وَالْعَظَمَةِ يَبْرُزُونَ لِأَعْدَائِهِمْ أَذِلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ ، رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) .

فَمَنْ أَدْرَكَ الْعِيدَ وَفَهِمَ حِكْمَةَ التَّشْرِيعِ بَادَرَ إِلَى الْخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً ، وَأَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ،

وَكَبَّرَ اللهُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، وَالتَّكْبِيرُ مِنْ صُبْحِ يَوْمِ عَرَفَةَ إِلَى عَصْرِ آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَهِيَ ثَلَاثٌ بَعْدَ النَّحْرِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ ، وَيَوْمَانِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَقَدْ أَقَامَ كُلٌّ مِنَ الْإِمَامَيْنِ عَلَى قَوْلِهِ نَصاً وَدَلِيلاً وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُضَحِّي فَاقْتِدَاءً بِسَيِّدِ الْخَلْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَاتِّبَاعاً لِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي أَرَادَ أَنَّ يَذْبَحَ وَلَدَهُ إِسْحَاقَ أَوْ إِسْمَاعِيلاً ، وَفَدَاهُ رَبُّهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِلَّةً لِإِبْرَاهِيمَ ، وَمَا كَانَ يَهُودِياً وَلَا نَصْرَانِياً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ، وَقَالَ تَعَالَى (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) . كَفَى بِهِ تَعَالَى وَلِيّاً وَكَفَى بِهِ وَكِيلاً (وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ) .

وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ إِذَا ضَحَّيْتَ أَنْ تَأْكُلَ ثُلُثَ الضَّحِيَّةِ وَتُهْدِي ثُلُثَهَا وَتَتَصَدَّقَ بِثُلُثِهَا ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ مَا يَكُونُ ، وَلَا بَأْسَ أَنْ تَأْكُلَ الْكَثِيرَ وَتُخْرِجَ الْقَلِيلَ إِذَا لَمْ تَكُنْ ضَحِيَّتُكَ مَنْذُورَةً أَوْ مُعَيَّنَةً ، وَالْمُؤْمِنُ جَوَادٌ كَرِيمٌ مُتَصَدِّقٌ بِالْمَفْرُوضِ وَالْمَسْنُونِ وَشَرْطُهَا أَنْ تَكُونَ جَذَعَةً مِنَ الضَّأْنِ أَوْ ثَنِيَّةً مِنَ الْمَعَزِ سَلِيمَةً مِنَ الْعُيُوبِ غَيْرَ نَاقِصَةِ الْأَطْرَافِ كَالْآذَانِ وَالْعُيُونِ ، وَيُجْزِئُ الْخَصِيُّ وَمَكْسُورَةُ الْقَرْنِ وَمَشْرُوخَةُ الْأُذُنِ وَيُكْرَهُ ذَبْحُ الْحَامِلِ وَاللَّبُونِ وَالشَّاةِ عَنْ بَيْتٍ وَاحِدٍ وَلَوْ كَثُرَ أَهْلُهُ وَالْبَقَرَةُ وَالْبَدَنَةُ عَنْ سَبْعَةٍ كَمَا قَرَّرَ الْفُقَهَاءُ وَرَوَاهُ الْمُحَدِّثُونَ ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَأْخُذَ الْجَزَّارُ شَيْئاً مِنَ اللَّحْمِ إِلَّا إِذَا كَانَ

صَدَقَةٌ عَلَيْهِ وَأُجْرَتُهُ غَيْرُ ذَلِكَ ، فَتَنَبَّهُوا لِهَذَا الْحُكْمِ أَيُّهَا الْغَافِلُونَ ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَذْبَحَ الرَّجُلُ ضَحِيَّتَهُ بِيَدِهِ ، وَأَنْ يُحِدَّ شَفْرَتَهُ وَيُرِيحَ ذَبِيحَتَهُ ، وَاللهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ، وَحَبَّذَا لَوْ تُجْمَعُ الْجُلُودُ فَتُبَاعُ وَتُصْرَفُ أَثْمَانُهَا فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ أَوْ يَأْخُذُهَا الْمُسْتَحِقُّونَ (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) فَبُورِكَ الْمَأْمُورُ وَتَبَارَكَ مَنْ أَمَرَ.

فِي هَذَا الْيَوْمِ يُلْبَسُ فَاخِرُ الثِّيَابِ إِلاَّ الْحَرِيرَ ، وَيُكْرَهُ الْمُعَصْفَرُ وَالْمُزَعْفَرُ وَالْمُوَرَّسُ وَالأَحْمَرُ ، وَيَحْرُمُ الصِّيَامُ وَيُوَسَّعُ فِيهِ عَلَى الْعِيَالِ ، وَيُشْبَعُ الْجَائِعُ وَيُطْعَمُ الْقَانِعُ وَالْمُعْتَرُّ ، وَتُسَنُّ فِيهِ الْمُصَافَحَةُ وَتَبَادُلُ الزِّيَارَةِ وَطَيِّبُ الْكَلَامِ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِرْغَاماً لِمَنْ جَحَدَ بِاللهِ وَكَفَرَ ، وَيُتَنَاسَى الْخِصَامُ وَالشِّقَاقُ ، وَالاخْتِلَافُ وَالافْتِرَاقُ ، وَيَقَعُ الاخْتِلَاطُ وَالتَّلَاقِ ، وَإِذَا لَقِيَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ هَشَّ لَهُ وَبَشَّ وَرَحَّبَ وَأَهَّلَ وَسَهَّلَ وَبَشَّرَ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ عِيدٌ وَهَذَا عِيدُنَا ، فَلَا بَأْسَ بِإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى الأَهْلِ وَالإِخْوَانِ بِشَيْءٍ مِنَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ لَا يَشْغَلُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، وَلَا يُخِلُّ بِالآدَابِ أَوْ يُخَالِفُ الشَّرْعَ الْمُطَهَّرَ الْمُنَوَّرَ وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ أَنْ يُظْهِرَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ وَلَا يَخْرُجَ وَهُوَ أَشْعَثُ أَوْ أَغْبَرُ ، بَلْ يَدَّهِنُ وَيَتَبَخَّرُ وَيَتَعَطَّرُ ، وَيَشْكُرُ اللهَ وَلَا يَتَكَبَّرُ ، وَلَا يُصَعِّرُ خَدَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَمْشِي فِي الأَرْضِ مَرَحاً وَلَا يَتَبَخْتَرُ ، مُتَذَكِّرًا قَوْلَ اللهِ فِي الْمُتَكَبِّرِ (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ، لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ).

إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الْفَقِيرُ أَنْ تَحْزَنَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنَ الْمَالِ أَوْ تُكَلِّفَ نَفْسَكَ مَا لَا تُطِيقُ وَلَا تُبَالِ بِمَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ ضِيقِ الْحَالِ وَقِلَّةِ الْمَالِ ، فَاللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَيُفَرِّجُ الْأَمْرَ بَعْدَ الشِّدَّةِ وَيُوَسِّعُهُ بَعْدَ الضِّيقِ ، وَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ حَسَرَاتٍ عَلَى عِيَالِكَ إِذَا مَا رَأَيْتَ عِيَالَ النَّاسِ يَوْمَ الْعِيدِ فِي فَرَحٍ وَمَرَحٍ وَضَحِكٍ وَتَصْفِيقٍ ، وَاسْأَلِ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ عَيْشَ الآخِرَةِ ، وَتَذَكَّرْ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَكِبَارُ الصَّحَابَةِ كَالْفَارُوقِ وَالصِّدِّيقِ ، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تُسَاوِي عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا جَعَلَهَا فِي يَدِ الْكَافِرِ وَالْفَاجِرِ وَالْمُنَافِقِ وَالزِّنْدِيقِ ، وَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ الْأُضْحِيَةِ فَاعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ ضَحَّى بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ، أَحَدُهُمَا عَنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَالآخَرُ عَنْ فُقَرَاءِ أُمَّتِهِ ، وَهُوَ الْوَالِدُ الْحَنُونُ وَالْمُعَلِّمُ الرَّحِيمُ الشَّفِيقُ ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فِي طَرِيقٍ فَيَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ مِنْ غَيْرِ تِلْكَ الطَّرِيقِ لِكَيْ يُلَاقِيَ إِخْوَانَهُ وَيُكْرِمُ الْمَسَاكِينَ إِذَا رَآهُمْ ، وَالْمُسْلِمُ بِالْإِنْفَاقِ فِي هَذَا الْيَوْمِ جَدِيرٌ وَخَلِيقٌ (كَلَّا وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ، وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ، إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ، نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ، لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) .

أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْغَنِيُّ فَلَا تَجْعَلِ الْعِيدَ مَوْسِماً لِمَعْصِيَةِ اللهِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ فَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ، وَلَا تَصْرِفِ الْمَالَ فِي الْخَمْرِ وَالْقِمَارِ وَمُرَافَقَةِ الْأَشْرَارِ وَأَعْوَانِ الشَّيَاطِينِ ، وَلَا تَكُنْ مُتَعَرِّضاً لِسَخَطِ اللهِ وَالْحُجَّاجُ وَاقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ يُؤَدُّونَ وَاجِبَاتِ الدِّينِ وَيَتَعَرَّضُونَ

لِنَفَحَاتِهِ فِي أَقْدَسِ بُقْعَةٍ وَأَشْرَفِ حِينٍ ، وَلَا يَكُنْ حَظُّكَ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ أَنْ تَمْضَغَ الْقَاتَ مُشْتَغِلاً بِالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَتَمْزِيقِ أَعْرَاضِ الْمُؤْمِنِينَ (وَقُلْ رَبِّي أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) وَيَا لَهَوْلِ الْمَحْشَرِ، يَوْمَ يُنْصَبُ الْمِيزَانُ وَيُعْرَضُ الْكِتَابُ وَيُنْشَرُ ، وَيُنَبَّأُ كُلُّ إِنْسَانٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أَرْبَعٌ لَا يَجُوزُ فِي الْأَضَاحِي : الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا ، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا ، وَالْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلَعُهَا ، وَالْكَسِيرَةُ الَّتِي لَا تَنْقَى» وَقَالَ ﷺ «نِعْمَ أَوْ نِعْمَتِ الْأُضْحِيَةُ الْجَذَعُ مِنَ الضَّأْنِ» وَسُئِلَ ﷺ عَنِ الْأَضَاحِي فَقَالَ «سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ . قَالُوا مَا لَنَا مِنْهَا ؟ قَالَ : بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةٌ . قَالُوا فَالصُّوفُ ؟ قَالَ : بِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنَ الصُّوفِ حَسَنَةٌ» وَقَالَ ﷺ «مَنْ قَامَ لَيْلَتَيِ الْعِيدَيْنِ مُحْتَسِباً لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ» وَقَالَ أَيْضاً «زَيِّنُوا أَعْيَادَكُمْ بِالتَّكْبِيرِ» (فَاللهُ أَكْبَرُ) (لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

اللهُ أَكْبَرُ (سَبْعاً) اللهُ أَكْبَرُ مَا ذَبَحَ الْمُسْلِمُ الضَّحِيَّةَ ، وَجَادَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بِالصَّدَقَةِ وَالْهَدِيَّةِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى اللهِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَخُلُوصِ النِّيَّةِ ، اللهُ أَكْبَرُ مَا تَلَاقَى الْمُسْلِمَانِ فَتَعَانَقَا وَتَصَافَحَا ، وَنَسِيَا مَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْخِصَامِ فَتَسَامَحَا أَوْ تَصَافَحَا . اللهُ أَكْبَرُ مَا تَذَكَّرَ الْمُسْلِمُونَ جَامِعَةَ الْإِسْلَامِ وَتَوَثَّقَتْ بَيْنَهُمْ رَوَابِطُ الدِّينِ بِصِدْقِ الْفِعَالِ وَطِيبِ الْكَلَامِ ، فَتَوَادُّوا وَتَرَاحَمُوا ، وَالْمُؤْمِنُونَ كَالْبَنَانِ أَوْ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً وَيَحْفَظُهُ مِنَ الانْهِدَامِ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ مَثَلُ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالاهْتِمَامِ ، اللهُ أَكْبَرُ مَا نَظَرَ اللهُ إِلَى عِبَادِهِ وَهُمْ وَاقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَتَجَلَّى عَلَيْهِمْ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَأَعْطَاهُمْ مِمَّا لَدَيْهِ ، وَبَاهَى بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَبَشَّرَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ) اللهُ أَكْبَرُ (ثَلَاثاً) .

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَفَضَّلَ دِينَنَا عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ ، وَأَرْشَدَنَا بِالْقُرْآنِ إِلَى خَيْرِ مَقْصِدٍ ، وَنَحْنُ شُهَدَاؤُهُ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ وَمَا نَالَ مِنَ الْخَيْرِ مِثْلَنَا مِنْ أَحَدٍ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى أَبْلَغَ الْحَمْدِ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ الْعَظِيمُ الْأَمْجَدُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ ، اللهُ أَكْبَرُ (ثَلَاثاً) .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَرَعَ لَنَا فِي كُلِّ عَامٍ

عِبَادَةً ، وَسَنَّ لَنَا مِنَ الْخَيْرِ مَا فِيهِ مُنْتَهى السَّعَادَةِ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَاحِبُ السِّيَادَةِ قَوَّمَ بِهِ الدِّينَ وَأَشَادَهُ ، وَثَبَّتَ بِهِ أَرْكَانَهُ وَأَوْتَادَهُ ، اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا الْبَالِغِ مِنْ جُودِهِ رَبِّهِ عَلَيْهِ قَصْدَهُ وَمُرَادَهُ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِيمَا خَفِيَ مِنَ الأَمْرِ وَظَهَرَ ، اللهُ أَكْبَرُ (ثَلاثاً) .

عِبَادَ اللهِ : مَا فَضَّلَ اللهُ نَبِيَّكُمْ ﷺ عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، إِلاَّ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَصِدْقِ الْيَقِينِ ، وَالثِّقَةِ الْعَظِيمَةِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَكَانَ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيُكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، وَأَعْظِمْ بِهِ ﷺ مِنْ نَاصِرٍ وَمُعِينٍ ، لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، يَخْفِضُ جَنَاحَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَيَقُولُ لَهُ اللهُ (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) وَيَقُولُ لأَهْلِ الأَرْضِ أَجْمَعِينَ (لَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) وَمَا فَضَّلَكُمُ اللهُ عَلَى الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، إِلاَّ بِأَنْ جَعَلَكُمْ إِخْوَاناً مُتَحَابِّينَ عَلَى الْخَيْرِ مُتَعَاوِنِينَ وَعَنِ الشَّرِّ نَاهِينَ وَمُنْتَهِينَ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ طَوْرًا بِشِدَّةٍ وَطَوْرًا بِلِينٍ ، وَمَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَسَوْفَ يُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ .

الْخَيْرُ كَثِيرَةٌ أَسْبَابُهُ ، مُفَتَّحَةٌ لِلْعَامِلِينَ أَبْوَابُهُ ، وَالْفَائِزُونَ طُلَّابُهُ ، وَالْعَاجِزُونَ مَنْ أَعْيَاهُمُ اكْتِسَابُهُ ، وَفِي الْعِيدِ يَتَقَرَّبُ بِالصَّالِحَاتِ إِلَى اللهِ أَحْبَابُهُ ، وَيَنَالُهُمْ أَجْرُهُ وَثَوَابُهُ وَفِيهِ تَقَعُ الذُّنُوبُ مِنَ الَّذِينَ لَا يُخِيفُهُمْ مِنَ اللهِ عِقَابُهُ ، وَلَا يُبَالُونَ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَقْتُ اللهِ

وَعَذَابُهُ ، وَكُلٌّ لِمَا خُلِقَ لَهُ مُيَسَّرٌ أَقَلَّ مِنْهُ أَوْ أَكْثَرَ فَلْيَتَقَدَّمِ الْإِنْسَانُ أَوْ يَتَأَخَّرْ .

هَنِيئاً لِمَنْ أَشْبَعَ الْيَوْمَ جَائِعاً أَوْ كَسَى عُرْيَاناً ، أَوْ زَارَ مَرِيضاً أَوْ سَاعَدَ بَائِساً أَوْ أَرْشَدَ حَيْرَاناً ، أَوْ بَرَّ آبَاءَهُ وأُمَّهَاتِهِ وَوَسَّعَ الْيَوْمَ عَلَى زَوْجَتِهِ وَأَبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ أَوْ ذَكَرَ اللهَ قَلْباً وَلِسَاناً ، تَسْبِيحاً وَتَهْلِيلاً وَقُرْآناً ، وَصَلَاةً وَسَلَاماً ، عَلَى أَعْظَمِ النَّاسِ شَأْناً ، وَأَرْفَعِهِمْ مَكَاناً ، وَمُرْشِدِهِمْ إِلَى اللهِ زُرَافَاتٍ وَوُحْدَاناً ، سَيِّدِ الْبَشَرِ وَأَكْرَمِ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ ، وَالْمُنْزِلِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهِ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْه وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) .

الخطبة السادسة والخمسون

لِتَوْدِيعِ الْعَامِ

الْحَمْدُ للهِ النَّافِذِ أَمْرُهُ ، الدَّائِمِ بِرُّهُ ، الشَّدِيدِ بَطْشُهُ وَقَهْرُهُ ، الْوَاجِبِ حَمْدُهُ وَشُكْرُهُ لَا يُرْجَى إِلاَّ نَفْعُهُ وَلَا يُخَافُ إِلاَّ ضُرُّهُ ، فَتَبَارَكَ اسْمُهُ وَجَلَّ ذِكْرُهُ ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضِيَ نِفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ ، تُسَبِّحُهُ سَمَاوُهُ وَأَرْضُهُ وَبَرُّهُ وَبَحْرُهُ ، وَجِنُّهُ

وَإِنْسُهُ وَأَمْلَاكُهُ وَأَفْلَاكُهُ وَدَهْرُهُ (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَار آيَتَيْنِ ، فَمُبْصِرَةٌ وَمَمْحُوَّةٌ ، لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ، وَآيَاتُه مُفَصَّلَةٌ مُبَيَّنَةٌ مَجْلُوَّةٌ ، فَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ، فَيَا لَهَا مِنْ قُدْرَةٍ وَأَعْظِمْ بِهَا مِنْ قُوَّةٍ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْخَلِيقَةِ وَمِسْكُ خِتَامِ النُّبُوَّةِ ، شَرَحَ صَدْرَهُ وَرَفَعَ ذِكْرَهُ وَعَزَّ مَوَالِيهِ وَأَذَلَّ عَدُوَّهُ . اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا الْمَوْصُوفِ بِأَشْرَفِ الصِّفَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْمُرُوَّةِ ، وَالْمَعْرُوفِ بِمَاضِي عَزِيمَتِهِ وَكَمَالِ الْفُتُوَّةِ . صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ اعْتَزَّتْ بِهِمُ الْأُبُوَّةُ ، وَشَرُفَتْ بِهِمُ النُّبُوَّةُ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي صَادِقِ الْإِيمَانِ وَمَحَاسِنِ الْأُخُوَّةِ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) .

عِبَادَ اللهِ : تَمُرُّ الشُّهُورُ بَعْدَ الشُّهُورِ وَتَمْضِي السُّنُونُ خَلْفَ السِّنِينَ ، وَأَنْتُمْ فِي سُبَاتٍ غَافِلُونَ عَنِ الْمَمَاتِ : وَنِسْيَانه ضَلَالٌ مبين ، وَمَهْمَا عِشْتَ يَا ابْنَ آدَمَ فَإِلَى الثَّمَانِينَ أَوِ التِّسْعِينَ وَهَبْكَ بَلَغْتَ الْمِئِينَ فَمَا أَقْصَرَهَا مِنْ مُدَّةٍ وَمَا أَقَلَّهُ مِنْ حِينٍ ، وَقِيلَ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ لَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ ، كَيْفَ رَأَيْتَ هَذِهِ الدُّنْيَا ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَدَاخِلٍ مِنْ بَابٍ وَخَارِجٍ مِنْ آخَرَ وَمَضَى مِثْلَ

الأَوَّلِينَ ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ الْمَوْتَ سُنَّةُ اللهِ فِي الْعَالَمِينَ ، فَكَيْفَ يَطْمَعُ فِي الْبَقَاءِ وَهُوَ يَرَى كَثْرَةَ الرَّاحِلِينَ ، وَمَا لَكَ لَا تَسْتَعِدُّ لِلرَّحِيلِ أَيُّهَا الْمِسْكِينُ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِبَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ : كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ، وَكَذَلِكَ شَأْنُ أَهْلِ الْيَقِينِ (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) ..

يَعَضُّكَ يَا ابْنَ آدَمَ الدَّهْرُ بِلَهْزِبَتَيهِ عَضاً ، وَتَقْرِضُ عُمْرَكَ الأَيَّامُ قَرْضاً ، وَأَمَلُكَ يَمْتَدُّ طُولاً وَأَجَلُكَ يَأْتِيكَ عَرْضاً ، وَأَنْتَ تَرْكُضُ فِي دُنْيَاكَ رَكْضاً ، فَلَا بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ وَلَا بِكَثِيرٍ تَرْضَى ، وَإِنْ فَاتَكَ الشَّيْءُ سَخِطْتَ الْقَضَا ، وَإِنْ نِلْتَ شَيْئاً نَسِيتَ اللهَ وَقُلْتَ أَنَا أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلاً وَأَسْعَدُهُمْ حَظاً ، وَأَسَدُّهُمْ رَأْياً وَأَكْثَرُهُمْ عِلْماً وَتَجْرِبَةً وَأَثْبَتُهُمْ عَزِيمَةً وَأَمْضَى ، وَلَوْ أَنَّكَ جَمَعْتَ الْمَالَ كُلَّهُ وَقَبَضْتَ نَاصِيَةَ الدَّهْرِ قَبْضاً ، لَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْهُ إِلاَّ مِلْءُ بَطْنِكَ وَسِتْرُ جِلْدِكَ ، وَأَفْقَرُ النَّاسِ يَنَالُ ذَلِكَ وَلَوْ أَدْفَأَ بِالْفَضَاءِ وَافْتَرَشَ الرَّمْضَاءَ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ عُقُولاً كَثِيرَةً لَمَرْضَى ، لَا تَسْمَعُ وَعْظاً وَلَا بِقَبُولِ نُصْحٍ تَحْظَى ، (قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ، إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ، فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) .

نَحْنُ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ عَلَى تَمَامِ الْعَامِ ، وَبِمَا كَانَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ

صَالِحٍ وَآثَامٍ ، قَدْ جَفَّتِ الصُّحُفُ وَرُفِعَتِ الأَقْلَامُ ، وَالْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ ، هُمُ الْكُتَّابُ وَالشُّهُودَ عَلَى الأَنَامِ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَالسَّيِّئَةُ بِوَاحِدَةٍ ، فَهَنِيئاً لِمَنْ أَحْسَنَ وَاسْتَقَامَ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أَسَاءَ وَارْتَكَبَ الإِجْرَامَ ، وَالْمُجْرِمُونَ مَعْرُوفُونَ بِسِيمَاهُمْ مَوْعُودُونَ بِالإِنْتِقَامِ ، يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ، وَكُلُّ لَحْظَةٍ وَلَمْحَةٍ مِنْ عُمْرِ ابْنِ آدَمَ تَمُرُّ عَلَيْهِ فَهِيَ جَوْهَرَةٌ لَا قِيمَةَ لَهَا وَلَا تُثَمَّنُ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْحُطَامِ ، وَلَوِ اجْتَمَعَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْكَ نَفَساً مَضَى مِنْ حَيَاتِكَ مَا اسْتَطَاعُوا ، فَلَا تُفَرِّطْ فِيمَا بَقِيَ لَكَ مِنْ أَيَّامٍ) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ).

هَلُمَّ نَتَسَاءَلُ عَنْ هَذَا الْعَامِ وَكَيْفَ قَضَيْنَاهُ ، وَتَعَالَ نَتَبَاحَثُ عَمَّا سَلَفَ مِنَ الْعُمْرِ وَكَيْفَ أَمْضَيْنَاهُ ، وَلْنُفَتِّشْ كِتَابَ أَعْمَالِنَا وَكَيْفَ طَوَيْنَاهُ ، وَفِيهِ نَرَى مَا أَسْلَفْنَاهُ ، وَنَتَذَكَّرُ مَا قَدَّمْنَاهُ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً حَمِدْنَا اللهَ وَشَكَرْنَاهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرّاً تُبْنَا إِلَى اللهِ وَاسْتَغْفَرْنَاهُ ، وَعَمِلْنَا مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا يَأْتِي عَلَى السَّيِّئَاتِ فَيَمْحُهَا ، وَرَبُّكَ يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَأُمُّ الْكِتَابِ عِنْدَ اللهِ ، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «إِتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ قَوْلُهُ تَعَالَى)إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً) فَتَبَارَكَ اللهُ . وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُهُ عَنْ

مَنْ قَبَّلَ امْرَأَةً أَجْنَبِيَّةً وَنَالَ مِنْهَا كُلَّ شَيْءٍ إِلاَّ الزِّنَا ، فَأَمَرَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ ، وَقَدْ نَزَلَ قَوْلُ اللهِ (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) .

كَمْ وُلِدَ فِي هَذَا الْعَامِ مِنْ عَظِيمٍ ، وَكَمْ مَاتَ فِيهِ مِنْ عَظِيمٍ ، وَكَمْ وُلِّيَ فِيهِ وَعُزِلَ مِنْ كَرِيمٍ وَلَئِيمٍ ، وَكَمْ غَنِيَ فِيهِ مِنْ فَقِيرٍ مُعْدَمٍ وَافْتَقَرَ فِيهِ مِنْ غَنِيٍّ كَبِيرٍ وَسَقَطَ مِنْ زَعِيمٍ وَكَمْ عَزَّ مِنْ ذَلِيلٍ وَذَلَّ مِنْ عَزِيزٍ وَتَقَدَّمَ مِنْ زَنِيمٍ ، وَتَأَخَّرَ مِنْ قَدِيمٍ فِي الشَّرَفِ وَصَمِيمٍ وَحَوَادِثُ الزَّمَانِ لَا تُحْصَى بِحُسْبَانٍ ، وَرَبُّكَ الرَّحْمَنُ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ، يَرْفَعُ قَوْماً وَيَضَعُ آخَرِينَ ، فَيُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَبِيَدِهِ الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ وَالتَّأْخِيرُ وَالتَّقْدِيمُ (أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ، ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ، مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ ، ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) .

حَوَادِثُ الدَّهْرِ كَثِيرَةٌ وَالنَّاسُ عَنْهَا مَشْغُولُونَ ، وَعِبَرُ الْأَيَّامِ جَمَّةٌ وَنَحْنُ عَنْهَا غَافِلُونَ فَطُلُوعٌ وَأُفُولٌ ، وَمَمَالِكُ تُبْنَى وَأُخْرَى تَزُولُ ، وَمَدَائِنُ تُعَمَّرُ وَأُخْرَى تُدَمَّرُ ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، وَهَذِهِ الدَّارُ لِلْفَنَاءِ ، وَسُكَّانُهَا لِلْمَوْتِ وَالْبَلَاءِ ، وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ، وَالْعَاقِلُ بِمَا يُشَاهِدُهُ مُتْعَبٌ وَمَمْحُونٌ ، وَحَيَاةٌ بِالْآفَاتِ مَمْلُوءَةٌ لَا يَسْتَرِيحُ بِهَا إِلاَّ جَاهِلٌ أَوْ مَجْنُونٌ ، أَوْ مَيِّتُ الضَّمِيرِ لَا يُبَالِي بِمَا عَلَيْهِ غَيْرُهُ مِنَ الشُّئُونِ ، وَمَوْتُ هَذَا خَيْرٌ

مِنْ حَيَاتِهِ وَمَا أَحَدٌ عَلَيْهِ بِمَحْزُونٍ (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ) .

كَيْفَ يَنْتَظِرُ الْمَرْءُ مَا أَقْبَلَ مِنْ دَهْرِهِ ، وَيَتَمَنَّى لِقَبْضِ الْمُرَتَّبِ تَمَامَ شَهْرِهِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ يُنْقِصُ مِن عُمْرِهِ ، وَأَنَّهَا مَرَاحِلُ يَقْطَعُهَا مِنْ سَفَرِهِ ، وَصَفَحَاتٌ يَطْوِيهَا مِنْ دَفْتَرِهِ ، فَهَلْ يُسَرُّ أَحَدٌ بِوُصُولِهِ إِلَى قَبْرِهِ ، وَمُفَارَقَتِهِ لِمَالِهِ وَأَهْلِهِ وَمَعْشَرِهِ ، إِلَّا عَبْدًا اسْتَعَدَّ لِلْقُدُومِ عَلَى اللهِ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ ، وَاتَّخَذَ الدُّنْيَا طَرِيقاً إِلَى مَقَرِّهِ ، فَأَحْسَنَ فِيمَا آتَاهُ اللهُ مِنْ صِحَّةٍ وَمَالٍ ، وَعِلْمٍ وَعَقْلٍ ، وَمَكَانَةٍ عَالِيَةٍ فِي أَهْلِ عَصْرِهِ ، وَرَاقَبَ اللهَ فِي فِعْلِهِ وَتَرْكِهِ ، وَسِرِّهِ وَجَهْرِهِ ، وَإِذَا فَعَلَ شَيْئاً يَحِلُّ فِعْلُهُ ، ذَكَرَ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لِذَنْبِهِ وَوِزْرِهِ ، وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الْحَرَامِ وَقَالَ (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَا مِنْ عَامٍ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» وَقَالَ ﷺ «مَا مِنْ عَامٍ إِلَّا وَيَنْقُصُ الْخَيْرُ فِيهِ وَيَزِيدُ الشَّرُّ» وَقَالَ ﷺ «مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ بِابْنِ آدَمَ لَمْ يَذْكُرِ اللهُ فِيهَا إِلَّا حَسَرَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ» (إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي

خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) .

الخطبة السابعة والخمسون

فِي الِاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ

الْحَمْدُ للهِ الْعَالِمِ الْمُرِيدِ ، الْخَالِقِ الرَّازِقِ الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ ، فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ، عَفْوُهُ عَظِيمٌ وَبَطْشُهُ شَدِيدٌ ، وَهُوَ اللهُ الْبَاعِثُ الْوَارِثُ الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَفْضَالِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ عَمَّ الْوُجُودَ بِجُودِهِ وَشَمَلَ الْعَالَمِينَ بِنَوَالِهِ ، وَجَعَلَ الْحَيَاةَ لِابْنِ آدَمَ مَزْرَعَةً لِأَعْمَالِهِ ، يَحْصُدُ مَا زَرَعَ فِيهَا عِنْدَ مَآلِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَعْرُوفُ بِكَمَالِهِ ، الْقَائِلُ ﷺ : أَنَا أَعْرَفُكُمْ بِاللهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لِمَا شَاهَدَ مِنْ جَلَالِ رَبِّهِ وَجَمَالِهِ (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، سَيِّدِ خَلْقِ اللهِ ، وَخَاتَمِ رُسُلِ اللهِ ، وَالْقَائِلِ ﷺ : عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي شَرَائِعِ اللهِ (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) .

عِبَادَ اللهِ : شَغَلَتْكُمُ الدُّنْيَا عَنِ الآخِرَةِ وَصَرَفَكُمُ الْعَاجِلُ عَنِ الآجِلِ ، وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَمَا يَنْبَغِي ذَلِكَ لِعَاقِلٍ ، فَكَمْ تَرَوْنَ مِنْ هَالِكٍ بَعْدَ هَالِكٍ ، وَرَاحِلٍ بَعْدَ رَاحِلٍ ، وَكَمْ تُشَاهِدُونَ مِنْ مَلِكٍ عَظِيمٍ وَمُلْكُهُ عَنْهُ زَائِلٌ ، وَلَمْ تُغْنِ عَنْهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً مُعِدَّاتُهُ وَالْجَحَافِلُ ، وَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ كَبِيرٍ ذَهَبَ عَنْهُ مَالُهُ الْكَثِيرُ الطَّائِلُ ، وَأَقْبَلَ كُلٌّ عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ عَامِلٌ ، وَالْتَحَقَ الْأَوَاخِرُ بِالْأَوَائِلِ ، وَلَقِيَتْ خُزَاعَةُ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ، وَسَيَحْكُمُ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ وَيُجَازِي كُلاً بِمَا عَمِلَ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْعَادِلُ (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ، وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ، الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى) .

هَذِهِ الدَّارُ خَدَّاعَةٌ مَكَّارَةٌ ، سَاحِرَةٌ بِأَهْلِهَا غَرَّارَةٌ ، وَنَفْسُكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بِالسُّوءِ أَمَّارَةٌ ، وَالشَّيْطَانُ يَأْتِيكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ ، وَيَأْمُرُكَ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَيَدْعُوكَ إِلَى الْخَسَارَةِ ، فَيَا لَكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَعْدَاءٍ تَآمَرُوا عَلَيْكَ وَبِحُسْنِ الْعِبَارَةِ قَدْ صَرَفُوكَ عَنْ كُلِّ بِشَارَةٍ وَنَذَارَةٍ ، وَزَيَّنُوا لَكَ الشَّرَّ وَأَطْوَارَهُ ، وَحَسَّنُوا لَكَ الذُّنُوبَ بِكُلِّ مَهَارَةٍ ، وَدَعُوكَ إِلَى الْفَسَادِ بِالتَّصْرِيحِ وَالتَّلْمِيحِ

وَالْإِشَارَةِ ، وَأَنْتَ بِهِمْ وَاثِقٌ وَإِلَيْهِمْ رَاكِنٌ ، لَا تَنْفَعُكَ الْمَوْعِظَةُ وَلَا تَسْمَعُ مِنَ الْخَطِيبِ إِنْكَارَهُ ، وَإِسْهَابَهُ فِي التَّحْذِيرِ وَإِكْثَارَهُ ، فَاتَّقُوا اللهَ وَقُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ، وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) .

تَمَكَّنَ وَاللهِ حُبُّ الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِ الْكُفَّارِ وَالْمُسْلِمِينَ ، فَأَصْبَحُوا لَا يُبَالُونَ فِي سَبِيلِهَا بِمُرُوءَةٍ وَلَا دِينٍ ، وَتَحَكَّمَتْ فِي بَنِي آدَمَ الشَّيَاطِينُ ، فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَقَالُوا لَهُمْ مَا أَنْتُمْ بِمَيِّتِينَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَمَا أَنْتُمْ بِمُعَذَّبِينَ ، وَمَا هَذِهِ الآيَاتُ وَالْمَوَاعِظُ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ بِالْأَدْيَانِ مُسْتَهْزِئِينَ ، وَبِالتَّعَالِيمِ السَّمَاوِيَّةِ مُسْتَخِفِّينَ وَقَالَ الآبَاءُ لِلْبَنِينَ ، كُونُوا كَمَا شِئْتُمْ فَمَا نَحْنُ عَنْكُمْ بِمَسْئُولِينَ ، وَقَالَ الصِّغَارُ لِلْكِبَارِ لَوْلَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْجَامِدُونَ لَكُنَّا قَوْماً صَالِحِينَ ، فَخَلُّوا سَبِيلَنَا وَامْضُوا حَيْثُ تَأْمُرُونَ ، وَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَلَيْتَهُمْ يَسْمَعُونَ الْكِتَابَ الْمُبِينَ ، وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْقُرُونِ الْغَابِرِينَ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (وَإِنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ، وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى ، وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ، وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ، فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) .

أَمَلُكَ يَا ابْنَ آدَمَ طَوِيلٌ وَأَجَلُكَ قَصِيرٌ ، وَخَيْرُ هَذِهِ الْحَيَاةِ قَلِيلٌ وَشَرُّهَا كَثِيرٌ ، فَأَنْتَ تَبْنِي وَتَهْدِمُ ، وَتَنْقُضُ وَتُبْرِمُ ، وَتُقَدِّرُ فَتُخْطِئُ التَّقْدِيرَ ، وَتَقُولُ وَتَفْعَلُ وَتَتْرُكُ وَتُدَبِّرُ ، فَتَأْتِي الْأُمُورُ مُخَالِفَةً لِلتَّدْبِيرِ ،

وَتُسِيءُ الاِكْتِسَابَ وَتُسَوِّفُ بِالْمَتَابِ ، وَتَسْتَبْعِدُ الْمَوْتَ لأَنَّكَ صَحِيحٌ وَصَغِيرٌ ، وَإِنَّمَا يَمُوتُ الْمَرِيضُ وَالْكَبِيرُ ، فَهَلاَّ تَذَكَّرْتَ مَنْ مَاتَ فَجْأَةً وَأُخِذَ بَغْتَةً وَاسْتَسْلَمَ كَالأَسِيرِ ، فَأَمْسَى أَمِيرًا وَأَصْبَحَ غَيْرَ أَمِيرٍ ، وَتَمَّ أَجَلُهُ ، وَانْقَطَعَ عَمَلُهُ ، وَأَسْلَمَهُ إِلَى اللهِ أَهْلُهُ ، وَانْقَطَعَتْ عَنْهُ الْمَعَاذِيرُ ، وَفِي الْقَبْرِ يَسْأَلُهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ وَإِذْ ذَاكَ يَعْلَمُ الْمَصِيرَ ، أَفِي الْجَنَّةِ أَمْ فِي السَّعِيرِ (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ، يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا) .

إِذَا وَقَفَ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ ، وَنَظَرَ كُلُّ امْرِىءٍ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ حُفَاةٌ عُرَاةٌ ، يَسْمَعُهُمُ الصَّيِّتُ وَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ مِنْ أَبْعَدِ الْمَوْقِفِ وَأَدْنَاهُ ، فَثَمَّ تَذْهَلُ الْعُقُولُ وَتَتَبَلْبَلُ الأَلْسِنَةُ وَيَسْتَغْرِقُ الإِنْسَانُ فِي بُكَاهُ ، وَقَدْ أَلْجَمَهُ الْعَرَقُ وَتَغَشَّاهُ ، وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ اللهُ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ وَأَنْبِيَاهُ ، وَتَطَايَرَتِ الصُّحُفُ وَنُصِبَ الْمِيزَانُ وَتَجَلَّى اللهُ ، لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ الطَّائِعِينَ وَالْعُصَاةِ ، فَظَهَرَتِ الْجَرَائِمُ ، وَأَنْصَفَ الْحَاكِمُ وَأَمَرَ بِالظَّالِمِ إِلَى مَقَرِّهِ وَمَثْوَاهُ فَكَيْفَ الْخَلاَصُ وَأَيْنَ النَّجَاةُ ، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْرًا ، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى ، وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) .

فَهَلْ يَنْبَغِي لِمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَهَلْ يَلِيقُ بِمَنْ عَرَفَ مَصِيرَ الأَوَائِلِ وَالأَوَاخِرِ ، وَرَأَى أَنَّ الْمَوْتَ يَأْخُذُ الأَصَاغِرَ وَالأَكَابِرَ ،

أَنْ يَطْمَئِنَّ إِلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ أَوْ يَرْكَنُ إِلَى دُنْيَاهُ وَقَدِ امْتَلَأَتِ الْمَقَابِرُ بِالْمَأْمُورِ وَالْآمِرِ ، فَيَا مَنْ بِمَالِهِ وَوَلَدِهِ يُفَاخِرُ ، وَيَا مَنْ بِمُلْكِهِ يُبَاهِي وَبِعِلْمِهِ يُنَاظِرُ ، وَيَا مُتَرَفِّعاً عَنِ التُّرَابِ الثَّائِرِ أَنْ يَمَسَّ جِسْمَكَ أَوْ ثَوْبَكَ النَّظِيفَ الطَّاهِرَ ، كَيْفَ بِكَ إِذَا دُسَّ أَنْفُكَ بِالتُّرَابِ وَعَافَتْكَ الْعَشَائِرُ وَفَارَقَكَ الْأَنِيسُ وَالصَّاحِبُ وَالْجَلِيسُ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَكَ إِلَّا عَمَلُكَ فَأَنْتَ الرَّابِحُ أَوِ الْخَاسِرُ ، فَاللهُ يَمُنُّ عَلَيْنَا بِحُسْنِ الْخِتَامِ ، وَيَتَوَفَّانَا جَمِيعاً عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ وَيَقْبَلُ الْعَاثِرَ ، وَنَسْأَلُهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْزُقَنَا التَّقْوَى وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لِلْحُسْنَى وَهُوَ الْكَرِيمُ الْقَادِرُ (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظاً ، وَكَفَى بِالْيَقِينِ غِنًى » وَجَلَسَ ﷺ عَلَى شَفِيرِ قَبْرٍ فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى ثُمَّ قَالَ « يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا » وَقَالَ ﷺ « أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ : جُمُودُ الْعَيْنِ ، وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ ، وَطُولُ الْأَمَلِ ، وَالْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا » وَقَالَ ﷺ « لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْئَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ » وَقَالَ ﷺ « يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ أَمَتُهُ ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً » (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) (فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي

الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا) .

الخطبة الثامنة والخمسون

لِكُسُوفِ الشَّمْسِ وَخُسُوفِ الْقَمَرِ

اَلْحَمْدُ لِلهِ بَاعِثِ الرُّسُلِ بِآيَاتِهِ ، وَمُظْهِرِ الْحَقِّ بِكَلِمَاتِهِ ، وَاللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَظُلُمَاتِهِ ، وَيَهْدِيهِمْ سُبُلَ الْخَيْرِ وَطُرُقَاتِهِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ وَإِمَامُهُمُ الشَّيْطَانُ يَتَّبِعُونَ خُطُوَاتِهِ ، يُزَيِّنُ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ بِضَلَالَاتِهِ ، وَيُوقِعُهُمْ فِي الشَّرِّ وَآفَاتِهِ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَسَعْيُهُ مَشْكُورٌ وَعَمَلُهُ مَبْرُورٌ وَلَنْ يُضَيِّعَ اللهُ حَسَنَاتِهِ ، وَمَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ وَتَمَادَى فِي شَهَوَاتِهِ (فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى جَعَلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِهِ ، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ إِذَا تَرَكُوا الدِّينَ وَوَاجِبَاتِهِ ، وَجَاوَزُوا حُدُودَ اللهِ وَانْتَهَكُوا حُرُمَاتِهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَصَلُّوا وَادْعُوا وَتَصَدَّقُوا حَتَّى يَنْكَشِفَ مَا بِكُمْ ، وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ فِي صَلَاتِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ

التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ الْعَبْدِ إِذَا تَابَ وَأَقْلَعَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ ، وَمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَذَلِكَ مِمَّنْ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ بِحَسَنَاتِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُؤَيَّدُ بِمُعْجِزَاتِهِ ، وَالدَّالُّ عَلَى اللهِ بِمَخْلُوقَاتِهِ ، وَمَا أَكْثَرَ الْأَدِلَّةَ عَلَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي أَرْضِهِ وَسَمَاوَاتِهِ (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْبَلِيغِ وَعْظُهُ ، الْفَصِيحِ لَفْظُهُ ، وَالْقَائِلِ ﷺ «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتاً : طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالدُّخَانَ ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ ، وَالدَّجَّالَ ، وَخُوَيْصَةَ أَحَدِكُمْ ، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيرًا) .

عِبَادَ اللهِ : لَا يَتَصَرَّفُ فِي هَذَا الْوُجُودِ وَلَا يُدَبِّرُ أَمْرَهُ إِلَّا اللهُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ، تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِنَ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ، سُبْحَانَهُ جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُورًا ، فَزَيَّنَ الْكَوْنَ بِالْإِضَاءَةِ وَالتَّنْوِيرِ ، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ، وَتَعَالَى السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مِنْ أَظْهَرِ آيَاتِهِ الدَّالَّةِ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَبِهِمَا تُعْرَفُ السُّنُونُ وَالْحِسَابُ وَأَوْقَاتُ الْعِبَادَةِ ، وَلَهُمَا بِإِذْنِ اللهِ فِي حَيَاةِ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ الْأَثَرُ الْكَبِيرُ (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً

وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) .

أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ وَهُمَا النُّورُ وَالظَّلَامُ ، وَيَقُولُونَ هَذَا إِلَهُ الْخَيْرِ وَذَاكَ إِلَهُ الشَّرِّ ، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ الشَّيَاطِينُ بِالْأَتْبَاعِ إِذَا ضَلَّتِ الْأَحْلَامُ ، فَلِنُورِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ يَرْكَعُونَ وَيَسْجُدُونَ طَوَالَيِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَإِنَّهُمْ لَيَرَوْنَ الْخُسُوفَ وَالْكُسُوفَ يُصَابُ بِهِ النَّيِّرَانِ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَهَلْ يُعْبَدُ مَنْ لَا يَرُدُّ عَنْ نَفْسِهِ الْمَكْرُوهَ مِنْ ظَلَامِ اللَّيْلِ إِذَا جَنَّ وَظُلْمَةِ الْآبَارِ وَالْبُيُوتِ وَالْآطَامِ ، لَا شَيْءَ وَاللهِ إِلاَّ التَّخَيُّلَاتُ وَالْأَوْهَامُ ، فَاحْمَدُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ ، وَاعْبُدُوهُ تَعَالَى كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَهُ ، وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا تَرَوْنَهُ فَإِنَّهُ يَرَاكُمْ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ ، وَتَذَكَّرُوا قَوْلَ الْهُدْهُدِ لِسُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ، أَلاَّ يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْأَ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) .

يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَتَغَيَّرُ الْكَوْنُ فَتَتَكَوَّرُ الشَّمْسُ وَيَنْخَسِفُ الْقَمَرُ ، وَتَنْفَطِرُ السَّمَاءُ وَتَتَشَقَّقُ بِالْغَمَامِ وَيَنْقَلِبُ هَذَا النِّظَامُ وَيَتَغَيَّرُ ، فَتُحْشَرُ الْوُحُوشُ وَتُزَوَّجُ النُّفُوسُ وَتُفْتَحُ الْقُبُورُ وَتَتَبَعْثَرُ ، وَتُطْمَسُ النُّجُومُ وَتُنْسَفُ الْجِبَالُ وَتُفَجَّرُ الْبِحَارُ ثُمَّ تُسْجَرُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَقُولُ الْإِنْسَانُ أَيْنَ الْمَفَرُّ ، كَلاَّ لَا وَزَرَ ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ، وَيُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ

بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ . فَاسْتَعِدُّوا لِهَذِهِ الْأَهْوَالِ . وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي .
وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا فَإِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ
كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخُسُوفَ وَالْكُسُوفَ فَكُونُوا مِنَ الْأَمْرِ
عَلَى حَذَرٍ قَبْلَ أَنْ يَدْهَمَكُمُ الْخَطَرُ . فَلَقَدْ جَاءَكُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ
مُزْدَجَرٌ (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، وَأَشْرَقَتِ
الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) .

ذُنُوبُ الْعِبَادِ تَرُدُّ الدُّعَاءَ وَتَمْنَعُ غَيْثَ السَّمَاءِ وَتُغْضِبُ اللهَ وَفِي
خُطْبَةِ الْكُسُوفِ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللهِ : يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ
مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ . وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ
أَحْوَالِ الزُّنَاةِ . وَإِنَّ مِنَ الْمَعَاصِي لَمَا تَتَحَرَّكُ مِنْهُ السَّمَاءُ حَتَّى يَأْخُذَ
الْمَلَائِكَةُ بِأَطْرَافِهَا خَشْيَةَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ سَخَطِ اللهِ . وَفِي
الْكُسُوفَيْنِ مِنَ التَّخْوِيفِ مَا لَوْ أَدْرَكَهُ الْعُصَاةُ لَفَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ
وَلَبَادَرُوا بِالتَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالِاسْتِغْفَارِ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عَذَابُ اللهِ .
وَمَا تُرِكَتْ أَوَامِرُ الدِّينِ فِي قَرْيَةٍ وَخَالَفَ أَهْلُهَا مَا حَكَمَ بِهِ اللهُ وَقَضَاهُ
إِلَّا وَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا فَلَا تَأْمَنُوا مَكْرَ اللهِ . وَمَنِ
ارْتَكَبَ الْآثَامَ وَاسْتَخَفَّ بِعِقَابِ اللهِ . ظَهَرَ سَوَادُ الْمَعْصِيَةِ عَلَى وَجْهِهِ
بَعْدَ الْمَوْتِ وَفِي الْحَيَاةِ . كَمَا يَسْوَدُّ وَجْهُ الْقَمَرِ عِنْدَ الْخُسُوفِ وَمَا
كَانَ أَبْهَجَهُ وَأَضْوَاهُ (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ

اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) .

إِذَا كُسِفَ أَحَدُ الْقَمَرَيْنِ اسْتُحِبَّ كَثْرَةُ الصَّلَاةِ وَالدُّعَاءِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَتَاقَةِ وَلَا يُكَلَّفُ أَحَدٌ مِنَ الْخَيْرِ إِلاَّ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ وَأَطَاقَهُ . وَلَا يَرُدُّ الْبَلَاءَ وَيَدْفَعُ الْأَذَى وَيُسْتَجَابُ بِهِ الدُّعَاءُ مِثْلُ الْإِنْفَاقِ مِنَ الْحَلَالِ وَمَا أَحْسَنَ كَسْبَ الْمَالِ مِنْ حِلِّهِ وَإِنْفَاقِهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرَغِّبُ فِي التَّوْبَةِ وَيَحُثُّ عَلَيْهَا عِنْدَ ظُهُورِ الْآيَاتِ ، وَيُخَوِّفُ مِنْ زَلْزَلَةِ الْأَرْضِ وَزَوَابِعِ الرِّيحِ وَتَغَيُّرِ الْأَفْلَاكِ أُمَّتَهُ وَرِفَاقَهُ ، وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ، وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ ، وَإِذَا فَسَدَ الزَّمَانُ وَتَظَاهَرَ بِالسُّوءِ أَهْلُ الْعِصْيَانِ ، وَوَضَعَ الشَّيْطَانُ عَلَى النَّاسِ كَلْكَلَهُ وَرُوَاقَهُ ، انْهَمَكُوا فِي مُخَالَفَةِ الدِّينِ ، وَاسْتَخَفُّوا بِتَعَالِيمِ النَّبِيِّينَ ، وَخَرَجُوا عَنِ الشَّرَائِعِ وَالْقَوَانِينِ بَلْ وَعَنِ الْأَدَبِ وَاللِّيَاقَةِ وَحِينَئِذٍ لَا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَهُ وَلَا يُعَامِلُهُمْ إِلاَّ بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ نَقْضِ عَهْدِ اللهِ وَمِيثَاقِهِ (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ، انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) .

مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ تَخْوِيفُهُمْ بِالْآيَاتِ الَّتِي تَهْتَزُّ لَهَا الْمَشَاعِرُ وَالْأَبْدَانُ كَالرَّعْدِ وَالْبَرْقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالْفَيَضَانِ ، وَكَذَلِكَ الزَّلَازِلُ وَمَا يَسْقُطُ بِهَا مِنْ كِبَارِ الشَّجَرِ وَشَوَامِخِ الْبُنْيَانِ ، وَمَا يَقَعُ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ مِن انْفِجَارِ الْبُرْكَانِ ، وَسَيَلَانِ الْأَوْدِيَةِ بِالنِّيرَانِ ، وَمَا ذَاكَ

إلاَّ لِيُخَوِّفَ اللهُ بِهِ الإِنْسَانَ ، إِذَا تَمَادَى فِي الطُّغْيَانِ ، وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ وَلَأَمْرُ اللهِ أَعْظَمُ ، فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) .

صَلَاةُ الْكُسُوفِ رَكْعَتَانِ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا قِيَامَانِ وَرُكُوعَانِ ، وَيُسَنُّ تَطْوِيلُهُمَا بِكَثْرَةِ التَّسْبِيحِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَيُنْدَبُ أَنْ يَقْرَأَ فِي الْقِيَامِ الْأَوَّلِ بِمِقْدَارِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَفِي الثَّانِي بِمِقْدَارِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ، وَفِي الثَّالِثِ قَدْرَ سُورَةِ النِّسَاءِ ، وَفِي الرَّابِعِ قَدْرَ سُورَةِ الْمَائِدَةِ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ سَيِّدِ بَنِي الْإِنْسَانِ ، وَتَكُونُ الْقِرَاءَةُ جَهْرًا فِي الْخُسُوفِ وَسِرًّا فِي الْكُسُوفِ ، وَكَوْنُ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ جَمَاعَةً أَفْضَلُ مِنْهَا فِي الْبُيُوتِ وَلْيَحْضُرْهَا النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ ، ، وَبَعْدَ الصَّلَاةِ تُلْقَى عَلَى النَّاسِ خُطْبَتَانِ وَيُؤْمَرُونَ فِيهِمَا بِالتَّوْبَةِ وَكَثْرَةِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ ، وَمِنَ الْبِدْعَةِ ضَرْبُ الطُّبُولِ وَالصُّرَاخُ فِي الطُّرُقِ وَالْأَسْوَاقِ ، جَلَّ جَلَالُكَ يَا رَحْمَنُ عَجِّلْ بِالتَّوْبَةِ وَالْغُفْرَانِ (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) .

(الْأَحَادِيثُ) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَهَرَ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ بِقِرَاءَتِهِ ، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي رَكْعَتَيْنِ وَأَرْبَعَ

سَجَدَاتٍ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : فَبَعَثَ مُنَادِياً يُنَادِي : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : مَا هَبَّتْ رِيحٌ قَطُّ إِلَّا وَجَثَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَقَالَ «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رَحْمَةً وَلَا تَجْعَلْهَا عَذَاباً» وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي زَلْزَلَةٍ سِتَّ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ وَقَالَ «هَكَذَا صَلَاةُ الآيَاتِ» وَرُوِيَ عَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) قَالَ بِحِسَابٍ وَمَنَازِلَ يُرْسَلَانِ ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ)وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) .

الخطبة التاسعة والخمسون

خُطْبَةُ الِاسْتِسْقَاءِ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ (تِسْعاً) (وَفِي الأخِيرَةِ) الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ .

اَلْحَمْدُ لِلهِ غَفَّارِ الذُّنُوبِ ، وَسَتَّارِ الْعُيُوبِ ، وَكَشَّافِ الْكُرُوبِ وَعَلَّامِ الْغُيُوبِ ، يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الْقُلُوبُ ، شَدِيدُ الْعِقَابِ قَابِلُ التَّوْبَةِ مِمَّنْ يَتُوبُ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى يَجُودُ بِأَعْظَمِ مَوْهُوبٍ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ شَمَلَ بِإِحْسَانِهِ كُلَّ مَرْبُوبٍ ، وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَنَيْلَ كُلِّ مَطْلُوبٍ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ لِذُنُوبِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، وَنَعُوذُ

بِرِضَاهُ مِنْ سَخَطِهِ ، وَبِمُعَافَاتِهِ مِنْ عُقُوبَتِهِ ، وَبِهِ مِنْهُ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ ، خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّهُ مِنْ لُغُوبٍ (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُوحَى إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ ، ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَأْمُورِ مَعَ عِصْمَتِهِ بِالِاسْتِغْفَارِ لِذَنْبِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَأَصْحَابِهِ الذَّاكِرِينَ اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَالْمُسْتَغْفِرِينَ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا) .

عِبَادَ اللهِ : ذُنُوبُكُمْ كَثِيرَةٌ وَرَحْمَةُ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ، وَأَعْمَالُكُمْ سَيِّئَةٌ وَاللهُ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ، وَمَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلاَّ بِذَنْبٍ وَلَا كُشِفَ إِلاَّ بِتَوْبَةٍ ، فَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَإِنَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ، وَادْعُوهُ قَائِلِينَ : اللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِ أَيْدِينَا إِلَيْكَ بِالذُّنُوبِ وَنَوَاصِينَا إِلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ وَأَنْتَ أَرْحَمُ

الرَّاحِمِينَ ، وَمَا نَزَلَ بِأَهْلِ أَرْضٍ مِنْ شِدَّةٍ ، وَلَا أَصَابَتْهُمُ الْمِحْنَةُ ، إِلاَّ لِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ، فَمَرَّةً يَخْتَبِرُ بِالْمَصَائِبِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَارَةً يُعَاقِبُهُمْ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُمْ ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ، وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ، فَلَا تَصْرِفَنَّكُمْ عَنِ اللهِ مِحْنَتُهُ ، وَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ عَنْ طَاعَتِهِ نِعْمَتُهُ ، وَلَا تَكُونُوا كَمَا قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ (رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ، وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا) .

مِنْ حِكْمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَا يُدِيمُ لِعِبَادِهِ حَالَةً وَاحِدَةً ، بَلْ يَتَعَهَّدُهُمْ بِالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ وَيَبْلُوهُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِنَّ لَهُمْ فِي ذَلِكَ لَأَعْظَمُ فَائِدَةٍ ، فَإِذَا شَبِعُوا شَكَرُوهُ وَإِذَا جَاعُوا ذَكَرُوهُ ، فَهُمْ لَهُ حَامِدُونَ وَلِفَضْلِهِ قَاصِدُونَ ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْهِ مُتَّجِهَةٌ وَوُجُوهُهُمْ لَهُ سَاجِدَةٌ ، يَتُوبُونَ مِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ صَادِرَةٍ مِنْهُمْ ، وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ وَارِدَةٍ لَهُمْ ، فَتَعَرَّفُوا إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكُمْ فِي الشِّدَّةِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، وَإِنَّمَا يُخَوِّفُكُمُ اللهُ بِالْقَحْطِ وَالْجَدْبِ وَمُخْتَلِفِ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ لِئَلاَّ تَسْتَمِرُّوا فِي ذُنُوبِكُمُ الْمُتَزَايِدَةِ ، وَمَنِ اقْتَرَفَ إِثْماً أَوِ ارْتَكَبَ ذَنْباً وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عَبْدِهِ وَيَتَعَهَّدُهُ بِفَضْلِهِ إِذَا نَدِمَ عَلَى مَا سَلَفَ وَاسْتَغْفَرَ مِمَّا اقْتَرَفَ ، فَلْيُبْشِرْ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْهِ ، وَاللهُ أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ مِنَ الْوَالِدِ وَالْوَالِدَةِ (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) .

إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ دَعَا الطَّبِيبَ وَالْتَمَسَ الدَّوَاءَ رَغْبَةً فِي الشِّفَاءِ وَطَلَباً لِلْعَافِيَةِ ، وَإِذَا جَاعَ أَوْ عَرِيَ اجْتَهَدَ فِي تَحْصِيلِ الطَّعَامِ وَمَا لَا بُدَّ مِنْهُ مِنَ الثِّيَابِ الْوَاقِيَةِ وَالْمَلَابِسِ الْكَافِيَةِ وَمِنَ الْحَاجَاتِ مَا يُنَالُ وَإِنْ جَلَّ ، وَمِنَ الْأُمُورِ مَا يُدْرَكُ وَإِنْ عَظُمَ وَالدُّنْيَا كُلُّهَا فَانِيَةٌ وَلَكِنَّهُ لَا يَعْلَمُ السَّاعَةَ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَيُقَدِّرُ الْأَرْزَاقَ وَالْآجَالَ إِلَّا اللهُ الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، فَاطْلُبُوا كُلَّ شَيْءٍ مِنَ اللهِ وَلَا تَسْأَلُوا الْخَيْرَ إِلَّا مِنْهُ وَلَا تَسْتَعِينُوا إِلَّا بِهِ ، فَمَوَاهِبُهُ عَظِيمَةٌ جَلِيلَةٌ ، وَعَطَايَاهُ كَثِيرَةٌ جَزِيلَةٌ ، وَأَلْطَافُهُ سَارِيَةٌ وَكَمَا خَلَقَ وَلَهُ الْحَمْدُ فَأَرْزَاقُهُ جَارِيَةٌ ، وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ، وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ، رِزْقاً لِلْعِبَادِ ، وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ، يَوْمَ يَحْيَا الرَّمِيمُ وَتُبْعَثُ الْأَجْسَامُ الْبَالِيَةُ ، فَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ مُبَشِّرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَيُنَزِّلُ الْمَطَرَ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ وَيَصْرِفُ عَنْكُمُ الثَّلْجَ وَالْبَرْدَ وَالْبَرْقَ وَالصَّوَاعِقَ ، وَمَنْ يُنْبِتُ الزَّرْعَ وَيُدِرُّ الضَّرْعَ إِلَّا اللهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ فَضْلَهُ وَمَا أَكْثَرَ نِعَمَهُ الْمُتَوَالِيَةَ ، فَاشْكُرُوهُ عَلَى مَا أَعْطَى وَارْجِعُوا عَنِ الْأَخْطَاءِ وَاحْذَرُوا قَوْلَهُ تَعَالَى (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا) .

وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ تَعَالَى تَائِبِينَ مُسْتَغْفِرِينَ ، وَرُدُّوا الْمَظَالِمَ إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ وَجَعَلَهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلَا تَظَالَمُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا

تُظْلَمُونَ ، وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسِرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، وَاللهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ، وَمَنِ اغْتَابَ مُسْلِماً أَوْ بَهَتَهُ أَوْ نَمَّ عَلَيْهِ أَوِ اغْتَصَبَ مَالَهُ فَقَدْ ظَلَمَهُ وَسَوْفَ يَقْتَصُّ لَهُ رَبُّهُ يَوْمَ الدِّينِ فَتَحَلَّلُوا مِنْ إِخْوَانِكُمْ وَلَا تُمَزِّقُوا بِالْغِيبَةِ أَعْرَاضَكُمْ ، وَتَصَافَحُوا وَتَسَامَحُوا وَتَرَاحَمُوا يَرْحَمْكُمُ اللهُ ، وَقُولُوا رَبَّنَا إِنَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً وَعَلَى الْخَيْرِ مُتَعَاوِنِينَ ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ إِذَا سَمِعُوا الْحَقَّ (جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً » .

مَا شَرَعَ اللهُ الصِّيَامَ قَبْلَ الاسْتِسْقَاءِ إِلَّا لِيَتَذَكَّرَ بِهِ الْغَنِيُّ الْفَقِيرَ ، وَمَا اسْتَحَبَّ لَكُمُ الْخُرُوجَ فِي ثِيَابِكُمُ الْبَذْلَةَ وَبِحَالِكُمُ الْمُتَوَاضِعَةِ إِلَّا لِتُظْهِرُوا حَاجَتَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكُمُ الْقَدِيرِ ، وَمَا تَكُونُ مَعَكُمُ الضُّعَفَاءُ مِنَ الشُّيُوخِ وَالصِّبْيَانِ وَالْبَهَائِمِ إِلَّا لِطَهَارَتِهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَإِنَّ اللهَ يَرْحَمُ الصَّغِيرَ وَيَسْتَحْيِي مِنَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَيُسْتَحَبُّ الاسْتِسْقَاءُ بِالصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْفَضْلِ ، وَلَا سِيَّمَا الْمَوْصُوفُ بِذَلِكَ مِنْ آلِ النَّبِيِّ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ . وَقَدِ اسْتَسْقَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، قُمْ يَا عَبَّاسُ فَادْعُ ، فَمَا زَالَ يَدْعُو اللهَ وَالنَّاسُ يُؤَمِّنُونَ

حَتَّى جَادَتِ السَّمَاءُ بِالْمَطَرِ الْغَزِيرِ ، فَتَوَسَّلُوا إِلَى اللهِ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ وَبِدُعَاءِ مَنْ تَعْتَقِدُونَ فِيهِ الْخَيْرَ مِنْ نِسَائِكُمْ وَرِجَالِكُمْ ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ، وَإِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ فَتَعَرَّضُوا لَهُ بِأَجْسَامِكُمْ وَاشْكُرُوا اللهَ عَلَى نِعْمَتِهِ وَاسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى طَاعَتِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَنَعُوذُ بِهِ تَعَالَى مِنَ التَّغْيِيرِ (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «خَرَجَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْتَسْقِي فَرَأَى نَمْلَةً مُسْتَلْقِيَةً عَلَى ظَهْرِهَا رَافِعَةً قَوَائِمَهَا إِلَى السَّمَاءِ تَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِكَ لَيْسَ بِنَا غِنىً عَنْ سُقْيَاكَ فَقَالَ ارْجِعُوا فَقَدْ سُقِيتُمْ بِدَعْوَةِ غَيْرِكُمْ » وَشَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قُحُوطَ الْمَطَرِ فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ بِالْمُصَلَّى وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْماً يَخْرُجُونَ فِيهِ فَخَرَجَ حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَكَبَّرَ وَحَمِدَ اللهَ ثُمَّ قَالَ : «إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ أَنْ تَدْعُوهُ وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَطَرٌ فَحَسَرَ ثَوْبَهُ حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ وَقَالَ «إِنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ » (اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ

مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ، فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ (سَبْعاً) (وَمَعَ الْأَخِيرَةِ) الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ .

اَلْحَمْدُ للهِ مُسْتَحِقِّ الْحَمْدِ وَأَهْلِهِ، وَمَصْدَرِ الْخَيْرِ وَأَصْلِهِ ، شَمَلَ الْعَالَمِينَ فَضْلُهُ ، وَعَمَّهُمْ نَوَالُهُ وَبَذْلُهُ ، بِيَدِهِ عَقْدُ كُلِّ شَيْءٍ وَحَلُّهُ ، وَإِلَيْهِ يَصِيرُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى يَقْبَلُ الْعَبْدَ إِذَا تَابَ فَتُغْفَرُ لَهُ خَطَايَاهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، قَالَ تَعَالَى فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْقَائِلُ «لَمْ يُنْقِصْ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا » وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ ، وَأَزْكَى صَلَاتِكَ اللَّهُمَّ وَسَلَامِكَ وَأَطْيَبُ التَّحِيَّاتِ الْمُبَارَكَاتِ ، عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الدَّاعِي إِلَيْكَ وَالْمَقْبُولُ لَدَيْكَ فِي الْمُهِمَّاتِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ السَّادَاتِ وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى مُنْتَهَى الْأَوْقَاتِ ، وَعَلَيْنَا وَمَعَهُمْ وَفِيهِمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَللهُ .

عِبَادَ اللهِ : مَا ضَاقَ أَمْرٌ إِلاَّ وَجَعَلَ اللهُ مِنْهُ مَخْرَجاً ، وَلَا عَظُمَ خَطْبٌ إِلاَّ وَجَعَلَ اللهُ مَعَهُ فَرَجاً ، فَمِنْهُ يَكُونُ الْخَوْفُ وَفِيهِ يَكُونُ الرَّجَاءُ ، وَمَنْ يَكْشِفُ الْكَرْبَ إِذَا سَجَى ، وَيَرْحَمُ الْعَبْدَ إِذَا غَسَقَ بِهِ لَيْلُ الذُّنُوبِ وَدَجَى ، أَلَا إِنَّمَا هُوَ اللهُ الَّذِي إِلَيْهِ الْمَآبُ وَالالْتِجَاءُ ، وَإِلَى كَرَمِهِ وَجُودِهِ الْعَظِيمِ يَتَوَجَّهُ أَرْبَابُ الْحِجَى ، فَطُوبَى لِمَنْ دَعَاهُ وَهَنِيئاً لِمَنْ نَادَاهُ ، فَهُوَ الْقَرِيبُ الْمُجِيبُ الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَهِيَ لِمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ .

فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَعَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ الْآنَ تُرْفَعُ الْأَيْدِي إِلَى السَّمَاءِ ، وَيُذْكَرُ اللهُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، وَيُسْتَحَبُّ لَكُمُ الْإِكْثَارُ مِنَ الاسْتِغْفَارِ وَإِظْهَارُ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ بَيْنَ يَدَيْ صَاحِبِ الْعَظَمَةِ وَالسُّلْطَانِ ، الَّذِي يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ، وَرِزْقُكُمْ فِي السَّمَاءِ وَمَا تُوعَدُونَ ، فَاطْلُبُوهُ مِنَ اللهِ يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ ، وَلَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ ، وَتَصَدَّقُوا بِمَا تَيَسَّرَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا تَبْخَلُوا بِمَا قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْسِيعِ عَلَى الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ وَالْجِيرَانِ ، فَإِنَّكُمْ حِينَ تَجُودُونَ بِالْقَلِيلِ يَجُودُ اللهُ عَلَيْكُمْ بِالْكَثِيرِ وَهُوَ الْمُتَفَضِّلُ الْمَنَّانُ (وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ) .

جَاءَ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الْمَوَاشِي وَهَلَكَتِ الْعِيَالُ وَهَلَكَ النَّاسُ ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ يَدْعُو وَرَفَعَ النَّاسُ أَيْدِيهِمْ مَعَهُ يَدْعُونَ ، فَمَا

خَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى مُطِرُوا . وَنَحْنُ الآنَ نَتَوَجَّهُ إِلَى اللهِ سَائِلِينَهُ تَعَالَى كَمَا كَانَ يَسْأَلُهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَمُصْطَفَاهُ ، نَعْرِضُ حَاجَتَنَا عَلَيْهِ وَنَحُطُّ ذُنُوبَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَنَنْتَظِرُ الْخَيْرَ مِنْ لَدَيْهِ ، وَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَكْرَمَ اللهَ ، وَحَوِّلُوا أَرْدِيَتَكُمْ وَاقْلِبُوهَا ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَاجْعَلُوا ظُهُورَ الأَكُفِّ إِلَى السَّمَاءِ عَسَى أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ الْحَالَ إِلَى أَحْسَنَ مِنْهَا وَيَرْفَعَ عَنْكُمُ الْبَلَاءَ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سُقْيَا رَحْمَةٍ وَلَا تَجْعَلْهَا سُقْيَا عَذَابٍ وَلَا مَحْقٍ وَلَا بَلَاءٍ وَلَا هَدْمٍ وَلَا غَرَقٍ ، اللَّهُمَّ عَلَى الظِّرَابِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ ، اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئاً مَرِيعاً سَحّاً عَامّاً غَدَقاً طَبَقاً مُجَلِّلاً دَائِماً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ إِنَّ بِالْعِبَادِ وَالْبِلَادِ مِنَ الْجُهْدِ وَالضَّنْكِ مَا لَا نَشْكُو إِلَّا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ أَنْبِتْ لَنَا الزَّرْعَ وَأَدِرَّ لَنَا الضَّرْعَ وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَنْبِتْ لَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ وَاكْشِفْ عَنَّا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يَكْشِفُهُ غَيْرُكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ إِنَّكَ كُنْتَ غَفَّارًا ، فَأَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا ، وَصَلِّ رَبِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَالْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، الَّذِي قُلْتَ فِيهِ وَلَمْ تَزَلْ قَائِلاً عَلِيماً (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً » صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْكُرَمَاءِ وَصَحَابَتِهِ الْعُظَمَاءِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَاخْصُصِ اللَّهُمَّ بِمَزِيدِ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ سَادَتَنَا الْحُنَفَاءَ وَوُزَرَاءَ نَبِيِّكَ الْمُصْطَفَى وَالأَرْبَعَةَ الْخُلَفَاءَ

أُولِي الْقَدْرِ الْجَلِيِّ وَالْمَقَامِ الْعَلِيِّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ أَجْمَعِينَ وَعَنْ أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَانْصُرِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالْأَمْوَاتِ إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

﴿دَائِرَاتٌ تُسْتَعْمَلُ خُطَباً ثَانِيَةً لِلْجُمُعَةِ حَسْبَ الْمُنَاسَبَاتِ﴾
وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ

الدَّائِرَةُ الْأُولَى

أَلْحَمْدُ للهِ الْقَائِمِ بِأَمْرِهِ ، وَالْحَاكِمِ بِقَهْرِهِ ، وَالْعَالِمِ بِمَكْنُونِ سِرِّهِ ، وَالْآمِرِ بِحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ وَذِكْرِهِ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِيمَاناً بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ، وَتَصْدِيقاً بِقُدْرَتِهِ عَلَى نَفْعِ مَنْ سِوَاهُ وَضُرِّهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ مِنْ صَدْرِهِ ، وَشَنَّفَ الْآذَانَ وَالْأَسْمَاعَ بِذِكْرِهِ ، وَغَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ مِنْ وِزْرِهِ ، وَأَنْقَذَ بِهِ الْمُؤْمِنَ الْمُتَابِعَ مِنْ ضَلَالِهِ وَكُفْرِهِ . أَللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَكُلِّ مُؤْمِنٍ بِهِ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ .

عِبَادَ اللهِ . كُلُّ شَيْءٍ دُونَ اللهِ بَاطِلٌ ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ نَعِيمِ

الْجَنَّةِ زَائِلٌ ؛ فَتَحَبَّبُوا إِلَى اللهِ بِإِقَامَةِ الْفُرُوضِ وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ ، فَإِنَّهُ مَنْ أَحَبَّهُ كَانَ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِذَا سَأَلَهُ أَعْطَاهُ مَا هُوَ سَائِلٌ ، وَإِذَا اسْتَعَاذَ بِهِ أَعَاذَهُ مِنْ مَكْرُوهِ الْعَاجِلِ وَالآجِلِ . فَعَامِلِ اللهَ اللهَ يَا عَبْدَ اللهِ وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِلَيْهِ وَاصِلٌ ، وَمِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا رَاحِلٌ ، كَمَا رَحَلَ الْأَوَائِلُ ، وَلَا يَخْدَعَنَّكَ الشَّيْطَانُ بِزَخَارِفِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَا يَصْرِفَنَّكَ عَنِ الْآخِرَةِ فَإِنَّكَ آتِيهَا ، وَاتَّقِ اللهَ وَأَصْلِحِ الْأَعْمَالَ فَإِنَّكَ مُلَاقِيهَا ، وَعِنْدَ الْحَكَمِ الْعَدْلِ سَتُوَافِيهَا ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيرًا ، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ، وَيَصْلَى سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا .

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ ، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى سَيِّدِ رُسُلِهِ وَخَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ ، وَالشَّافِعِ الْمُشَفَّعِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ نَلْقَاهُ ، الْمُنْزَلِ عَلَيْهِ إِرْشَادًا وَتَعْلِيماً وَتَشْرِيفاً لَهُ وَتَعْظِيماً (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) .

الدَّائِرَةُ الثَّانِيَةُ

اَلْحَمْدُ للهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، الْفَرْدِ الصَّمَدِ ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . نَحْمَدُهُ حَمْدًا لَا يُحَدُّ ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا لَا يُعَدُّ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا صَاحِبَةَ وَلَا وَلَدَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَى الْأَبْيَضِ وَالْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ .

أَللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الدَّاعِي إِلَى سَبِيلِ الرُّشْدِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ جَدَّ فِي مُتَابَعَتِهِ وَاجْتَهَدَ .

عِبَادَ اللهِ : أُوصِيكُمْ وَإِيَّايَ بِتَقْوَى اللهِ ، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُوهُ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً ، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً ، وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَرْزُقْهُ سَعَادَةَ الْأَبَدِ ، وَيُبَارِكْ لَهُ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ ، فَطُوبَى لِمَنْ وَحَّدَ رَبَّهُ وَعَبَدَ ، وَصَامَ وَقَامَ ، وَصَلَّى وَزَكَّى ، وَأَنْفَقَ وَتَصَدَّقَ ، وَبَرَّ وَأَحْسَنَ وَجَادَ بِمَا لَدَيْهِ ، وَعَلَى جُودِ رَبِّهِ اعْتَمَدَ ، وَيَا سَعَادَةَ مَنْ حَفِظَهُ اللهُ مِنَ الْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَالْفَخْرِ وَالْأَنَانِيَّةِ وَالْحَسَدِ ، وَيَا نَدَامَةَ مَنْ فِي الْبَاطِلِ خَاضَ وَجَرَّدَ مِنْ لِسَانِهِ مِقْرَاضاً ، لِتَمْزِيقِ الْأَعْرَاضِ ، وَوَقَفَ لِعِبَادِ اللهِ بِالْمَرْصَدِ ، يَتَتَبَّعُ عَوْرَاتِهِمْ وَيَعُدُّ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ .

هَذَا وَإِنَّ نَبِيَّكُمُ الْأَعْظَمَ ﷺ لَيَقُولُ « لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً ، أَلْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَا هُنَا ، وَيُشِيرُ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » . فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ حَقَّ تَقْوَاهُ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا

عَلَى مَنْ أُمِرْتُمْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ عُمُوماً بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَلَمْ يَزَلْ قَائِلاً عَلِيماً « إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً » .

الدَّائِرَةُ الثَّالِثَةُ

أَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ ، يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَأْنٍ مِنَ الشُّئُونِ ، بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْأَمِينُ الْمَأْمُونُ وَالْجَوْهَرُ الْمَكْنُونُ وَصَاحِبُ السِّرِّ الْمَصُونِ .

أَللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هُمْ فِيمَا عِنْدَ اللهِ رَاغِبُونَ وَمِمَّا لَدَيْهِ رَاهِبُونَ .

عِبَادَ اللهِ : مَا لَكُمْ عَنِ اللهِ مُعْرِضُونَ ، وَعَنِ الْمَوْتِ غَافِلُونَ ، وَبِأَوَامِرِ الدِّينِ مُتَسَاهِلُونَ ، فَلَا الصَّلَاةَ تُقِيمُونَ ، وَلَا الزَّكَاةَ تُؤَدُّونَ ، وَلَا بِمَعْرُوفٍ تَأْمُرُونَ ، وَلَا عَنْ مُنْكَرٍ تَتَنَاهَوْنَ ، أَفَبِهَذِهِ الدُّنْيَا تَفْرَحُونَ وَفِيهَا تَمْرَحُونَ ، تَسْرَحُونَ عَلَى الذُّنُوبِ وَتَرُوحُونَ وَكَأَنَّكُمْ بِهَا وَاثِقُونَ ، وَمِنْ حَوَادِثِهَا آمِنُونَ ، وَعَمَّا قَرِيبٍ عَنْهَا تَزُولُونَ وَمِنْهَا تَرْحَلُونَ ثُمَّ إِلَى

اللهِ تَصِيرُونَ يَوْمَ يَقُولُ تَعَالَى (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) . فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَلَا تَمُوتَنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ فَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ، وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمُ الْمَأْمُونِ وَالشَّافِعِ الْمُشَفَّعِ يَوْمَ تُبْعَثُونَ ، كَمَا أُمِرْتُمْ بِذَلِكَ إِرْشَادًا وَتَعْلِيماً بِقَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) .

الدَّائِرَةُ الرَّابِعَةُ

اَلْحَمْدُ للهِ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَسْمَعُ وَنَرَى وَنُشَاهِدُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ عَظُمَ الْمَطْلُوبُ وَقَلَّ الْمُسَاعِدُ ، وَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، خَيْرُ هَذِهِ الْحَيَاةِ نَاقِصٌ وَشَرُّهَا زَائِدٌ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا ضِدَّ وَلَا نِدَّ وَلَا وَلَدَ وَلَا وَالِدَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَسَيِّدُ كُلِّ عَابِدٍ وَزَاهِدٍ ، وَأَكْرَمُ كُلِّ مُعَلِّمٍ وَأَصْبَرُ كُلِّ مُجَاهِدٍ ، أَللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الرَّاكِعِ السَّاجِدِ ، وَمُنْقِذِ كُلِّ مُعَانِدٍ وَجَاحِدٍ ، مِنْ دَرَنِ الذُّنُوبِ وَخَبَثِ الْعَقَائِدِ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَمَاجِدِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي الْوَسَائِلِ وَالْمَقَاصِدِ .

عِبَادَ اللهِ : كَيْفَ نُوَجِّهُ أَنْفُسَنَا إِلَى اللهِ ، وَمَتَى نَعُودُ إِلَى الدِّينِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ رُسُلُ اللهِ ، وَنَتْرُكُ مَا جَاءَتْ بِهِ الْفُسَّاقُ مِنْ مَسَاوِىءِ الْأَخْلَاقِ وَسَيِّئَاتِ الْعَوَائِدِ ، فَنَتَمَسَّكُ بِكِتَابِ اللهِ وَنَقْتَدِي بِهَدْيِ رَسُولِ اللهِ وَنَحْتَكِمُ إِلَيْهِمَا فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْعَقَائِدِ ، وَمَا أَعْظَمَ حَاجَتَنَا إِلَى الْأُلْفَةِ وَالاتِّحَادِ فِي الْمَصَادِرِ وَالْمَوَارِدِ ، وَقَدْ فَرَّقَتْنَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ نَزَعَاتُ الْمَذَاهِبِ ، وَكَثْرَةُ الْفُرُوعِ وَاخْتِلَافُ الْقَوَاعِدِ ، وَجَعَلَتْنَا خُصُوماً فِي الْبُيُوتِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْأَنْدِيَةِ وَالْمَسَاجِدِ ، وَبُلِينَا بِبُغْضِ الْأَقْرَبِينَ وَحُبِّ الْأَبَاعِدِ ، وَاتُّهِمَ الْمُتَعَصِّبُ لِدِينِهِ وَقَوْمِيَّتِهِ بِأَنَّهُ رَجْعِيٌّ وَجَامِدٌ ، وَنَبَذْنَا الصَّحِيحَ مِنْ تَقَالِيدِنَا وَأَخَذْنَا مِنَ الْأَجَانِبِ كُلَّ فَاسِدٍ ، وَسَلَكْنَا سَبِيلَهُمْ وَاقْتَفَيْنَا آثَارَهُمْ وَلَكِنْ فِي السُّفُورِ وَشُرْبِ الْخُمُورِ وَنِظَامِ الْمَلَابِسِ وَالْمَوَائِدِ ، وَأَيْنَ نَحْنُ وَمَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنَ الْفَوَائِدِ ، وَمَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمَحَامِدِ ، فَجَاهِلُنَا جَرِيءٌ وَعَالِمُنَا مُحَايِدٌ ، وَفَقِيرُنَا مُتَسَوِّلٌ ، وَغَنِيُّنَا عَنِ الْخَيْرِ مُتَقَاعِدٌ ، وَشُيُوخُنَا لَا يُفَكِّرُونَ وَلَا يُسَاهِمُونَ فِي الْخَيْرِ ، وَشَبَابُنَا لَا يَعْلَمُونَ وَلَا يَفْسَحُونَ الْمَجَالَ لِلْغَيْرِ ، وَالْوَالِدُ لَا يُحْسِنُ التَّرْبِيَةَ وَالْوَلَدُ لَا يَعْرِفُ حَقَّ الْوَالِدِ ، وَالنِّسَاءُ خَارِجَاتٌ عَنِ الدِّينِ مُنْتَشِرَاتٌ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَالرِّجَالُ بَيْنَ يَدَيْ شَهَوَاتِهِمْ يَذْبَحُونَ الْفَضِيلَةَ وَمَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَبِئْسَتِ التَّقَالِيدُ هَذِهِ وَقَبَّحَ اللهُ تِلْكُمُ الْعَوَائِدَ ، وَالْجُهَّالُ يُجَادِلُونَ فِي الدِّينِ بِغَيْرِ هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ، وَالْعُلَمَاءُ لَا يَأْمُرُونَ بِمَعْرُوفٍ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ ، فَلَا تَجِدُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ النَّاصِحَ الْأَمِينَ وَالْمُرْشِدَ الْحَكِيمَ وَالصَّابِرَ

الْمُجَاهِدَ ، وَلَوْ بُعِثَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْيَوْمَ لَقَالَ أَيْنَ مَا تُرِكْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاحِ ، وَأَيْنَ مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ ، لَقَدْ تَغَيَّرَتْ مِنْكُمُ الْأَشْيَاءُ ، وَضَلَّتْ بِكُمُ الْأَهْوَاءُ ، وَاللهُ لَا يُغَيِّرُ نِعْمَةً أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَالظَّالِمُ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَتَرَكَهُ ، وَهُوَ ذَاكِرٌ مُخْتَارٌ عَامِدٌ ، فَتُوبُوا إِلَى اللهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمُ الْأَمِينِ الْمَأْمُونِ ، الَّذِي أُمِرْتُمْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ قَدِيماً بِقَوْلِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) .

الدَّائِرَةُ الْخَامِسَةُ

أَلْحَمْدُ للهِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ ، الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ، بَاعِثِ الرَّسُولِ وَمُنْزِلِ الْكِتَابِ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الرَّسُولِ وَالتَّنْزِيلِ .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى أَمَرَنَا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ وَالْخِصَامِ وَالشِّقَاقِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ وَلَا نَظِيرَ وَلَا مَثِيلَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَوْصُوفُ بِالْعِصْمَةِ وَالْمَبْعُوثُ بِالْهُدَى وَالْحِكْمَةِ ، أَشْرَفُ النَّاسِ نَفْساً وَأَعْلَاهُمْ هِمَّةً ، يَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيُكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ بِمَا لَدَيْهِ مِنْ كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ . أَللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْقَائِلِ «أَدْنَاكُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقاً» صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْقَاصِدِينَ وَجْهَ اللهِ

إِمْسَاكاً وَإِنْفَاقاً ، وَالْقَائِمِينَ بِالْوَاجِبَاتِ إِيسَارًا وَإِمْلَاقاً وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَجِيلٍ .

عِبَادَ اللهِ : لَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ ، وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ وَالدَّيُّوثُ وَعَاقٌّ وَالِدَيْهِ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يَدْخُلُهَا كَذَلِكَ خِبٌّ وَلَا بَخِيلٌ ، وَالرِّبَا إِثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَاباً أَدْنَاهَا مِثْلُ إِتْيَانِ الرَّجُلِ أُمَّهُ ، وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ «وَالْحِقْدُ وَالنَّمِيمَةُ فِي النَّارِ وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ مُسْلِمٍ » «وَمَنْ أَخَافَ مُؤْمِناً كَانَ حَقاً عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُؤَمِّنَهُ مِنْ أَفْزَاعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » «وَمَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِباً مُتَعَمِّدًا فَهُوَ كَمَا قَالَ : وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ » «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ وَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَلْيُكْرِمْ جَارَهُ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا يَأْمَنُ النَّاسُ بَوَائِقَهُ ، وَلَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » وَمِنْ تَعَالِيمِ نَبِيِّكُمُ الْكَرِيمِ الْمَبْعُوثِ بِأَفْضَلِ التَّعَالِيمِ «عِفُّوا عَنْ نِسَاءِ النَّاسِ تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ وَبَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ وَمَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ مُتَنَصِّلاً فَلْيَقْبَلْ ذَلِكَ مُحِقاً كَانَ أَوْ مُبْطِلاً فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ » فَهَذِهِ شَرِيعَتُهُ وَآدَابُهُ (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ

عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) .

الدَّائِرَةُ السَّادِسَةُ

أَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الْعِلْمَ ضِيَاءً وَالْقُرْآنَ نُورًا ، وَرَفَعَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ عَلِيَّةٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ، وَجَعَلَ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةَ الأَنْبِيَاءِ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيرًا .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدًا كَثِيرًا وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ الْقَائِلُ : إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُرْشِدُ الْحَكِيمُ ، وَالْمُعَلِّمُ الْعَظِيمُ ، بَشَّرَ بِهِ الْمَسِيحُ وَالْكَلِيمُ ، وَاسْتُجِيبَتْ بِهِ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ ، رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . أَللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً وَمِنَّةً ، بِخَيْرِ كِتَابٍ وَأَفْضَلِ سُنَّةٍ ، وَالْقَائِلِ مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْقَائِمِينَ بِالْحَقِّ وَالدُّعَاةِ إِلَيْهِ بِالأَلْسِنَةِ وَالأَسِنَّةِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ .

عِبَادَ اللهِ : سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ الْجُلَسَاءِ خَيْرٌ ؟ فَقَالَ مَنْ

ذَكَّرَكُمُ اللهَ رُؤْيَتُهُ ، وَزَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ وَذَكَّرَكُمْ بِالآخِرَةِ عَمَلُهُ . وَقَالَ لُقْمَانُ «يَا بُنَيَّ عَلَيْكَ بِمُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ وَاسْمَعْ كَلاَمَ الْحُكَمَاءِ فَإِنَّ اللهَ لَيُحْيِي الْقَلْبَ الْمَيِّتَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ كَمَا يُحْيِي الأَرْضَ الْمَيْتَةَ بِوَابِلِ الْمَطَرِ» وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ» وَاللهُ يَقُولُ (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ زَمَانٍ لَا يُتَّبَعُ فِيهِ الْعَلِيمُ وَلَا يُسْتَحْيَا فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الأَعَاجِمِ وَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ «وَإِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْماً عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحاً تَرَكَهُ أَوْ مُصْحَفاً وَرَّثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتاً لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ أَوْ نَهرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ» وَلَيْسَ الْعِلْمُ إِلاَّ مَا صَاحَبَهُ الْعَمَلُ ، وَلَيْسَ الْفِقْهُ إِلاَّ مَا عُرِفَ بِهِ الْحَلاَلُ وَالْحَرَامُ وَحَمَلَ صَاحِبَهُ عَلَى الْتِزَامِ الأَحْكَامِ ، وَحَاجَتُنَا إِلَى كُلِّ عِلْمٍ عَظِيمَةٌ وَعِمَادُ الْحَيَاةِ مَالٌ يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى مَرْضَاةِ اللهِ وَتُقْهَرُ بِهِ الأَعْدَاءُ وَيُصْلِحُ بِهِ الإِنْسَانُ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ ، وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ الَّذِي يُعْرَفُ بِهِ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ وَكَيْفَ يُوَحَّدُ اللهُ وَيُعْبَدُ وَكَيْفَ تُسْلَمُ الْحُقُوقُ إِلَى ذَوِيهَا وَيُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ خَيْرُ مَا فِيهَا ، وَهَلْ تَرْبَحُ التِّجَارَةُ وَتَكْثُرُ الزِّرَاعَةُ وَتَقْوَى الصِّنَاعَةُ وَيَعِزُّ الْمُلْكُ وَيَنْتَشِرُ الْعُمْرَانُ وَتُعَمَّرُ الطُّرُقُ وَيَسْهُلُ النَّقْلُ وَالْمُوَاصَلاَتُ إِلاَّ بِالْعِلْمِ ، وَفِي الإِسْلاَمِ مَا يَحُثُّ أَهْلَهُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَتَحْصِيلِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يُرِيدُ الْعِلْمَ لِلدُّنْيَا فَقَطْ وَلَا لِلآخِرَةِ فَقَطْ بَلِ الْعَالِمُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يَعْرِفُ أَمْرَ عَاجِلِهِ

وَآجِلِهِ ، وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ، فَمَتَى تُعَمِّرُونَ الْمَدَارِسَ ، وَمَتَى يُعَلَّمُ فِيهَا الدِّينُ الصَّحِيحُ ، وَمَتَى تُبْدُونَ لِلْعُلَمَاءِ مِنَ التَّجِلَّةِ وَالِاحْتِرَامِ مَا يُرَغِّبُهُمْ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَنَشْرِهِ وَيُشَجِّعُهُمْ عَلَى التَّأْلِيفِ وَالتَّدْرِيسِ ، وَقَدْ أَوْشَكَتِ الْعُلُومُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنَ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَفُرُوعِهِ وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنْ تُرْفَعَ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ وَتَذْهَبَ ، وَاللهُ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ وَلَكِنْ يُقْبَضُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ ، فَرُبَّمَا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جُهَّالاً وَأَفْتَوْهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أُمِرْتُمْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ عُمُوماً بِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) .

الدَّائِرَةُ السَّابِعَةُ

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَسَاجِدَ لِلْمُسْلِمِينَ ، بِمَثَابَةِ الْمَعَاهِدِ وَالْأَنْدِيَةِ وَالْمُعَسْكَرَاتِ وَالْمَيَادِينِ ، وَجَعَلَ الْجُمَعَ وَالْجَمَاعَاتِ مِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ الدِّينِ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَمَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ عَلَيْهِ نَعْتَمِدُ وَإِلَيْهِ نَسْتَنِدُ وَإِيَّاهُ نَعْبُدُ وَبِهِ تَعَالَى نَسْتَعِينُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ .

أَللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْهَادِي إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي جَمِيعِ التَّعَالِيمِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، أَفْضَلَ صَلاةٍ وَتَسْلِيمٍ .

عِبَادَ اللهِ : تِسْوِيَةُ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلاةِ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى الصَّفِّ الْأَعْوَجِ . وَقَالَ ﷺ : لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيِ الصُّفُوفِ يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ صُدُورَ الْمُصَلِّينَ لِيُسَوِّيَهُمْ فِي صُفُوفِهِمْ . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَمُرُّ بِدُرَّتِهِ بَيْنَ الصُّفُوفِ وَيَقْرَعُ بِهَا أَقْدَامَ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ أَوْ يَتَأَخَّرُونَ ، وَمِنْ عَظِيمِ أَوْصَافِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنَّهُمْ يَصُفُّونَ فِي صَلَاتِهِمْ كَصُفُوفِهِمْ لِلْقِتَالِ كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ، وَلَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْأَذَانِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِمَا لَاسْتَهَمُوا ، وَلَا جَمَاعَةَ لِلصَّفِّ الثَّانِي حَتَّى يَتِمَّ الْأَوَّلُ ، وَتَخَطِّي الرِّقَابِ وَالْمُرُورُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّينَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ وَأَكْبَرِ الْآثَامِ ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ قَالَ « لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ » وَقَالَ أَيْضاً « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْهُ مَا اسْتَطَاعَ فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ » وَقَالَ أَيْضاً « لِيَلِيَنِّي مِنْكُمْ أُولُوا

الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى وَمَنْ سَبَقَ إِلَى مُبَاحٍ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ » «وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» .

وَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ وَسَوُّوا صُفُوفَكُمْ يَرْحَمْكُمُ اللهُ ، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ زَادَهُ اللهُ شَرَفاً وَتَعْظِيماً وَأَوْلَاه مِنْهُ تَحِيَّةً وَتَسْلِيماً ، فَقَالَ تَعَالَى (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) .

أَللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نُورِ شَمْسِ الْعِرْفَانِ وَمَهْبِطِ أَسْرَارِ الْقُرْآنِ ، الْمُنْقِذِ الْعَظِيمِ وَالْمُرْشِدِ الْحَكِيمِ ، وَخَيْرِ دَاعٍ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَعَلَى آلِهِ الأَطْهَارِ ، وَصَحَابَتِهِ الْأَخْيَارِ ، خُصُوصاً عَلَى أَجَلِّهِمْ قَدْرًا وَأَرْفَعِهِمْ ذِكْرًا ، ذَوِي الْمَقَامِ الْعَلِيِّ وَالْقَدْرِ الْجَلِيِّ سَادَاتِنَا وَأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَعَلَى الْحَسَنَيْنِ الْأَحسنَيْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ وَأَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ وَأُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ وَخَدِيجَةَ الْكُبْرَى وَعَائِشَةَ الرِّضَى وَبَقِيَّةِ أَزْوَاجِ نَبِيِّكَ الْمُصْطَفَى وَعَلَى السِّتَّةِ الْبَاقِينَ مِنَ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ دَارِ السَّلَامِ وَعَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَعَلَيْنَا وَمَعَهُمْ وَفِيهِمْ بِرَحْمَتِكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

أَللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَانْصُرِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَاجْعَلْ كَلِمَتَكَ هِيَ الْعُلْيَا إِلَى يَوْمِ الدينِ ، وَاخْذُلِ الْكَفَرَةَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُلْحِدِينَ وَالْمُبْتَدِعِينَ ، ، وَأَصْلِحْ مَنْ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ

وَالْمُسْلِمينَ ، وَأَهْلِكْ مَنْ فِي هَلَاكِهِ صَلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَامْدُدْ بِنَصْرِكَ وَتَوْفِيقِكَ وَحُسْنِ تَأْيِيدِكَ مُلُوكَ وَرُؤَسَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَجُنُودَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلُمَّ شَعَثَنَا وَاجْمَعْ شَمْلَنَا وَوَحِّدْ كَلِمَتَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ خَالَفَنَا ، وَاحْفَظْ بِلَادَنَا وَأَصْلِحْ أَوْلَادَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا وَعَافِ مُبْتَلَانَا ، وَارْحَمْ مَوْتَانَا ، وَخُذْ بِأَيْدِينَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَاعْصِمْنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَاحْفَظْنَا مِنْ كُلِّ ضَيْرٍ . وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، أَللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا مَنْ لَا يَخَافُكَ وَلَا يَرْحَمُنَا ، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ آمِناً مُطْمَئِناً وَلَا تَسْلُبْ نِعْمَتَكَ عَنَّا وَكُنْ مَعَنَا حَيْثُ كُنَّا ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

الفهرس

مطابع «دار الرائد العربي»
ص.ب: ٦٥٨٥ ـ تلكس ٤٣٤٩٩ LE. رائد

هذا الكتاب

عِبَادَ اللهِ : أُوصِيكُمْ وَإِيَّايَ بِتَقْوَى اللهِ ، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُوهُ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً ، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً ، وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَرْزُقْهُ سَعَادَةَ الْأَبَدِ ، وَيُبَارِكْ لَهُ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ ، فَطُوبَى لِمَنْ وَحَّدَ رَبَّهُ وَعَبَدَ ، وَصَامَ وَقَامَ ، وَصَلَّى وَزَكَّى ، وَأَنْفَقَ وَتَصَدَّقَ ، وَبَرَّ وَأَحْسَنَ وَجَادَ بِمَا لَدَيْهِ ، وَعَلَى جُودِ رَبِّهِ اعْتَمَدَ ، وَيَا سَعَادَةَ مَنْ حَفِظَهُ اللهُ مِنَ الْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَالْفَخْرِ وَالْأَنَانِيَّةِ وَالْحَسَدِ ، وَيَا نَدَامَةَ مَنْ فِي الْبَاطِلِ خَاضَ وَجَرَّدَ مِنْ لِسَانِهِ مِقْرَاضاً ، لِتَمْزِيقِ الْأَعْرَاضِ ، وَوَقَفَ لِعِبَادِ اللهِ بِالْمَرْصَدِ ، يَتَتَبَّعُ عَوْرَاتِهِمْ وَيَعُدُّ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ .